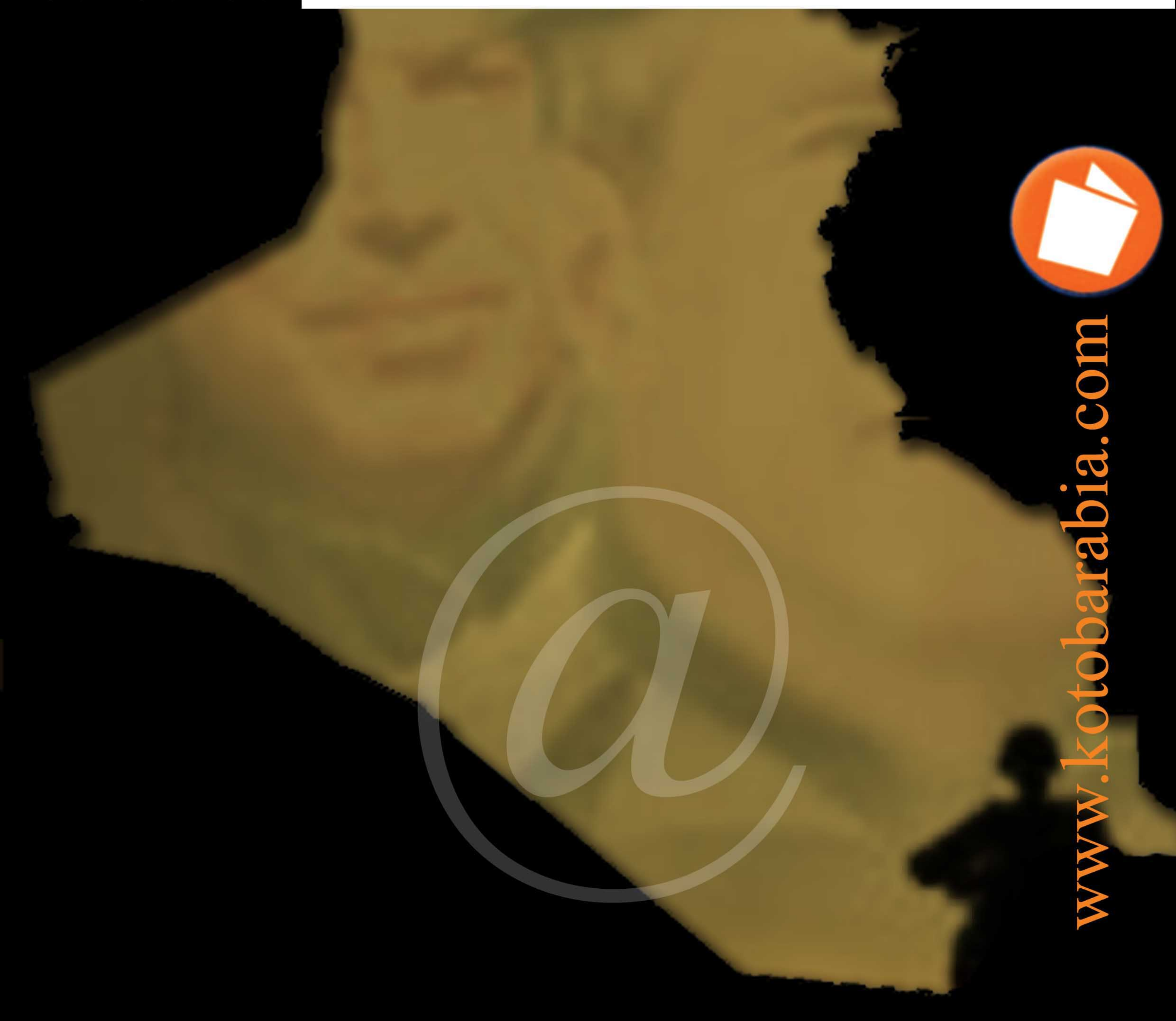


الدبلوماسيون البريطانيون في العراق

صالح خضر محمد



الديبلوماسيون البريطانيون

في

العـــــــــراق

دراسة تاريخية سياسية

في تأسيس القنصليات البريطانية

ودورها في العراق منذ تأسيسها حتى الحرب العالمية الأولى

تأليف

صا خضر مد

المختصرات

1- R.S.O.A.S. = RULLETIN OF SCHOOL OF ORIENTAL AND AFRICAN STUDIES.
2- I.O.R. = INDIA OFFICE RECORDS.
3- M.E.S. = MIDDLE EASTERN STUDIES.

الفهرس

المقدمة ٥

الفصل الأول

المصالح البريطانية في العراق قبل الحرب العالمية الأولى ٩

مقدمة ١٠

الفصل الثاني

نشأة التمثيل الدبلوماسي في العراق وتطوره حتى عام ١٩١٤ .... ٤٠

مقدمة ٤١

الفصل الثالث

مهام الدبلوماسيين البريطانيين في العراق ٧٠

مقدمة ٧١

الفصل الرابع

العلاقات المحلية للدبلوماسيين البريطانيين في العراق ١١٣

الخاتمة ١٤٩

المصادر والمراجع ١٥١

الملاحق ١٦٧

المقدمة

ان الدراسات والبحوث التي أنجزها المؤرخون والباحثون، ، أدت إلى تغطية جوانب كثيرة في تاريخ العراق السياسي والاقتصادي والاجتماعي ابان عهد السيطرة العثمانية الذي دام زهاء أربعة قرون، وعلى الرغم من ذلك فان المجال ما يزال متاحاً لدراسة موضوعات عديدة ابان ذلك العهد.

إن الغرض من هذا الكتاب هو تتبع نشأة وتطور التمثيل الدبلوماسي البريطاني في العراق وتوضيح مهام ودور الدبلوماسيين البريطانيين في بلاد ما بين النهرين (العراق) ابان المدة الممتدة بين سنتي (١٨٣١ ـ ١٩١٤) أي منذ عودة الحكم العثماني المباشر على العراق والذي بدأ بالقضاء على حكم المماليك في بغداد سنة ١٨٣١ وحتى قيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ وانسحاب الدبلوماسيون البريطانيون من العراق.

يحتوي الكتاب على أربعة فصول. الأول منه بمثابة فصل تمهيدي يستعرض المصالح البريطانية في العراق على مرحلتين، الأولى ابان القرنين السابع عشر والثامن عشر. والثانية، منذ بداية القرن السابع عشر وحتى قيام الحرب العالمية الأولى. وما شهدته المصالح البريطانية في العراق على المستويات السياسية والاستراتيجية والاقتصادية والثقافية.

أما الفصل الثاني فيتناول نشأة و تأسيس التمثيل الدبلوماسي البريطاني في بغداد والبصرة والموصل وكربلاء. وكيفية ترشيح أولئك الدبلوماسيين وتعيينهم ومسؤولياتهم أمام حكومة الهند البريطانية من جهة ووزارة الخارجية البريطانية ومن خلال السفير البريطاني في اسطنبول من جهة أخرى.

أما الفصل الثالث فهو استعراض لمهام الدبلوماسيين البريطانيين في العراق في جمع المعلومات والأنشطة الاستخبارية ودعم المصالح البريطانية والاشراف على شؤون الرعايا البريطانيين في العراق.

أما الفصل الرابع فقد كرس لدراسة العلاقات المحلية للدبلوماسيين البريطانيين في العراق والعلاقات البريطانية ـ العثمانية وعلاقة الدبلوماسيين البريطانيين ببعض الزعامات القبلية العربية وعلاقتهم بالأكراد واهتماماتهم بالأقليات الدينية الأخرى في العراق.

ومما لا شك فيه ان خوض غمار مثل هذا الموضوع يتطلب الاطلاع على وثائق الارشيف البريطاني. ولما كان تحقيق هذه الغاية أمراً متعذراً بسبب الظروف، فقد أضطررت الى الاعتماد على مقتنيات المكتبات العراقية والوثائق والمصادر التاريخية والسياسية في مناهل المكتبات ودور الكتب العراقية والعربية.

وإذا كان ثمة ملاحظة أخيرة يمكن أن تُقال فهي انني ضربت صفحاً عن ذكر تفاصـيل بعض الحوادث والتطورات التي شهدتها بلاد ما بين النهرين خلال المدة (١٨٣١ ـ ١٩١٤).

اعتمدت في إعداد هذا الجهد على مصادر ومراجع تاريخية كثيرة ومتنوعـة. وتـأتي الوثائق غير المنشورة في مقدمة تلك المصادر، ومن البديهي القول ان الوثائق البريطانية تعد أهم الوثائق. ولقد اعتمدت على مجموعة لا بأس بها، حسب تقديري، مـن وثـائق سـجلات وزارة الهند **India Office Records** المحفوظة في لندن وتوجد نسخ مصورة منها في مكتبـة مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة. وقد تضمنت تلك الوثـائق المراسـلات بـين الدبلوماسيين البريطانيين من جهة وبين السفير البريطاني فـي اسـطنبول وحكومـة الهنـد البريطانية من جهة أخرى. ومن بين تلك الوثائق، التقارير الشهرية التي كان يبعثها القنـصل البريطاني العام في بغداد الى حكومته تحت عنوان (خلاصة الأحداث في العر اق التركـي ـ **Summary of Events in Turkish Iraq**). هذه التقارير في غاية الأهمية لأنها تلقي الضوء على جوانب كثيرة تتعلق بمهام وأنشطة الدبلوماسيين البريطـانيين فـي العـراق وعلاقـاتهم المحلية.هذه الوثائق محفوظة لدي فضلاً عن الوثائق البريطانية، فان الرسالة اعتمـدت علـى بعض الوثائق الأمريكية غير المنشورة من الآرشـيف القـومي الأمريكـي **U.S. National Archive**، والوثائق العثمانية غير المنشورة من آرشيف رئاسـة الـوزراء **Basbakanlik Arsive** في اسطنبول. وتوجد نسخ مصورة من هذه الوثائق في مكتبة الجامعة المستنـصرية. وكانت هذه الوثائق مفيدة في كشف بعض جوانب العلاقـة بـين الدبلوماسـيين البريطـانيين والسلطات العثمانية في العراق.

الى جانب الوثائق غير المنشورة اعتمد المؤلف على مجموعة من الوثائق المنشورة من بريطانية وعثمانية، نذكر منها الوثائق التي نشرها **R. Bidwell** في كتاب صدر في مجلـدين بعنوان : شؤون الكويت ١٨٩٦ ـ ١٩٠٥ـ ـ "The Affairs of Kuwait 1896-1905" وقـد تضمن الكتاب الكثير من مراسلات القنصل البريطاني مع حكومته بخصوص الكويت وجنوب العراق. ومن هذه المجموعة أيضاً الكتاب الذي صدر عن آرشـيف رئاسـة الـوزراء فـي اسطنبول بعنوان "المعلومات الوثائقية ذات العلاقة بالموصل وكركـوك ١٥٢٥ ـ ١٩١٩ ـ **"Musul – Kerkuk ile ilgili Arsivi Belgeri 1525-1919"** وقد ضم الكتاب بين دفتيه عدداً كبيراً جداً ومهماً من الوثائق العثمانية عن الموصل وكركوك، منها وثائق تتحدث عن بعـض أنشطة الدبلوماسيين البريطانيين في الموصل وموقف الدولة العثمانية منها. ومن الجدير بالذكر ان هذا الكتاب قد ترجم الى العربية من قبل الأستاذ الدكتور خليل علي مراد والدكتور علـي

شاكر علي وتوجد نسخة خطية من الترجمة في العراق مركز دراسـات الموصـل بجامعـة الموصل.

هذا وقد استعان المؤلف ببعض المطبوعات الرسمية العثمانية والبريطانية التـي أوردت أسماء بعض القناصل والأشخاص العاملين في القنصليات البريطانية فـي العـراق، وكـذلك المصالح البريطانية في العراق. ومن هذه المطبوعات الكتب السنوية (السالنامات) الـصادرة عن ولايات بغداد والبصرة والموصل

، والكتاب الذي أصدرته دائرة الاستخبارات فـي البحريـة البريطانيـة بعنـوان **“A Handbook of Mesopatamia”**، وكذلك الكتاب الصادر عن وزارة الخارجية البريطانية سنة ١٩٢٠ بعنوان **“Mesopotamia”**وكانت من الكتب المهمة جدا.

أما بالنسبة للكتب التي اعتمدها المؤلف، فهـي كثيـرة ومتنوعـة عربيـة وإنكليزيـة وتركيةوعثمانية, وكان لعدد منها أهمية كبيرة في إصدار هذا الكتاب. ففيمـا يخـص الكتـب العربية تأتي مؤلفات الدكتور عبدالعزيز سليمان نوار في المقدمة، ولاسـيما كتابيـه "تـاريخ العراق الحديث" و"المصالح البريطانية في أنهار العراق ١٦٠٠ ـ ١٩١٤" والتي اعتمـد فيهـا على الآرشيف البريطاني ومصادر أخرى أساسية كشفت جوانب مهمة من السياسة البريطانية في العراق ابان القرن التاسع عشر، كما أوضحت جوانب مـن مهـام وأدوار الدبلوماسـيين البريطانيين في العراق.و من المؤلفات التاريخية الأكاديمية التي أفادت الكاتب كتاب الـدكتور زكي صالح "بريطانيا ـ العراق حتى سنة ١٩١٤"، وكتاب الدكتور حسين محمـد القهـواتي "دور البصرة التجاري في الخليج العربي ١٨٦٩ـ١٩١٤"، وكتاب الـدكتور صـالح العابـد "موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨ـ١٨١٠"، ومؤلفات الـدكتور عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم وخاصة كتاب "حكومة الهند البريطانيـة والإدارة فـي الخلـيج العربي؟. وقد تضمنت هذه المؤلفات معلومات مهمة عن السياسة البريطانيـة فـي العـراق، والمنافسات بين الدول الكبرى في العراق، فضلاً عن التمثيـل الدبلوماسـي البريطـاني فـي العراق.

أما بالنسبة للكتب الإنكليزية فان كتاب لوريمر **J. G. Lorimer** والموسوم "دليل الخليج وعمان ووسط الجزيرة العربية ـ **“Gazetteer of the Gulf Oman and Central Arabia”**، فانه كان مصدراً أساسياً للكتاب، إذ كان لوريمر قد شغل منصب المقيم الـسياسي والقنـصل البريطاني العام في بغداد ١٩١٠ ـ ١٩١٤، وقد اعتمد في إعداد كتابه على سجلات حكومـة الهند البريطانية ووثائق القنصلية البريطانية العامة في بغداد. وقد تضمن الكتاب عرضاً شاملاً

للمصالح البريطانية في العراق وعلاقات الدبلوماسيين البريطانيين المحليـة، ومهـامهم فـي العراق. كما كان كتاب **S.Cohen** الموسوم "السياسة البريطانية في بلاد مـا بـين النهـرين ١٩٠٣ـ١٩١٤ **British Policy in Mesopotamia 1903-1914**" مهماً فـي ضـوء اعتمـاد المؤلف على كمٍ كبيرٍ جداً من الوثائق البريطانية. وقد تضمن الكتاب معلومـات مهمـة مـن الدبلوماسيين البريطانيين في العراق وتأثيرهم في السياسة البريطانية تجاه العراق. ومن الكتب الإنكليزية التي أفادت الكتاب في توضيح علاقة الدبلوماسيين البريطانيين بالأقليات الدينية في العراق كتاب **George P. Badger** الموسوم "النساطرة وشعائرهم وطقوسـهم وعبـاداتهم ـ **The Nestorians and their Rituals**". وقد كان مؤلفه مبعوثاً كنسياً إنكليزياً الى النـساطرة. وكتاب **John Joseph** الموسوم "النساطرةحيث مارس المهمة الدينيـة إلـى جانـب المهمـة السياسية وجيـرانهم المـسلمين **The Nestorians and their Muslim Neighbors**". ومـن الجدير بالذكر ان ايشو مالك خليل جوارو مؤلف كتاب "الآشوريين في التـاريخ" قـد اقتـبس الكثير من هذا الكتاب. أما كتاب غسان العطية الموسوم "العـراق ١٩٠٨ـ ـ١٩٢١، دراسـة اجتماعية ـ سياسية **Iraq 1908-1921, A Socio-Political Study**"، فقد أفـاد الكتـاب فـي توضيح علاقة الزعامات القبلية العربية مع الدبلوماسيين البريطانيين، وكذلك إدارة وقف أوده. وكان كتاب نسيم سوسة N. Sousa (أحمد سوسة فيما بعد) الموسوم "نظام الامتيازات في تركيا ـ **Capitulatory Regime of Turkey**" مفيداً لتوضيح السلطات والصلاحيات القضائية التي تمتع بها الدبلوماسيون الأجانب في الدولة العثمانية.

أما الكتب التركية، فقد كان كتاب يوسف حكمت بايور **Y. H. Bayur**الموسوم "تـاريخ الانقلاب التركي ـ **Turk Inkilap Tarihi**" مفيداً في ضوء المعلومات والوثائق التي تضمنها عن سياسات القنصل البريطاني العام في بغداد وعلاقاته بالسلطات العثمانية هناوكيف كانـت هذه العلاقات تعرضت لمد وجزر فضلاً عن ما سبق اعتمد المؤلف على العديد من الرسـائل الجامعية والبحوث المنشورة في الدوريات العربية والإنكليزية والتي يجدها القـارئ الكـريم مفصلة في قائمة المصادر في نهاية هذا الجهدوكذاك أرفقت الكتاب بجدوال عن كافة القناصل والموظفين وحسب تواريخ عملهم في نهاية الكتاب .

ومن أ التوفيق

الفصل الأول

المصالح البريطانية في العراق قبل الحرب العالمية الأولى

مقدمة

كان العراق في مستهل القرن التاسع عشر جزءاً من الدولة العثمانيـة التـي سـبق أن سيطرت عليه منذ النصف الأول من القرن السادس عشر[١]. إلا ان الدولة العثمانية لـم تكـن تمارس سيطرة فعلية على شؤونه، فقد كانت السلطة الحقيقية فيه موزعة بين القوى المحليـة من باشوات وأمراء ومشايخ. إذ كان المماليك يحكمون بغداد والبصرة بين ١٧٥٠ ـ ١٨٣١[٢]، وكانت الأسرة الجليلية تسيطر على مقاليد الأمور في ولاية الموصل بين ١٧٢٦ ـ ـ ١٨٣٤[٣]. أما المناطق الكردية في شمال العراق، فقد كان القسم الأكبر منها تحت سيطرة ثلاث إمـارات كردية، وهي الإمارة البابانية في السليمانية والإمارة الـسورانية فـي راونـدوز، والإمـارة البهدينانية في العمادية[٤]. وكانت القبائل والعشائر العربية القريبة تمارس سيطرة فعلية علـى مناطق (ديرتها) على إمتداد مساحات واسعة بين جنوب العراق وشماله ومنهـا، فـي سـبيل المثال لا الحصر، اتحاد قبائل المنتفق على إمتداد الفرات بين السماوة والبصرة، واتحاد قبائل الخزاعل في الفرات الأوسط، واتحاد قبائل بني لام على إمتداد دجلة بـين الكـوت والقرنـة، وقبيلة شمر الجربا في الجزيرة الفراتية[٥].

في غضون ذلك كانت الدولة العثمانية تشهد بوادر حركة إصلاحية حديثة من أهـدافها إعادة القوة والهيبة إليها وتأكيد سلطة الحكومة على الولايات، وقد استهل السلطان سليم الثالث

---

[١] تفاصيل ذلك في : حسين محمد القهواتي، العراق بين الاحتلالين العثمانيين الأول والثاني(رسالة ماجـستير غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥، ص ٧٣ وما بعدها، علي شاكر علي، ولاية الموصـل في القرن السادس عشر (رسالة دكتوراه غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الموصـل، ١٩٩٢، ص ص ٥١ـ ٥٤.

[٢]لمزيد من التفاصيل عن حكم المماليك راجع : علاء موسى نورس، حكم المماليك فـي العـراق (بغـداد، ١٩٧٥).

[٣] لمزيد من التفاصيل عن حكم الأسرة الجليلية راجع : عماد عبدالـسلام رؤوف، الموصـل فـي العهـد العثماني، فترة الحكم المحلي، ١٧٢٦ـ ١٨٣٤ (النجف، ١٩٧٥).

[٤] لمزيد من التفاصيل عن هذه الإمارات يمكن مراجعة : عبدالعزيز سليمان نوار، تاريخ العـراق الحـديث (القاهرة، ١٩٦٨) ص ص ٩٥ـ ١٠٢.

[٥] عماد أحمد الجواهري ، تاريخ مشكلة الأراضي في العراق ، ١٩١٤ـ ١٩٣٢ (بغـداد، ١٩٧٨)، ص ص ٦٥، ٦١ـ ٦٢.

(١٧٨٩ـ١٨٠٧م) تلك الاصلاحات وذهب ضحية لها[٦]. وقد سار علـى نهجـه الـسلطان محمود الثاني (١٨٠٨ـ١٨٣٩) وصادف نجاحاً أكبر في اجراءاته التي كـان مـن أهـدافها اخضاع الولايات العثمانية للسلطة المركزية في اسطنبول[٧]. كانت اجراءاتـه تلـك بمثابـة مرتكزات أساسية للتطبيقـات الإصـلاحية فـي عهـد خلفـة الـسلطان عبدالمجيـد الأول (١٨٣٩ـ ١٨٦١)[٨]، وبقدر تعلق الأمر بالعراق، فقد أدت تلك الاجراءات والـسياسات الـى القضاء على حكم المماليك في بغداد سنة ١٨٣١ وحكم الأسرة الجليلية فـي الموصـل سـنة ١٨٣٤[٩]. كما تم اخضاع الإمارات الكردية بدءاً من الإمارة السورانية سنة ١٨٣٦، والإمارة البهدينانية سنة ١٨٤٢، والإمارة البابانية سنة ١٨٥٠[١٠] ، هكذا أُعيد ربط العر اق بالحكومـة المركزية مباشرة وصارت اسطنبول تعين وتعزل ولاة الولايـات العراقيـة الـثلاث، بغـداد والبصرة والموصل[١١]، وعلى أية حال فان الحكومة العثمانية حققت نجاحاً أقل في الـسيطرة على القبائل العربية والكردية، برغم الإجراءات العديدة التي اتخذتها واتخذها بعـض ولاتهـا البارزين في العراق، ولاسيما مدحت باشا (١٨٦٩ـ١٨٧٢)، الذي سعى الى معالجة مـشكلة الأراضي في العراق والعمل من أجل توطين القبائل والعـشائر لـضمان انقيادهـا للـسلطة العثمانية[١٢]. واستمرت مشكلة القبائل والعشائر قائمة في العراق خلال ما تبقـى مـن عهـد السيطرة العثمانية التي انتهت ابان الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ـ١٩١٨) التي أفضت الـى الاحتلال البريطاني للعراق.

---

(٦) محمد عبداللطيف البحراوي ، حركة الاصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني، ١٨٠٨ـ١٨٣٩ (القاهرة، ١٩٧٨)، ص ص ٩٩ـ١٢٩.

(٧) المصدر نفسه ، ص ص ٢١٣ـ٢١٤.

(٨) سيار كوكب علي الجميل ، الموصل من نهاية الحكم الجليلي الى الإدارة المباشرة، ١٨٣٦ـ١٨٦٩) فـي موسوعة الموصل الحضارية، جـ ٤ (الموصل، ١٩٩٢)، ص ٧٨.

(٩) نورس ، المصدر السابق ، ص ص ٢٤٩ـ ٢٧٠ ، رؤوف ، المصدر السابق ، ص ٢٠٧.

(١٠) نوار ، المصدر السابق ، ص ص ١٠٩ـ١١١ ، ١١٩ ـ١٢٠.

(١١) بعد عودة الحكم العثماني المباشر كان العراق يتألف من ولايتي بغداد والموصـل، وفـي سـنة ١٨٥٠ أصبحت الموصل سنجقاً (لواء) تابع لولاية بغداد ولم تسترد وضعها ولاية مستقلة إلا في سـنة ١٨٧٩. أمـا البصرة، فقد صارت ولاية في ١٨٥٠ ثم أعيدت الى لواء سنة ١٨٦٢ ثم صارت ولاية بين ١٨٧٥ ـ ـ١٨٨٠ وعادت لواءاً تابعاً الى بغداد ثمأصبحت ثم صارت ولاية مرة أخرى منذ ١٨٨٤. ستيفن همنسلي لونكريـك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث (بغداد، ط ٣، ١٩٦٢، ترجمة جعفر خياط)، ص ص ٢٨٣.

(١٢) وميض جمال عمر نظمي ، ثورة ١٩٢٠ ، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعيـة للحركـة القوميـة العربية الاستقلالية في العراق (بغداد، ط ٢، ١٩٨٥)، ص ٥١.

المصالح البريطانية في العراق قبل القرن التاسع عشر:

يعود تاريخ المصالح البريطانية في العراق الى بدايات القرن السابع عشر، ويمكن تتبع تلك المصالح من خلال نشاط إثنتين من الشركات التجارية البريطانية العاملة في الدولة العثمانية وفي منطقة الخليج العربي وهما: شركة الشرق الأدنى **"The Levant Co."** وشركة الهند الشرقية الإنكليزية **"East India Company".**

تأسست شركة الشرق الأدنى بعد حصول وليم هاربورن **(W. Harborn)**، الذي كان يمثل مجموعة تجار لندن، على (فرمان) من السلطان العثماني مراد الثالث (١٥٧٤ـ١٥٩٥) في حزيران ١٥٨٠ منح بموجبه التجار الإنكليز حق ممارسة النشاط التجاري في الأراضي العثمانية. واثر هذا النجاح أصدرت ملكة بريطانية اليزابيث الأولى **"Elizabeth"** (١٥٥٨ـ١٦٠٣) مرسوماً في سنة ١٥٨١ خولت بموجبه أولئك التجار الذين قاموا بتلك المحاولة حق المتاجرة وحدهم مع ممتلكات السلطان العثماني[١٣]. وكان هذا المرسوم بداية تأسيس شركة الشرق الأدنى التي ظلت قائمة حتى سنة ١٨٢٥[١٤]، وأصدرت الملكة اليزابيث مرسوماً آخر سنة ١٥٩٢ منحت بموجبه الشركة حق احتكار التجارة البرية مع الهند عبر الأراضي العثمانية[١٥].

كانت علاقة الشركة بالعراق تكمن ـ منذ البداية ـ في كون العراق همزة وصل بين حلب، حيث يوجد مقر الشركة، وبين مناطق انتاج الحرير الخام في بلاد فارس والذي كان سلعة أساسية ضمن مستوردات الشركة من الشرق[١٦]. ونشطت الشركة أيضاً في مجال استيراد العفص من أطراف الموصل وديار بكر في القرن السابع عشر[١٧]، ومنذ القرن الثامن عشر تطورت علاقات الشركة مع مدن العراق الرئيسة، ولاسيما في تجارة الأقمشة

---

(١٣) ريد بولارد ، بريطانيا والشرق الأوسط (بغداد ، ١٩٥٦ ، ترجمة حسن أحمد السلمان) ، ص ١٤.

(١٤) بشأن مزيد من التفاصيل عن تاريخ الشركة راجع :
Alfreed G. Wood; A History of the Levant Company London, 1954).

(١٥) عبدالأمير محمد أمين (التنافس بين الشركات التجارية الإنكليزية في منطقة الخليج العربي والأقطار المجاورة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر)، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ٦، نيسان، ١٩٦٣، ص ٢٠٧ . .

(١٦) خليل علي مراد ، تاريخ العراق الإداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني ١٦٣٨ـ١٧٥٠، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥ ، ص ٣٩٨. وانظر أيضاً:
Ralph Davis; "English Imports from the Middle East 1580-1780" in, M.A.Cook; Studies in the Economic history of the Middle East (Oxford-1970) p . 196

(١٧) Ibid., pp. 200-202.

والمنسوجات الصوفية مع بغداد والموصل والبصرة[18]. وبحلول منتصف ذلك القرن أصبحت شركة المشرق منافساً قوياً لشركة الهند الشرقية الإنكليزية أيضاً في البصرة[19].

أما شركة الهند الشرقية الإنكليزية ، فيبدأ تاريخها مع بداية القرن السابع عـشر، ففـي ايلول ١٥٩٩ تكونت في لندن شركة تجارية طلبت الى الملكة اليزابيـث الأولـى الاذن لهـا بالاتجار مع الشرق. وفي ٣١ كانون الأول ١٦٠٠ أصدرت الملكة مرسوماً موجهاً الى جورج ايرلند كمبرلاند **Cumberland** ومائتين وخمسين من الفرسان والحكام والتجار لتكوين مؤسسة باسم "حاكم وشركة تجارة لندن للتجارة مع الهند الشرقية"[20] للتجارة مع الشرق وعرفت باسم شركة الهند الشرقية الإنكليزية، وقد قدر لهذه الشركة أن تأخذ طابعاً سياسياً فيما بعد وتـؤدي دوراً مهماً في توطيد النفوذ والهيمنة البريطانية في الهند ومنطقة الخليج العربي. بعد سـنوات قلائل على تأسيسها نجحت شركة الهند الشرقية في إقامة مركز تجاري لها في سوارت علـى الساحل الغربي من الهند سنة ١٦١٢[21]. وبعد وقت قصير من ذلك بدأت الشركة علاقاتها مع منطقة الخليج العربي. فقد أقامت الشركة منذ سنة ١٦١٦ علاقات تجارية مع فارس عبر ميناء جاسك[22]. وتبع ذلك حصولها على فرامين من الشاه عباس الأول (١٥٨٨ـ١٦٢٤) لـصالح التجارة الإنكليزية في بلاد فارس وتم إقامة مركزين للشركة في شيراز سنة ١٦١٧ واصفهان سنة ١٦١٨[23]. واستمرت العلاقات الحسنة بين الشركة وبلاد فارس خلال الـسنوات القليلـة التالية ، ويبدو ذلك واضحاً من تحالف الطرفين ونجاحهما في طرد البرتغاليين من هرمز سنة ١٦٢٢[24]. وأعقب ذلك نقل مركز الشركة من ميناء جاسك الى ميناء بندر عباس (كميـرون)

---

(18) Wood; Op. Cit, p. 76.

(19) عبدالأمير محمد أمين ، المصالح البريطانية في الخليج العربي ، ١٧٤٣ـ١٧٧٨، ترجمة مكـي حبيـب المؤمن، (بغداد، ١٩٧٧)، ص ٦٠.

(20) صالح محمد العابد ، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ، ١٧٩٨ـ١٨١٠، (بغـداد، ١٩٧٩)، ص ٢١.

(21) ارنولد ، ت ويلسون ، تاريخ الخليج (سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافـة ، ١٩٨١، ترجمـة محمد أمين عبدا)، ص ٩٦.

(22) أمين ، المصالح البريطانية في الخليج العربي ، ص ١٤.

(23) John Marlowe; The Gulf in the Twentieth Century (London, 1962), pp. 5-6.

(24) التفاصيل عن التحالف بين شركة الهند الشرقية وبلاد فارس ضد البرتغاليين وشـروط ذلـك التحـالف بموجب اتفاقية ميناب في كانون الثاني ١٦٢٢ تم طرد البرتغاليين من هرمز من نيـسان تلـك الـسنة فـي ويلسون، المصدر السابق، ص ص ١٠٨ـ١١٢.

وكذلك: جمال زكريا قاسم، الخليج العربي، دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوربي الأول ١٥٠٧ـ١٨٤٠، (القاهرة، ١٩٧٧)، ص ص ٩٨ـ١٠٠.

سنة ١٦٢٣. وعلى أية حال فان الشركة واجهت صعوبات عدة في بلاد فارس بعد وفاة الشاه عباس الأول، كما واجهت منافسة قوية من شركة الهند الشرقية الهولندية هناك[٢٥]. ودفع ذلك شركة الهند الشرقية الإنكليزية الى البحث عن منافذ أخرى لتجارتها، وقادها الـى إقامـة أول اتصال تجاري لها مع البصرة، حيث وصلت أول سفينة صغيرة تابعة للشركة وهـي محملـة بالبضائع الى البصرة سنة ١٦٣٥[٢٦]. ولكن الشركة لم تصادف نجاحاً هناك في البداية بسبب النشاط التجاري البرتغالي في البصرة[٢٧]. ومع ذلك واصلت الشركة جهودها لتنشيط تجارتها في البصرة وأسست مركزاً تجارياً لها هناك سنة ١٦٤٣[٢٨]. وفي سنة ١٦٤٥ قررت الشركة نقل ممتلكاتها من بندر عباس الى البصرة بسبب الخلاف بين الفرس والهولنديين. لكن الأمـر لم يستقر لتجارة الشركة في البصرة، ذلك ان الهولنديين وجهوا أنظارهم الـى البـصرة بعـد تسوية خلافاتهم مع الفرس وبدأوا بمنافسة التجارة الإنكليزية هناك، مما دفـع الـشركة الـى اغلاق مركزها في البصرة وبقيت التجارة الإنكليزية ضعيفة فيها حتى بدايات القـرن الثـامن عشر عندما بدأ أفول المنافسة الهولندية[٢٩].

ومنذ سنة ١٧٢٣ أسست الشركة مقراً دائماً أو مقيمية **(Residency)** في البـصرة[٣٠]. ولم تلبث الشركة أن حصلت على امتيازين من والي البصرة أحدهما قضائي في سـنة ١٧٢٨ منح الشركة حق محاكمة العمال المحليين الذين تستخدمهم، وثانيهما تجاري. وفي سنة ١٧٣١، تم استيفاء الرسوم الكمركية على البضائع التي تتاجر بها الشركة بنسبة ٣% فقط[٣١]. ومع ان تطورات الصراع العثماني ـ الفارسي في العقدين الرابع والخامس من القرن الثامن عشر[٣٢]. قد أثر سلباً في تجارة الشركة في البصرة إلا ان وضع الشركة، ونشاطها التجاري هناك قـد

---

[٢٥] ويلسن ، المصدر السابق ، ص ص ١٣١ـ١٣٢.

[٢٦] أمين ، المصالح البريطانية في الخليج العربي ، ص ١٩. العابد ، المصدر السابق ، ص ٤٥.

[٢٧] زكي صالح ، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤ (بغداد ، ١٩٦٨) ، ص ٥٤. مراد ، المصدر السابق ، ص ٣٨١.

[٢٨] ويلسن ، المصدر السابق ، ص ١٣٣.

[٢٩] صالح ، المصدر السابق ، ص ص ٥٥ـ٥٦.

[٣٠] John B-Kelly; Britain and the Gulf 1995-1880 (Oxford-1968), p. 51.

[٣١] صالح ، المصدر السابق ، ص ٨٠.

[٣٢] الإشارة هنا الى اعتداءات نادر شاه على العراق ابان السنوات ١٧٣٢ـ ـ١٧٣٣ و١٧٣٥ و١٧٤٣. وقـد كانت البصرة هدفاً لاعتداءات قواته التي حاولت الاستيلاء على المدينة سنة ١٧٣٥ و١٧٤٣، لكنها فشلت في ذلك. للتفاصيل ينظر، عبدالأمير محمد أمين، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، (بغداد، ١٩٦٦)، ص ص ١٣، ١٥. علاء موسى كاظم نورس، العراق في العهد العثماني، دراسـة فـي العلاقـات السياسية ١٧٠٠ـ ١٨٠٠، (بغداد، ١٩٧٩)، ص ص ١٧٥، ١٩٥ـ١٩٦.

تحسن بعد ذلك بدرجة كبيرة، ففي سنة ١٧٥٩ أصدر أول ولاة المماليك فـي العـراق وهـو سليمان باشا (١٧٥٠ـ١٧٦٢) أمراً أكد فيه الامتيازات التي سبق وان حصل عليها الإنكليـز في الدولة العثمانية[٣٣]. وقد غدت البصرة واحدة من أكثر المراكز التجارية أهمية في الـشرق بالنسبة للإنكليز[٣٤]. وفي سنة ١٧٦٣ رفعت الشركة درجة مقيمية البصرة الى وكالـة بعـد اغلاق وكالتها في بندر عباس[٣٥].

مع إنشاء وكالة للشركة بدأت مساعي العاملين فيها لتعزيـز نفـوذ الـشركة تجاريـاً وسياسياً. ونجحوا، من خلال السفير البريطاني في اسطنبول هنري كرنفل **H-Grenvile** فـي الحصول على فرمان من السلطان العثماني مصطفى الثالث (١٧٥٧ـ١٧٧٣)، وذلك في سنة ١٧٦٤ تضمن اعترافاً بالبصرة بوصفه ميناء خاضعاً للامتيازات الأجنبية وبوكيل شركة الهند الشرقية قنصلاً لبريطانيا هناك[٣٦]. وأثار هذا النجاح حفيظة غريمتها شركة الـشرق الأدنـى التي كانت تعد العراق ضمن منطقة امتيازها وتطور الأمر الى نزاع بين الـشركتين انتهـى بقرار شركة الهند الشرقية بالتخلي عن الامتياز القنصلي الذي حصلت عليه[٣٧].

واجهت الشركة في سبعينيات القرن الثامن عشر أوضاعاً أخرى في البصرة أدت الـى تراجع نشاطها التجاري هناك، ومن ذلك وباء الطاعون الذي انتشر في البصرة سـنة ١٧٧٣، ثم الحصار والاحتلال الفارسي للبصرة (١٧٧٦ـ١٧٧٩) فـي عهـد كـريم خـان الزنـد (١٧٥٩ـ١٧٧٩)[٣٨]. ونتيجة لذلك تم انزال وكالة الشركة في البصرة الى مقيمية فـي سـنة

---

[٣٣] وهي الامتيازات التجارية التي حصل عليها الإنكليز بين ١٥٨٠ـ١٥٨٣ وبين ١٦٠٤ـ ـ ١٦٦١ والتـي أُعيد النظر فيها وصودق عليها سنة ١٦٧٥. صالح، المصدر السابق، ص ص ٣٩ ـ ٤٠. كذلك:
Nasim Sousa; The Capitulatory Regime of Turkey (Baltimore-1933), p. 60.

[٣٤] أمين ، المصالح البريطانية في الخليج العربي ، ص ١١٤.

[٣٥] ويلسن ، المصدر السابق ، ص ١٥٠. العابد ، المصدر السابق ، ص ٤٦. أما مـا يـذكره عبـدالعزيز عبدالغني ابراهيم بأن مقيمية البصرة أصبحت وكالة سنة ١٧٦٢ فهو غير دقيق، أنظر: ابـراهيم، المـصدر السابق، ص ٩١.

[٣٦] أمين ، المصالح البريطانية في الخليج العربي ، ص ١٣٤. وكذلك :
Kelly; Op. Cit, P. 52.

[٣٧] أمين ، المصالح البريطانية في الخليج العربي ، ص ص ١٣٨ـ١٣٩.

[٣٨] تفاصيل في : القوى البحرية في الخليج العربي ، ص ص ٦١ـ٧٣. نورس ، العراق في العد العثماني، ص ص ٢٤٩ـ٢٨٦.

١٧٧٩[٣٩] ومن الجدير بالذكر انه أصبح لمقيم الشركة في البصرة وكيل أهلي في بغداد منـذ سنة ١٧٨٣[٤٠].

يمكن القول في ضوء العرض السريع للمصالح التجارية البريطانية في العـراق ابـان القرنين السابع عشر والثامن عشر، ان تلك المصالح كانت غير مستقرة، وشهدت مراحل مـن الانتعاش والتدهور وكان النشاط التجاري للشركات الإنكليزية في العراق نشاطاً فرعياً بالنسبة لعلاقتهما التجارية مع مناطق أوسع وأكثر أهمية.

ولم تقتصر المصالح البريطانية في العراق قبل القرن السابع عشر على التجارة فحسب، بل كانت هناك مصلحة أخرى ربما فاقتها أهمية ونعني بذلك كون العراق همزة وصل أساسية في الاتصالات البريطانية مع الشرق عموماً، والهند على نحو خاص، مـن خـلال اسـتخدام طريق البصرة ـ حلب الصحراوي[٤١]. أو طريق البصرة ـ بغداد ـ حلب وهـو الطريـق الذي ارتاده مجموعة من تجارشركة الشرق الأدنى منذ سنة ١٥٨٣[٤٢]. فمنذ افتتاح أول مركز تجاري لشركة الهند الشرقية في بلاد فارس كتب ادوارد كانوك أول وكيل للشركة هناك الـى حلب يسأل قنصلها البريطاني أن ينظّم البريد بـين حلـب والخلـيج العربـي عبـر بغـداد والبصرة[٤٣].

ولا شك ان التنافس بين القوى الأوربية من برتغاليين وانكليز وهولنديين وفرنسيين زاد من أهمية نقل المعلومات بسرعة الى لندن. وقد صدرت التعليمات في نهاية سنة ١٦٨٦ الـى وكيل شركة الهند الشرقية الإنكليزية في بندر عباس بأن يبعث بصورة نظامية المعلومات التي

---

[٣٩] العابد ، المصدر السابق ، ص ٥٠.

[٤٠] كان هناك ممثل للشركة في بغداد قبل ذلك التاريخ ولكن ذلك لم يكن مستمراً في البداية. ففي سنة ١٧٥٥ كان الممثل رجلاً أرمنياً ثم إنكليزياً بعد ذلك بعشر سنين. وقد رفض مجلس إدارة الشركة اقتراحاً فـي سـنة ١٧٦٥ بشأن جعل التمثيل مستمراً في بغداد ولم يصبح مستمراً هناك حتـى سـنة ١٧٨٣. ينظـر: صـالح، المصدر السابق، ص ٨١.

[٤١] لمزيد من التفاصيل عن هذا الطريق الذي يعرف أيضاً باسم الطريق الـصحراوي الكبيـر The Great Desert Route ومراحله ينظر: فلاح عبدالحسين ومصطفى عباس جعفر، طريق بصرة ـ حلـب للقوافـل التجارية كما وصفها الرحالة الأوربيون في العصر الحديث، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العـدد ٥٨، ١٩٨٩، ص ص ٥٥ـ٧٦.

[٤٢] ويلسون ، المصدر السابق ، ص ٩٥.

[٤٣] ابراهيم ، المصدر السابق ، ص ٨٩.

يحصل عليها الى لندن كل ستة أسابيع عن طريق البر الى حلب لما لذلك من أهميـة كبيـرة بالنسبة لمصالح الدولة في الحصول على المعلومات في وقت مبكر(٤٤).

كانت الرسائل والتقارير التي يتم إرسالها تتضمن أخبار الـسوق والطلبـات المتوقعـة ومغادرة أو وصول السفن بين أوربا والشرق لأغراض تجارية. وتزداد أهميتـه كثيـراً فـي أوقات الحروب لما يوفره من وقت له أهميته بالنسبة الى المبادرات العسكرية، وهذا ما تحقق في أكثر من مناسبة في أثناء الصراع البريطاني - الفرنسي في الخليج العربي فـي القـرن الثامن عشر(٤٥). وكانت الشركة تبعث النسخ الأصلية من رسائلها عبر طريق رأس الرجـاء الصالح الذي يستغرق ١١ شهراً. وتبعث نسخاً ثانية منها من البصرة الى حلب، حيث تـصل في وقت يتراوح بين ١٣ و٤٠ يوماً ويتم نقلها من هناك الى اسطنبول ثم فينا فلندن. وعنـدما تأسست المقيمية البريطانية في بغداد سنة ١٧٩٨ أصبح البريد ينقل من بغداد الى اسطنبول في وقت يبلغ معدله ٢٤ يوماً صيفاً و٢٧ يوماً شتاء. وكان نقل البريد بين بومباي ولنـدن عبـر بغداد يستغرق ما بين ١٠-١٢ أسبوعاً فقط(٤٦). وفي هذه المقارنة بـين الطـريقين البـري والبحري إشارة كافية للدلالة على أهمية العراق في نقل البريد بين الشرق وبريطانيا.

تطور المصالح البريطانية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين:

حظي العراق بأهمية متزايدة منذ القرن التاسع عشر لبريطانيا التي أخذت تـسعى الـى ترسيخ نفوذها فيه تدريجياً. ويرجع ذلك الى تطور المصالح البريطانية فـي العـراق بـشكل مطرد ابان تلك الحقبة، الأمر الذي أدى الى الاحتلال البريطاني للعراق فـي أثنـاء الحـرب العالمية الأولى. وقد تمثلت تلك المصالح في:

- المصالح السياسية - الاستراتيجية :

كانت هذه المصالح حصيلة أمرين أولهما المنافسات الدوليـة فـي المنطقـة وحـرص بريطانيا على الدفاع عن وجودها وممتلكاتها الاستعمارية في الهند(٤٧). وثانيهما أهمية العراق

---

(٤٤) العابد ، المصدر السابق ، ص ٥١.

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ص ٥١-٥٢.

(٤٦) العابد ، المصدر السابق ، ص ص ٥٢-٥٣. عبدالحسين وجعفر ، المصدر السابق ، ص ٧١.

(٤٧) كانت شركة الهند الشرقية الإنكليزية قد أقامت ثلاثة مراكز رئيسية لها في شبه القارة الهندية في القـرن السابع عشر وهي سورات وكلكتا ومدراس، ثم حصلت على جزيرة بومباي فـي أواخـر القـرن المـذكور فاستعاضت عن سورات. وعرفت تلك المراكز خلال القرن الثامن عشر بالمديريات، وكانت مديرية بومبـاي تشرف على شؤون الشركة ومصالحها في جميع المناطق الواقعة الى الغرب من شبه القارة الهنديـة ومنهـا منطقتي الخليج العربي والبحر الأحمر. وبعد تداعي امبراطورية المغول في الهند في منتصف القرن الثـامن

في المواصلات بين الهند وأوربا. ومن هنا جاء اهتمام بريطانيا بمقاومة ما يسمى أيـة قـوة مناوئة لها للهيمنة على العراق وتهديد تلك المصالح، ومن البديهي القول ان ذلـك لا يمكـن تحقيقه إلا من خلال ترسيخ النفوذ البريطاني في العراق.

لقد ظهر دور العامل الاستراتيجي واضحاً في السياسة البريطانية تجـاه العـراق منـذ الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨، وما صاحب ذلك من تهديدات للوجود البريطاني في الهند. والواقع ان هذا التهديد لم يكن غائباً عن بال المسؤولين البريطانيين حتى قبل أن يغـادر الأسطول الفرنسي ميناء طولون. فقد رأى هنري دونـداس **"H. Dundas"** وزيـر الحـرب ورئيس مجلس السيطرة. **Board of Control**[٤٨]. ان الهدف المباشر للحملة الفرنـسية هـو مصر، أما هدفها النهائي فهو تدمير القوة البريطانية في الهند. وكان قائـد الحملـة الفرنـسية نابليون الأول سيجد عند وصوله الى شرق البحر المتوسط أربعة طرق أمامه يمكن من خلالها قيادة جيشه ضد الهند، يبدأ الأول من اسطنبول مروراً بسواحل البحر الأسود ثم بحر قـزوين ثم عبر بلاد فارس، أما الثاني فيبدأ من ميناء السويس ثم عبر البحر الأحمر، ويبدأ الثالث من مصر فالجزيرة العربية مروراً بالحجاز واليمن الى ساحل حضرموت ثم مسقط ومـن هنـاك بحراً الى الساحل الهندي، أما الطريق الأخير فيبدأ من مصر ويتوجه شرقاً عبر الـصحراء

عشر أخذت الشركة تبسط سلطاتها على أقاليم شاسعة في شبه القارة الهندية. وبعد معركة بلاسـي Plassey سنة ١٧٥٧ التي انتصر فيها البريطانيون على قوات حاكم البنغال ضمن البريطانيون سيطرتهم على أغلـب أقاليم الهند وصارت للشركة سلطة سياسية وعسكرية تضاهي في قوتها أعظم الامبراطوريات. ثم مدت نفوذها وسيطرتها على بقية الأقاليم الهندية بحيث أصبحت في سنة ١٨١٨ صاحبة السلطة العليا في شبه القارة الهندية واستمرت الشركة في إدارة الهند حتى عام ١٨٥٨ عندما تحولت إدارة الهند مـن الـشركة الـى الحكومـة البريطانية بعد ثورة الهند ضد السيطرة الاستعمارية سنة ١٨٥٧. ينظر: عبدالأمير محمد أمين ومـصطفى عبدالقادر النجار، دور السجلات الهندية ومحفوظاتها من وثائق العراق وبقية أقطار الخليج العربي والجزيـرة العربية، (بغداد، ١٩٧٨). ص ص ١١ ـ ١٤. كذلك: عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم، حكومة الهند البريطانيـة، المصدر السابق، ص ص ١٥ـ٥٦.

[٤٨] انبثق مجلس أو هيئة السيطرة بموجب قانون الهند الصادر سنة ١٧٨٤، ويتألف من ستة أعضاء، أربعـة من المجلس الملكي الخاص Privy Council ووزير الدولة ومستشار الخزينة. وقد خول المجلس صـلاحية إدارة وتوجيه كل الأعمال التي تتعلق بالشؤون المدنية والعسكرية والمـوارد الماليـة للمنـاطق البريطانيـة المملوكة في الهند وجزر الهند الشرقية. وكان على مجلس مدراء شركة الهند واللجنة السرية (المـشكّلة مـن ثلاث مدراء) تسليم المجلس نسخاً من كل الأوامر والمراسلات ومحاضر جلسات الـشركة، وتكـون أوامـر مجلس السيطرة ملزمة لمجلس مدراء الشركة. ويكون مجلس السيطرة مسؤولاً عن تنظـيم شـؤون الحـرب والسلم في الهند. وبهذا صارت شركة الهند مسؤولة، من خلال السيطرة، أمام البرلمان والأمـة البريطانيـة. ينظر: العابد، المصدر السابق، ص ص ٨٥ـ٨٦. ابراهيم، حكومة الهند البريطانية، ص ٤٨.

السورية الى باشوية بغداد ثم الى الخليج العربي فالهند. وبعد دراسة احتمالات استخدام أي من هذه المسارات توصل دونداس ان استخدام الفرنسيين للمسار الرابع هو الأكثـر احتمـالاً[٤٩]. وبناء على ذلك قرر البريطانيون اتخاذ سلسلة من الإجراءات السياسية والعـسكرية لمواجهـة الخطر الفرنسي. وبقدر تعلق الأمر بالعراق قررت بريطانيا تأسيس مقيمية لها في بغداد منـذ سنة ١٧٩٨ بهدف كسب والي بغداد المملوكي سليمان باشا (١٧٨٠ ـ ١٨٠٢) الى المعـسكر البريطاني، واتخاذها مركزاً لجمع المعلومات والاتصالات بين لندن والهند[٥٠]. وقد أصـبحت مقيمية بغداد دعامة من دعائم النفوذ البريطاني في العراق فيما بعد.

لقد استمر التنافس البريطاني ـ الفرنسي في الشرق سنوات عديدة ، وكان العراق ميداناً من ميادين هذا التنافس الذي حسم لصالح بريطانيا سنة ١٨١٠[٥١]. وبزوال الخطر الفرنـسي تراجع دور العامل الاستراتيجي في السياسة البريطانية تجاه منطقة الخليج العربي عامة بـين سنتي ١٨١٠ و١٨٣٠[٥٢]، إلا ان هذه الأهمية برزت مجدداً منذ ثلاثينيات القرن التاسع عشر بسبب المخاوف البريطانية من روسيا القيصرية التي غدت العدو الأكبر المحتمل لبريطانيا في الشرق حتى نهاية ذلك القرن[٥٣]. ان هذه المخاوف، بغض النظر عن مدى مصداقيتها، كانت قائمة على الاعتقاد بأن هناك سياسة روسية مرسومة. منذ عهد القيصر بطرس الكبير (١٦٧٢ ـ ١٧٢٥) للاستحواذ على الهند وتجارتها من جهة التقدم نحو الخليج العربي عبر بلاد فارس من جهة أخرى[٥٤]. ويبدو ان هذا الاعتقاد قد ترسخ اثر المكاسب الإقليمية التي حصلت عليها روسيا القيصرية بعد حروبها مـع بـلاد فـارس فـي أثنـاء الـسنوات ١٨٠٤ـ ١٨١٣ و١٨٢٦ـ١٨٢٨[٥٥]. ومع الدولة العثمانية خلال المدة ١٨٢٧ـ١٨٢٩[٥٦]. ومما لـه دلالتـه

---

[٤٩] العابد ، المصدر السابق ، ص ص ٨٦ ـ ٨٧.

[٥٠] المصدر نفسه ، ص ٩٧.

[٥١] لمزيد من التفاصيل عن ذلك التنافس أنظر : العابد ، المصدر السابق، ص ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨. صـالح، المصدر السابق، ص ص ٥٨ ـ ١١٥. وكذلك:
Kelly: Op. Cit. pp. 62-92.

[٥٢] Malcolm Yapp; "British Policy in The Gulf" in, Alvian J. Cottrell (ed); The Gulf States, A General Survey (Baltimore- 1980) p. 74.

[٥٣] Marlow, Op. Cit, p. 19, Ravinder Kumar; India and The Gulf Region 1858-1907, (Bombay-1965) p. 14.

[٥٤] صالح ، المصدر السابق ، ص ص ١٤١ ـ ١٤٣.

[٥٥] لمزيد من التفاصيل عن تلك الحروب والمكاسب الإقليمية التي حصلت عليها روسيا القيـصرية وتزايـد نفوذها في بلاد فارس بموجب معاهدتي كلستان سنة ١٨١٣ وتركمان جاي سنة ١٨٢٨. ينظر: كمال مظهـر أحمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر (بغداد، ١٩٨٥)، ص ص ٣٢ ـ ٧٣.

صدور بعض الدراسات في لندن في سنتي ١٨٢٨ و١٨٢٩ بخصوص التهديد الروسي للهند، وبأن خطوط التقدم الرئيسة لروسيا ستكون إما من خلال آسيا الوسطى أو من خلال بلاد مـا بين النهرين **(Mesopotomia)** الى الخليج العربي ثم خليج عمان فالهند[٥٧].

يرى الدكتور زكي صالح ان أقدم تصريح متعلق بالمنافسة البريطانية - الروسية فـي العراق، إن لم يكن في الشرق الأوسط على الإطلاق، وهو ما صرح به المفتش الأول بـدار الهند **Indian-House** في لندن سنة ١٨٢٩، والذي جاء فيه "لقد أصبح للـروس الآن سـفن بخارية في نهر الفولغا وبحر الغزر وسيصبح لهم مثل ذلك في نهـر سـيحون وبحـر آرال، وعلى أغلب الظن في دجلة والفرات أيضاً"[٥٨]. إلا ان الواقع ان هناك تصريحات أقدم بكثيـر من هذا التصريح، فمنذ مستهل القرن التاسع عشر كتب أول مقيم بريطاني في بغـداد وهـو هارفورد جونز **(H. Jones)** في معرض تأكيده على وقوع بغداد عند مفترق أكثـر الطـرق أهمية في الشرق قائلاً "... وسواء قدم الفرنسيون من سوريا نحـو الـشرق والـروس مـن جورجيا نحو الجنوب الشرقي فان القتال من أجل الهند سيجري يوماً علـى ضـفاف دجلـة والفرات"[٥٩].

لقد أخذ التدخل الروسي في كل من بلاد فارس والدولة العثمانية يتزايـد بـاطراد منـذ ثلاثينيات القرن التاسع عشر، وأخذت المقاومة البريطانية في وجه ذلك التدخل تتزايد بـاطراد أيضاً[٦٠]. وكان التقارب الذي حصل بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية في ذلـك الوقـت مثار قلق بريطانيا على مصالحها في المنطقة، فبعد ظهور النـزاع بين الـسلطان العثمـاني محمود الثاني وتابعه والي مصر القوي محمد علي باشا (١٨٠٥ - ١٨٤٩)، وقيـام الأخيـر باحتلال بلاد الشام في (١٨٣١-١٨٣٣) وتهديده السلطان العثماني في عقر داره[٦١]. ثم إقامة

---

[٥٦] مزيد من التفاصيل عن الحرب العثمانية - الروسية ١٨٢٧ - ١٨٢٩ والمكاسب السياسية التي تحققـت لروسيا القيصرية بموجب معاهدة ادرنة سنة ١٨٢٩ في: محمد فريد بك، تـاريخ الدولـة العليـة العثمانيـة (بيروت، ١٩٧٧)، ص ص ٢٢٠ - ٢٣١.

[٥٧]Gerald S. Graham; Great Britain in the Indian Ocean A study of MartimeEnterpris 1810-1850. (Oxford-1967) pp. 267-268. Kellys; Op, cit, p. 261.

[٥٨] صالح ، المصدر السابق ، ص ١٥١.

[٥٩]Edward Ingram "From Trade to Empire in the Near East-III; The uses of the Residencyat Baghdad, 1794-1804" M-E-S, Vo-14, No. 3. October, 1978, p. 299.

[٦٠] صالح ، المصدر السابق ، ص ١٥٠.

[٦١] ينظر التفاصيل في : فلاديمير "ب" لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحـديث، ت: عفيفـة البـستاني، (موسكو، د.ت)، ص ص ١٢٤ - ١٢٩.

تحالف عسكري عثماني ـ روسي ضد محمد علي باشا بموجب معاهدة (خنكار اسكلسي)[٦٢]. غير ان هناك مصادر أخرى ترى ان المعاهدة عقدت بعد تسوية الأزمة التي قامت بين الدولة العثمانية ومحمد علي في مرحلته الأولى ووقعت المعاهدة في ٨ تموز ١٨٣٣، وتذهب تلـك المصادر لتضع معاهدة كوتاهية بأنها هي التي أنهت النزاع فـي ايـار ١٨٣٣، وجـاء فـي المعاهدة التزام روسيا بتقديم العدد الكافي من القوات للحكومة العثمانية. وقد عبرت بريطانيـا عن قلقها حيال هذا التحالف وازدياد النفوذ الروسي من خلال ارسال بعض البريطانيين الـى المنطقة بصفة رحالة لدراسة نتائج التحالف العثماني ـ الروسي على المصالح البريطانية في الشرق الأدنى. وأكد هؤلاء في كتاباتهم وتقاريرهم على خطورة التهديد الروسـي للمـصالح البريطانية في الشرق الأدنى والمواصلات البريطانية مع الهنـد عبرهـا[٦٣]. وكـان المقـيم البريطاني في بغداد روبرت تايلر **(R. Taylor)** قد عبر عن رأي مماثل عنـدما كتـب الـى مجلس السيطرة في ١٤ آذار ١٨٣٤ بخصوص مساعي الروس لتقوية نفوذهم قـائلاً انـه إذا تحقق ذلك فان "موقعه (أي العراق) المركزي وأنهاره الصالحة للملاحة ومـوارده الطبيعيـة ستمنحهم أقصى الفوائد لتحقيق مزيد من التقدم مستقبلاً... أو تدبير مكائد أكثر خطـورة مـن الحرب باستمرار"[٦٤].

والى جانب التهديد الروسي عدت بريطانيا التوسع المصري في بلاد الشام تهديداً مماثلاً لمصالحها في العراق. فقد اعتقد وزير خارجية بريطانيا بالمرستون **(Palmerston)** ان هدف محمد علي باشا هو إقامة امبراطورية عربية واسعة[٦٥]. ولا شك ان تعاطف بعـض القـوى المحلية في العراق مع المصريين في بلاد الشام[٦٦]، وتقدم القوات المصرية نحو نجـد سـنة ١٨٣٦ ووصولها الى الأحساء والقطيف بعد ذلك[٦٧]، قد أثار شكوك بريطانيا إزاء نوايا محمد علي باشا في العر اق. ومن هنا كان تصريح بالمرستون في ٨ كانون الأول ١٨٣٧ بأن بلاده ترى ان بقاء سلطة السلطان العثماني على بغداد دون تهديد أمراً ذا علاقة بالمصالح البريطانية

---

[٦٢] المصدر نفسه ، ص ص ١٣٠ ـ ١٣١.

[٦٣] جوزف حجار ، أوربا ومصير الشرق العربي ، ترجمة بطرس الحلاق وماجد نعمة ، ص ٩١، بيروت، ١٩٧٦.

[٦٤] Henry Dodwell: The Founder of Modern Egypt, (Cambridge-1967) p. 131.

[٦٥] ورد ذلك في رسالة بالمرستون الى الوزير البريطاني في نابولي في آذار ١٨٣٣ ـ وقبـل ذلـك كـان القنصل البريطاني في الإسكندرية قد عبر عن رأي مماثل في تقرير كتبه سنة ١٨٣٢. جـورج انطونيـوس، يقظة العرب، ترجمة ناصرالدين الأسد واحسان عباس، بيروت، ط ٥، ١٩٧٨، ص ص ٨٦، ٩٣.

[٦٦] نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ١٩٣ ـ ١٩٦.

[٦٧] لونسكي ، المصدر السابق ، ص ١٠٩.

وان حكومته لا يسعها الوقوف موقف المتفرج حيال أية نوايا لدى محمد علي باشـا للتحـرك باتجاه بغداد أو الخليج العربي(٦٨). وتجدر الإشارة الى ان محمد علي كان قد اتخذ أيضاً موقفاً سلبياً من مشاريع المواصلات البريطانية الرامية الى ربط البحر المتو سط بالخليج العربي عن طريق مرفأ السويدية السوري والملاحة النهرية في الفرات(٦٩). ولمواجهة النفـوذ الروسـي المتنامي في الدولة العثمانية من جهة وخطر التوسع المصري مـن جهـة أخـرى نـشطت الدبلوماسية البريطانية من أجل التقارب مع الدولة العثمانية ومناهضة محمد علي باشا بهـدف تعزيز مركز السلطان وتحويل ميزان القوى لصالحه، الأمر الذي سيؤدي بالتالي الى تقـويض أُسس معاهدة خنكار اسكلسي، وفي الوقت ذاته القضاء كلياً على النفوذ الروسي فـي الدولـة العثمانية(٧٠). وبحلول سنة ١٨٤١ كانت الدبلوماسية البريطانية قد أنجزت تلك المهمة بنجـاح وزال خطر محمد علي باشا الذي اقتصرت سلطته على مصر والـسودان فقـط منـذ ذلـك التاريخ(٧١).

وكما ذكرت سابقاً فان التأكيد البريطاني على أهمية بقاء العراق بعيـداً عـن النفـوذ الروسي ومخاطر التوسع المصري كان يعكس الأهمية التي أولتها بريطانيا للمنطقة عموماً في حرية المواصلات مع الهند عبر الأراضي العثمانية. ويفسر لنـا هـذا الاهتمـام البريطـاني المتزايد بمشاريع المواصلات عبر العراق منذ ثلاثينيات القرن التاسع عشر.

لقد أدرك البريطانيون منذ وقت مبكر أهمية العراق في المواصلات، ولاسيما في نقـل البريد بين الهند ولندن. وكان طريق العراق الأكثر استخداماً من جانب البريطانيين لنقل البريد السريع، على الرغم من المحاولة التي جرت في أواخر القرن الثامن عشر لعمـل الترتيبـات اللازمة لنقل البريد بين الهند ولندن عن طريق مصر بصفة منتظمة(٧٢). ثم جاءت المنافـسات الدولية مع فرنسا ١٧٩٨ ـ ١٨١٠ ومع روسيا منذ العقد الرابع من القرن التاسع عشر لتزيد من اهتمام البريطانيين بتأمين مواصلاتهم مع العراق. وترتب على ذلك اجراء عمليـات مـع

---

(٦٨) Dodwell; Op. Cit, p. 139.

(٦٩) حجار ، المصدر السابق ، ص ص ١٠٠ ـ ١٠٢. وكذلك : عبدالعزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانيـة دولة اسلامية مفترى عليها، (القاهرة، ١٩٨٠)، جـ ٢، ص ص ٧٧٥ ـ ٧٧٦.

(٧٠) لوتسكي ، المصدر السابق ، ص ١٣٨.

(٧١) لوتسكي ، المصدر السابق ، صص ١٣٨ ـ ١٤٥.

(٧٢) جون مارلو ، تاريخ النهب الاستعماري لمصر ١٧٩٨ ـ ١٨٨٢ (القاهرة ، ١٩٧٦، ترجمة عبـدالعظيم رمضان)، ص ص ٣٤ ـ ٣٥.

دراسات عديدة في العراق قدمت، فضلاً عن نتائجها الملاحية والسياسية، معلومات وحسابات دقيقة عن المنطقة كانت، بلا شك، ذخيرة لخطوات الاحتلال البريطاني للعراق فيما بعد(٧٣).

إن أولى عمليات الاستطلاع لوادي الفرات هي تلك التي قام بها الملازم اورمسبي **(H. Ormsby)** من بحرية الهند خلال السنوات ١٨٢٦ ـ ١٨٣٠ تلقاء نفسه(٧٤). وفي سـنة ١٨٣٠ بدأ جيمس تايلر **(J. Taylor)** شقيق المقيم البريطاني في بغداد روبرت تايلر بعملية مسح نهر دجلة، بعد حصوله على إذن من والي بغداد المملوكي داود باشا (١٨١٧ ـ ـ ١٨٣١) لدراسـة صلاحيته للملاحة التجارية. إلا ان جيمس تايلر قُتل على يد البدو وانتهى مشروعه بالفشل(٧٥).

أما أول عملية مسح مهمة لأنهار العراق فقد بدأت على يـد المـلازم فرانـسيس ردن جزني **(F.R. Chesney)** بناء على طلب من السفير البريطاني في اسطنبول روبرت غـوردن **(R. Gordon)** لإجراء دراسة مقارنة بين الطريقين المصري والعراقي(٧٦). وقد أنجز جزنـي مهمته الأولى في وادي الفرات بين ١٨٣٠ ـ ١٨٣١، وأشار فـي تقريـره الـى المـسؤولين البريطانيين الى ان هناك عقبات عديدة تعترض سبيل الملاحة التجارية في الفـرات. ولكـن الاعتبارات السياسية والاستراتيجية وفي مقدمتها تنامي النفوذ الروسي وظهور خطـر محمـد علي باشا، جعلته يتحمس هو وحكومته لمشروع الملاحة التجارية في الفرات مؤكداً علـى ان طريق الفرات لا يقل أهمية عن طريق مصر مع شرح مزايا الطريق الأول لأنه أقصر مـن طريق مصر ويضمن لرعايا بريطانيا خط مواصلات مباشر وسريع بين الهنـد وبريطانيـا، ويمكّن بريطانيا من الطرق المؤدية الى الهند(٧٧).

وبناء على ما سبق تشكلت لجنة خاصة في مجلس العموم البريطاني لمعرفـة أفـضل الطريقين المصري والفراتي وتوصلت الى قرار لصالح الملاحة التجارية في أنهار العراق(٧٨)، اقترحت اللجنة أن يخصص البرلمان مبلغ ٢٠,٠٠٠ باون استرليني لإرسـال جزنـي مـع

---

(٧٣) حميد أحمد حمدان التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤ ـ ١٩٢١، (بغـداد، ١٩٧٩)، ص ٥٩.

(٧٤) صالح ، المصدر السابق ، ص ١٥٣.

(٧٥)Charels Issawi; The Economic History of the Middle East 1800-1914 (Chicago-1975) p. 146; Halford L. Hoskins; British Routes to India, (London-1966) p. 120.

(٧٦) صالح ، المصدر السابق ، ص ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

(٧٧) عبدالعزيز نوار ، المصالح البريطانية في أنهار العر اق ١٦٠٠ ـ ١٩١٤ (القـاهرة، ١٩٦٨)، ص ص ٣٧ـ٤٢.

(٧٨)Kelly; op. Cit, pp. 277-280 . .

باخرتين نهريتين الى العراق لاختيار مدى صلاحية نهر الفرات للملاحة التجارية[٧٩]، أنفقـت دار الهند في لندن مبلغ ٥٠٠ باون استرليني من عندها للبعثة إدراكاً منها لأهمية هذا العمـل في مواجهة احتمالات الخطر الروسي في العراق[٨٠]، وتمهيداً لعمل البعثة حصلت بريطانيـا على فرمان من السلطان محمود الثاني في ٢٩ كـانون الأول ١٨٣٤ نـص علـى الـسماح لباخرتين بريطانيتين بالإبحار في نهر الفرات بالتناوب بقصد تـسهيل التجـارة وان تـستمر الملاحة طالما كانت مفيدة للدولتين ولا يحدث من ورائها متاعب[٨١].

قام جزني بعملية مسح نهر الفرات بواسطة الباخرتين (دجلة) و(الفرات) بدءاً من بيـره جك عند أعالي الفرات. وقد استغرقت تلك العملية مدة طويلة بـين سـنتي ١٨٣٠ ـ ١٨٣٧ عانت خلالها البعثة من صعوبات جمة ومنها غرق الباخرة (دجلة) وعدد من رجالها ومعداتها قرب مدينة (عنه). وبعد اكمال عملية المسح توصل جزني الى ان صعوبات عديدة تعتـرض استخدام نهر الفرات للملاحة التجارية والتجارة بين بريطانيا والهند[٨٢].

وبعد جزني أكمل أحد أفراد بعثته وهو هنري بلومي ليـنج **(H. B. Lynch)** بعمليـة مسح دجلة وشط العرب وبعض أجزاء نهر الفرات بين سنتي ١٨٣٨ ـ ١٨٤٠. أعقب ذلـك عمليات مسح أخرى في العراق قام بها ضباط بريطانيون من البحرية الهندية مـنهم فلـيكس جونز **(F. Jonse)** وسلبي **(F. W. Selby)** وآخرون[٨٣]. ما عدا عمليات المسح لأنهار العراق فان النصف الثاني من القرن التاسع عشر شهد فتح مشاريع مد سكة حديد فراتية بين البحـر المتوسط والخليج العربي كان الهدف منها حماية الخليج العربي وطريق الهند من احتمال تقدم روسي الى الخليج العربي وبالتالي تهديد المصالح البريطانية في الهند[٨٤].

وقد طرح أول مشروع في سـنة ١٨٥٦ مـن قبـل رابطـة ترقيـة وادي الفـرات **(Association for the Promotion of the Euphrates Valley)** إلا ان المشروع فشل لأنـه كان يتطلب ضمانات مالية من الحكومتين العثمانية والبريطانية. لم تكن الحكومـة العثمانيـة

---

[٧٩] نوار ، المصالح البريطانية في أنهار العراق ، ص ص ٤٢ ـ ٤٣.

[٨٠] صالح ، المصدر السابق ، ص ١٥٥. الشناوي ، المصدر السابق ، ص ص ٧٧٢ـ٧٧٣.

[٨١] نوار ، المصالح البريطانية في أنهار العراق ، ص ٤٤. الشناوي ، المصدر السابق ، ص ٧٧٤.

[٨٢] صالح ، المصدر السابق ، ص ١٥٦ ـ ١٥٧.

[٨٣] لمزيد من التفاصيل عن عمليات المسح التي قام بها الضباط البريطانيون في العراق ابان القـرن التاسـع عشر ينظر :

Hoskins; op. Cit, pp. 180-182, J.G Lorimer; Gazetteer of the Gulf. Oman and Central Arabia (Holland-1970). Historical, Vo;. 1, pp. 1343-1344, 1403, 1405.

[٨٤] التميمي ، المصدر السابق ، ص ٦٠.

راغبة وقادرة على منح تلك الضمانات، كما ان الحكومة البريطانية لم ترغب في دفـع هـذا المشروع بوجه المعارضة الفرنسية لأن الأخيرة كانت تعارض مـشروع الـسكة الحديديـة للأسباب التي جعلت بريطانيا تعارض وتعرقل مشروع قناة السويس الذي تبنته فرنسا. وبعـد سنوات قلائل بعث المشروع مرة أخرى في سنة ١٨٦٢ وكذلك سنة ١٨٧١ عندما اقترحـت لجنة خاصة في مجلس العموم البريطاني إنشاء سكة حديد فراتية لربط أحـد مـوانئ البحـر المتوسط برأس الخليج العربي بكلفة تصل الى عشرة ملايين باون استرليني. إلا ان الحكومـة البريطانية لم تدعم المشروع لأن طريق قناة السويس كان قد افتتح ويعمل بكفاءة منـذ سـنة ١٨٦٩[٨٥]. ومع ان مشاريع أخرى طُرحت بعد ذلك إلا ان الحكومة البريطانية لم تأبـه بهـا أيضاً وخاصة بعد الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢ وتأمين المواصلات البريطانية عبر قناة السويس[٨٦].

استمر العراق يحظى بأهمية سياسية واستراتيجية بالنسبة لبريطانيا ، ولاسـيما القـسم الجنوبي منه والذي يعد مدخلاً الى شمال الخليج العربي، حيث سعت بريطانيا الى إقامة سياج أمني لحماية الهند. هذا فضلاً عن التنافس البريطاني مع القوى الأوربية الأخرى على المنطقة عموماً وفي مقدمتها روسيا القيصرية وألمانيا. وتتأكد هذه الأهمية من التصريحات التي أدلـى بها كبار الساسة البريطانيين بهذا الصدد، فقد صرح اللورد كـرزون **(G. Curzon)**[٨٧] فـي سنة ١٨٩٢ بأن "بغداد تقع ضمن موانئ الخليج ويجب أن تدخل ضمن السيادة البريطانية التي لا تُنازع"[٨٨]. وفي سنة ١٩١١ صرح في مجلس اللوردات قائلاً: "من الخطأ أن نفتـرض ان مصالحنا السياسية تنحصر في الخليج، فانها ليست كذلك. كما انها ليست منحصرة بالمنطقـة الواقعة ما بين بغداد والبصرة، وإنما تمتد شمالاً الى بغداد نفسها[٨٩]. ان هـذا التـصريح ذو صلة بالتنافس البريطاني الألماني في العراق قبل الحرب العالمية الأولى.

بعد قيام الوحدة الألمانية سنة ١٨٧١ والتطور الكبير الحاصل في الاقتصاد والـصناعة الألمانية خلال العقدين التاليين اندفعت ألمانيا نحو ميدان التوسع الاستعماري وإقامـة منـاطق

---

[٨٥] Issawi; op. Cit, p. 137.

[٨٦] Admirality Naval Staff, Intelligence, Department; A Hanbook of Mesopotamia,(Second Edition-1918), Vol. I. P. 84.

[٨٧] سياسي بريطاني بـارز ، عـين وكـيلاً لـوزارة الهنـد بـين ١٨٩١ ـ ١٨٩٢ ووزيـراً للخارجيـة ١٨٩٢ـ١٨٩٨ ثم نائباً للملك في الهند ١٨٨٩ـ١٩٠٥ ومناصب مهمة أخرى فيما بعد.

[٨٨] فليب ويلارد آيرلند ، العراق ، دراسة في تطوره السياسي، (بيروت ، ١٩٤٩ ، ترجمة جعفر الخياط)، ص ٢٤.

[٨٩] المصدر نفسه ، ص ص ٢٤ ـ ٢٥.

النفوذ[٩٠]. وكانت الدولة العثمانية إحدى الميادين الأساسية التي تغلغل فيها رأس المال الألماني من خلال مشاريع السكك الحديدية في الأناضول على نحوٍ خاص. وسرعان ما وجه الألمـان اهتمامهم الى العراق ودرسوا إمكانية استغلال ثروته النفطية[٩١].

بيد ان أبرز مشروع ألماني تمثّل في مد سكة حديد بغداد - برلين من خلال إنشاء سكة حديد تربط بين شبكة السكك الحديدية في الأناضول وميناء البصرة عند رأس الخليج العربي. ففي آذار ١٩٠٣ حصلت شركة (سكة حديد الأناضول)، وهي مؤسسة ألمانية تعمل لحـساب البنك الألماني **(Deutsche Bank)** على امتياز من الدولة العثمانية لمد وتشغيل سكة حديد تمتد من قونية الى بغداد فالبصرة[٩٢].

أدى هذا المشروع الى دفع العامل الاستراتيجي الى المقدمة مرة أخرى فـي الـسياسة البريطانية تجاه العراق. فالمشروع يهدد بايصال الألمان الى رأس الخليج العربي وبالتالي يهدد الاستراتيجة البريطانية في منطقة حرصـت بريطانيـا علـى ضـمان احتكارهـا سياسـياً وعسكرياً[٩٣]. ويتضح هذا بشكل أكثر من المفاوضات البريطانية - الألمانيـة التـي جـرت بخصوص هذا المشروع في السنوات التالية. فقد كان هم المسؤولين البريطانيين محصوراً في الجزء الجنوبي من المشروع، أي من بغداد نحو الجنوب. وقد طرح أولئك المسؤولون فكـرة قيام المصالح البريطانية بمد الجزء الجنوبي من السكة بين بغداد والبـصرة، كمـا طرحـوا مشروع تدويل السكة أيضاً. وقد تم التوصل في النهاية الى مشروع اتفاق ١٥ تمـوز ١٩١٤ تخلت بموجبه بريطانيا عن معارضتها للمشروع مقابل تخلي الشركة الألمانية عن حقوقها في إيصال سكة الحديد الى الخليج العربي أو بناء ميناء على سواحله. وعلى أية حال لم يكتب لهذا الاتفاق أن ينفذ بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى التي انفردت بريطانيا بعـدها بالـسيطرة على العراق والخليج العربي[٩٤].

والى جانب المواصلات البريطانية في العراق ، فان أهميته استمرت قائمة بالنسبة لنقل البريد السريع بين الهند ولندن. وقد ضاعفت المنافسات الدولية في المنطقة من أهمية العـراق

---

(٩٠) بييررونوفن ، تاريخ القرن العشرين ، (ترجمة نورالدين حاطوم ، بيروت ، ١٩٦٥)، ص ص ٨ - ١١.

(٩١) نوري عبدالحميد العاني ، التاريخ السياسي لامتيازات النفط في العـراق ١٩٢٥ - ١٩٥٢، (بيـروت ، ١٩٨٠)، ص ٢٠.

(٩٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢.

(٩٣) التميمي ، المصدر السابق ، ص ٧٣.

(٩٤) لمزيد التفاصيل ينظر : عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم ، السلام البريطاني في الخليج العربي ، ١٨٩٩ -- ١٩٤٧، (الرياض، ١٩٨١)، ص ص ١٣٧ - ١٤٤. وكذلك البرت منتشاشفيلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، (بغداد، ١٩٧٨)، ترجمة هاشم صالح التكريتي)، ص ص ١٤٠ - ١٤٤.

في هذا المجال. وتأكيداً لذلك فان المقيم البريطاني في بغداد هارفورد جونز عقد اتفاقيـة مـع واليها المملوكي سليمان باشا بخصوص تنظيم نقل البريد بين الهند ولندن عبر العراق(٩٥). وقد استمر نقل البريد عبر الطريق البري حتى سنة ١٨٤١ عندما بدأ إرسال البريد مـن البـصرة الى بغداد عن طريق نهر دجلة على إحدى بواخر شركة الهند الشرقية(٩٦). وتم فـي الوقـت نفسه تنظيم نقل البريد من بغداد الى دمشق أسبوعياً بواسطة الجمال (بريد الهجـين) بعـد ان توصل هنري رولنصون **(H. C. Rowlinson)** القنصل البريطاني في بغـداد بـين ١٨٤٢ ـ ١٨٥٥، الى اتفاق بهذا الصدد مع قبائل البادية (٩٧). واستمر هذا الترتيب قائماً حتى ثمانينيات القرن التاسع عشر عندما جرى الغاؤه من جانب البريطانيين(٩٨).

من جهة أخرى شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر إنـشاء خطـوط تلغـراف بريطانية عبر العراق. ذلك ان الثورة التي قامت في الهنـد سـنة ١٨٥٧ ضـد الاسـتعمار البريطاني أوضحت أهمية الحاجة الى اتصالات تلغرافية سريعة لتحل محل البريد الصحراوي عبر العراق. وقد تقرر في البداية مد خط تلغراف الى الشرق عن طريق البحر الأحمر لكـن المشروع فشل سنة ١٨٦٠، ولذا تم اختيار طريق العراق بديلاً له(٩٩).

ومع نهاية سنة ١٨٦٤ تم انجاز خط تلغرافي يمتد من بغداد الى إيـران عبـر مدينـة خانقين ومنها الى طهران ثم اصفهان وشيراز انتهاء بميناء بوشهر على الخليج العربي، حيث ربط بخطوط الاتصال التلغرافي مع الهند(١٠٠). وفي تلك الـسنة أيـضاً بـدأت المواصـلات التلغرافية بين الفاو والهند عن طريق الكابل البحري والممتد تحت البحر الى ميناء بوشهر في بداية ١٨٦٥ تم انجاز خط التلغراف الذي يربط الهند بأوربا عبر الخليج العربي والفاو والقرنة وبغداد واسطنبول(١٠١). كما قامت حكومة الهند البريطانية بافتتاح مكاتب بريدية تابعة لها فـي

(٩٥)Hoskins; Op. Cit, p. 64.

(٩٦) حسين محمد قهواتي ، دور البصرة التجاري في الخليج العربي ، ١٨٦٩ ـ ١٩١٤ ، (بغداد ، ١٩٨٠) ، ص ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧.

(٩٧) المصدر نفسه ، ص ٣٠٨.

(٩٨) وليس بدج ، رحلات الى العراق ، (ترجمة : فؤاد جميل ، بغداد ، ١٩٦٨) ، جـ ٢ ، ص ٤٦.

(٩٩) ويلسون ، المصدر السابق ، ص ص ١٩٥ ـ ١٩٦.

(١٠٠) ابراهيم خليل وخليل علي مراد ، دراسات في تاريخ ايران وتركيا الحـديث والمعاصـر ، (الموصـل ١٩٩٢،)، ص ٨٨..

(١٠١) القهواتي ، المصدر السابق ، ص ٣١٨.

كل من البصرة وبغداد سنة ١٨٦٨[١٠٢]. وكانت هـذه المكاتـب تحـت إشـراف الممثلـين الدبلوماسيين البريطانيين فيها[١٠٣]، ومن ضمن وسائل النفوذ البريطاني في العراق[١٠٤].

٢ ـ المصالح الاقتصادية :

تطورت المصالح الاقتصادية البريطانية في العراق بدرجة كبيرة في أثناء القرن التاسع عشر. وما ان حلت السنوات الأولى من القرن العشرين حتى صار للبريطانيين دور حاسم في توجيه اقتصاديات العراق، حيث وضعوا أيديهم علـى تجـارة العـراق الخارجيـة وشـبكة المواصلات في البلاد، واستخدموا العراق سوقاً لتزويد الصناعة البريطانية بالمواد الخام[١٠٥]. ان نمو المصالح التجارية البريطانية في العراق كان واضحاً منذ بداية القرن التاسـع عـشر، ولاسيما مع ميناء البصرة[١٠٦]. ولكن النمو كان بطيئاً ابان العقود الأولى من القـرن التاسـع عشر، حيث كانت التجارة العراقية محدودة، وكان النشاط التجاري يعتمد الى حد كبير علـى تجارة الترانسيت، حيث يقوم العراق بدور محطة تجارية لا أكثر. وفضلاً على ذلـك كانـت التجارة العراقية مقصورة على الأقطار المجاورة ولا تكاد تتعداها الى أوربا[١٠٧]. إلا ان هـذه الصورة تغيرت بشكل جذري في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث شهدت التجارة العراقية توسعاً سريعاً كان حصيلة جملة عوامل داخلية وخارجية. وقد تمثلـت الأولـى فـي التطورات الداخلية التي شهدها العراق منذ ثلاثينيات القرن التاسع عشر ومنها عـودة الحكـم العثماني المباشر الى العراق وقمع الإمـارات الإقطاعيـة وادخـال الاصـلاحات الإداريـة والعسكرية التي دعمت الاتجاه نحو النظام والأمن، وجهود الوالي مدحت باشا لتسوية مـشكلة الأرض في العراق من خلال تفويضها بالطابو، ونشوء طرق المواصلات الحديثة، ولا سـيما النهرية منها وغير ذلك[١٠٨]. أما العوامل الخارجية قد مثلت في المتغيرات التي طرأت علـى

---

[١٠٢] آيرلند ، المصدر السابق ، ص ٢٣.

[١٠٣] القهواتي ، المصدر السابق ، ص ٣١٠. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العـراق الحـديث، جـ ٣، (بغداد، ١٩٧٢)، ص ص ٢٤١ ـ ٢٤٢.

[١٠٤]Foreign Office, Historial Section, Mesopotamia, (London-1920), p. 26. ;; : كذلك منتاشفيلي ، المصدر السابق ، ص ١٣٨.

[١٠٥] ل. ن. كوتلوف ، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق ، (بغداد ، ١٩٨٥ ، ترجمة : عبدالواحـد كرم) ، ص ٩٩.

[١٠٦] التميمي ، المصدر السابق ، ص ٤٨.

[١٠٧] محمد سلمان حسن ، التطور الاقتصادي في العراق ، التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي ١٨٦٤ ـ ـ ١٩٥٨، (صيدا، ١٩٦٥)، جـ ١، ص ٨٧.

[١٠٨] محمد سلمان حسن ، المصدر نفسه ، ص ص ٣٣ ـ ٣٤ ، ٨٧.

السياسة التجارية العثمانية. فقبل سنة ١٨٣٨ كانت الدولة العثمانية تفرض رسوماً كمركية عالية أعاقت التجارة الخارجية[١٠٩]. ولكن هذه السياسة تغيرت منذ عقد الاتفاقية التجارية العثمانية - البريطانية (معاهدة بلطة ليمان) سنة ١٨٣٨ والتي نصت على الغاء كل أنواع الاحتكارات التي كانت تمنع التجار البريطانيين من إقامة علاقات مباشرة مع التجار المحليين في الدولة العثمانية. وفرضت الاتفاقية رسوماً كمركية ثابتة منخفضة على الواردات والصادرات (٥% على الواردات و١٢% على الصادرات و٣% على تجارة الترانسيت). وكان مؤدى تطبيقها ان أصبحت المنتجات المحلية تخضع للرسوم لدى تداولها داخل الدولة العثمانية، بينما خضعت السلع المصدرة والمستوردة مرة واحدة لها لدى خروجها أو دخولها الى الدولة العثمانية[١١٠]. وصارت اتفاقية بلطة ليمان نموذجاً لاتفاقيات مماثلة عقدت مع فرنسا سنة ١٨٣٨ والدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية بين سنة ١٨٦١ - ١٨٦٢[١١١].وفي غضون ذلك كانت قد تغيرت نسبة الرسوم على الصادرات والواردات، حيث أصبحت ٨% على كل منها منذ سنة ١٨٦١، كما أخضعت رسوم الواردات لتخفيض سنوي قدره ١% ابتداء من سنة ١٨٦٩[١١٢]. وقد ترتب على تطبيق اتفاقية ١٨٣٨ تدفق البضائع الأوربية الى البلاد العربية والى خروج المواد الأولية منها لتغذية مصانع أوربا[١١٣]. ومن جهة أخرى فان عهد الاصلاحات العثمانية المعروف باسم (التنظيمات) بين ١٨٣٩-١٨٧٦ شهد اصدار فرامين واتخاذ اجراءات لتنظيم النشاط التجاري وتشجيع التبادل التجاري الداخلي الخارجي[١١٤].

وأخيراً فان افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ كان مهماً في تطور تجارة العراق الخارجية، فقد ساعد افتتاحها على ربط العراق بالسوق العالمية[١١٥]. وقد أدى ذلك الى اتساع تجارة التصدير العراقية الى أوربا الصناعية بصورة عامة، والى بريطانيا بصورة خاصة[١١٦]. والواقع ان هيمنة بريطانيا على جزء رئيس من تجارة العراق الخارجية استمرت لحين الاحتلال البريطاني للعراق. فخلال السنوات ١٩٠٠ - ١٩١٣ كانت حصة بريطانيا من

---

(١٠٩) نظمي ، المصدر السابق ، ص ٤١.

(١١٠) جلال أحمد أمين ، المشرق العربي والغرب ، (بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨١) ، ص ٢٧.

(١١١) زهير أحمد علي النحاس ، النشاط التجاري في الموصل بين الحربين العالميتين ١٩١٩-١٩٣٩، (رسالة دكتوراه غير منشورة) ، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٥) ، ص ٢٧.

(١١٢) نظمي ، المصدر السابق ، ص ٤٢.

(١١٣) أمين ، المصدر السابق ، ص ٢٨.

(١١٤) راجع تفاصيل ذلك في : النحاس ، المصدر السابق ، ص ص ٢٥ - ٣٠.

(١١٥) كوتلوف ، المصدر السابق ، ص ٢٦.

(١١٦) حسن ، المصدر السابق ، ص ٨٧.

مجموع ما يستورده العراق ٥٠%، كما ان ٢٥% من الصادرات العراقية كان يجد طريقه الى الأسواق البريطانية[١١٧]. ومن الواضح ان هذه النسب ترتفع كثيراً إذا أدخلنا ضمنها نسب الصادرات والواردات بين العراق والهند البريطانية[١١٨]. وفضلاً عن ذلك فقد كانت بريطانيا تهيمن على النقل والشحن التجاري البحري من العراق واليه. ففي سنة ١٨٩٦ كانت حمولة البضائع التي جرى تفريغها في ميناء البصرة ١٧٠,٥٦٦ طن ساهمت السفن البريطانية في نقل ١٣٠,٣٩٣ طن منها[١١٩]. أما في سنة ١٩١٣ فقد وصلت الى البصرة ١٦٣ سفينة تجارية بريطانية مقارنة بـ ٢٠ سفينة ألمانية تابعة لشركة خط هامبورغ - أمريكا **(Hmburg America-Line)**[١٢٠].

ومن الجدير بالذكر ان التجارة البريطانية واجهت منافسة من النشاط التجاري الألماني الذي تضاعف حوالي ١٠ مرات في الدولة العثمانية بين ١٨٨٩ - ١٩١٢[١٢١]، ومع ان ألمانيا لم تفلح في تحدي المركز التجاري البريطاني في العراق تحدياً جدياً، إلا ان الأوساط البريطانية اهتمت بمواجهة المنافسة الألمانية ومخاطرها المحتملة. فقد زار السير جورج لويد **(G. Lioyd)** العراق في سنة ١٩٠٧ وقدم بعدها تقريراً وافياً[١٢٢] الى اللجنة الاستشارية الخاصة بالاستخبارات التجارية في غرفة التجارة **(Roard of Trade)** بلندن أشار فيه الى وسائل الألمان للتغلغل تجارياً في العراق، وقدم مقترحات عديدة الى التجار والشركات التجارية البريطانية للحفاظ على التفوق البريطاني في العراق[١٢٣].

---

[١١٧] Reger Owen; The Middle East in World Economy, 1800-1914 (London-1981), p. 276.

[١١٨] أنظر بهذا الصدد نسب الصادرات من بريطانيا ومن الهند الى العراق والواردات البريطانية والهندية البريطانية من العراق ابان السنوات ١٩١١-١٩١٣ في :

A Hand Book of Mesopotamia. Pp. 200-201

ويمكن الحصول على فكرة مماثلة من مراجعة : الكسندر رادادموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، جـ ٢، (البصرة، ١٩٨٩، ترجمة: هاشم صالح التكريتي)، ص ص ٢١٢-٢٤٣.

[١١٩] Briton C. Busch; Britain and the Gulf 1894-1914, (Berkeley-1967), p. 35

[١٢٠] Owen; op. Cit. 276.

[١٢١] Foreign Office; Op, Cit, p. 27.

[١٢٢] Sir George Lioyd; Report Upon the Conditions and Prospect of British Trade in Mesopotamia (London-1908)

[١٢٣] التفاصيل في : Foreign Office; Op. Cit, pp. 102-104.

إن أية دراسة عن المصالح الاقتصادية البريطانية في العراق في أثناء القـرن التاسـع عشر ومطلع القرن العشرين يجب أن تأخذ في الاعتبار دور شركات النقل البريطانية العاملـة في العراق والتي كان لها دورها في تحقيق الهيمنة البريطانية على تجارة العراق الخارجية.

تعد شركة لنج للملاحة النهرية إحدى أهم الشركات البريطانية التي نشطت في العـراق منذ القرن التاسع عشر. ويمكن تتبع تاريخ هذه الشركة منذ العقد الرابع من ذلك القرن. فبعـد انتهاء عملية مسح نهر الفرات من قبل جزني سنة ١٨٣٧ عهد الى هنري بلوص لنج مسؤولية قيادة الباخرة النهرية (الفرات)، حيث قام حتى عام ١٨٣٩ بعمليات مسح في نهر دجلة واقتنع بما للعراق من مستقبل تجاري باهر[١٢٤]. وفي نهاية سنة ١٨٣٩ أرسلت شركة الهند الشرقية الإنكليزية ثلاث بواخر نهرية[١٢٥] مسلحة الى العراق للعمل في أنهاره وعهد الى هنري لـنج بقيادة هذه البواخر الثلاث لأغراض تجارية سياسية واستراتيجية[١٢٦]. وبعد مـضي سـنة أو أكثر قليلاً قام الاخوان هنري وتوماس لنج مع بعض أفراد عائلتهما بتأسيس بيت تجاري فـي بغداد[١٢٧]. وكانت بداية أعمال هذا البيت التجاري ناجحة حتى ان القـائمين عرضـوا علـى شركة الهند الشرقية ابتياع الباخرة (الفرات) مع باخرة أخرى عندما أرادت الـشركة سـحب بواخرها من العراق. ونظراً للأهمية الاستراتيجية لهذا الاقتراح فقـد وافقـت شـركة الهنـد الشرقية وتمت مراسيم البيع والشراء وأصبحت لبيت لنج باخرتان تجاريتان تعملان لحـسابه. وكان عمل بيت لنج ناجحاً تماماً خلال السنوات التالية. وقد استند بيت لنج في ممارسة نشاطه في ميدان النقل النهري في العراق الى الفرمان الصادر سنة ١٨٣٤ لتسهيل مهمة بعثة جزني، والى رسالة من الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) العثماني الى باشا حلب في ١٣ أيلول ١٨٤٢ بخصوص تقديم التسهيلات للباخرتين البريطانيتين (القائمتين بالملاحة في نهـر الفـرات (!!)

---

[١٢٤] صالح ، المصدر السابق ، ص ١٦٠. نوار ، المصالح البريطانية في أنهار العر اق ، ص ٦٢.

[١٢٥] وهذه البواخر تحمل أسماء (نمرود) و(آشور) و(نيتوكريس) (Nitocris) قد اسـتخدمت الـى جانـب الباخرة (الفرات) في عمليات المسح في دجلة والفرات ونقل البريد بين بغـداد والبـصرة. وحافظـت علـى اتصالات منظّمة بين االمقيم السياسي البريطاني في بغداد والسلطات البريطانية في الهند مـن خـلال مينـاء البصرة.

Margaret Makiya; “The Svoboda Diaries” Bulletin of the College of Arts (Baghdad) Vol XII-June, 1968, p. 40.

[١٢٦] القهواتي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

[١٢٧] يذكر زكي صالح ، ان تأسيس بيت لنج كان عام ١٨٤٠ بينما يرى القهواتي انه تأسـس فـي ١٨٤١. راجع وقارن، صالح، المصدر السابق، ص ١٦١. والقهواتي، المصدر السابق، ص ٢٠٥. أمـا مـا يـذكره هوسكنـز من ان تأسيس شركة لنج كان سنة ١٨٣٠ فهو غير دقيق. ينظر:

Hoskins; Op. Cit, p. 424.

لأغراض تجارية) والرسالة الموجهة من الصدر الأعظم الى والي بغداد في ٢ نيسان ١٨٤٦ بصدد حرية الملاحة البريطانية في دجلة والفرات[١٢٨].

إن النجاح الذي حققه بيت لنج وتوسيع أعماله شجعها على السعي لاشراك رؤوس أموال جديدة لجني مزيد من الأرباح وتحويل البيت التجاري المحلي الى شركة دولية[١٢٩]. وكان نجاح بيت لنج قد أكسبها ثقة أصحاب رؤوس الأموال[١٣٠]. وبدعم من الحكومة البريطانية وتدخلها صدر فرمان عثماني سنة ١٨٦١ وتأسست الشركة الجديدة باسم (شركة الفرات ودجلة للملاحة البخارية المحدودة **Euphratus and Tigris Steam Navigation Co.** بلندن في ٢٥ نيسان ١٨٦١ برأسمال أولي لا يزيد على ١٥٠٠٠ باون استرليني[١٣١]. وقد عززت هذه الشركة مركزها في العراق من خلال هيمنتها على النقل التجاري النهري، ومساهمتها في عملية تصدير المنتجات العراقية ولاسيما الحبوب والأصواف وقد فتحت هذه الشركة الباب أمام تغلغل المصالح الاقتصادية البريطانية، وبالتالي النفوذ البريطاني في العراق. ولقد ارتفع رأسمال الشركة الى ١٠٠,٠٠٠ باوند استرليني قبل الحرب العالمية الأولى ثم قفز الى ٣٠٠,٠٠٠ باون سنة ١٩١٩[١٣٢]. والى جانب نشاطها هذا فان الشركة ساهمت في نقل البريد الهندي، ومارست الملاحة منذ سنة ١٨٨٨ في نهر الكارون الذي يصب في شط العرب. وقدمت خدماتها كلها للقوات البريطانية عند احتلالها البصرة ١٩١٤[١٣٣].

والى جانب شركة لينج نشطت شركات بريطانية تجارية أخرى في العراق وأسهمت بدورها في تعزيز المصالح التجارية والنفوذ البريطاني فيه. ومنها - في سبيل المثال لا الحصر شركة كري مكنزي التي تأسست في البصرة سنة ١٨٤٠ ومارست تجارة تصدير الحبوب والتمور واستيراد البضائع من الهند وبريطانيا، وكانت وكيلة لشركة الهند الشرقية الإنكليزية في البصرة. وشركة أصفر التي كانت تقوم باستيراد البضائع من الهند الى البصرة وتقوم بتصدير الحبوب والتمور. وشركة سيمون كريبيان التي تأسست في البصرة سنة ١٨٩٦ وارتبطت بالتجارة البريطانية ونشطت في مجال استيراد البضائع وتصدير التمور والحبوب

---

(١٢٨) صالح ، المصدر السابق ، ص ص ١٦١ - ١٦٢.

(١٢٩) القهواتي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٧.

(١٣٠) نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ٢٧٣.

(١٣١) القهواتي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٨.

(١٣٢) نظمي ، المصدر السابق ، ص ٤٢ - ٤٣. ولمزيد من التفاصيل عن نشاط الشركة في العراق يمكن مراجعة القهواتي، المصدر السابق، ص ص ٢٠٨ - ٢٧٧.

(١٣٣) التميمي ، المصدر السابق ، ص ٥٥.

وغيرها من المنتجات المحلية وشركة اندرو وير التي تأسـست فـي البـصرة سـنة ١٩٠٥ ونشطت في شؤون الملاحة وشحن الحبوب والتمور[١٣٤]، وغيرها من الشركات. ومن جهـة أخرى نشطت شركات ومؤسسات تجارية وبريطانية كثيرة في مجال توريد السلع والمنتجـات المختلفة الى العراق من خلال وكلاء في العراق ولاسيما التجار اليهود[١٣٥].

بالاضافة الى المصالح الاقتصادية الملموسة فان البريطانيين أدركـوا أيـضاً الأهميـة المستقبلية لامكانيات العراق الاقتصادية، وهذا ما يسميه الدكتور زكي صالح بـ ـ (المـصالح التخمينية)[١٣٦]. ومن ذلك ما كتبه الضابط مونسيل في المجلة الجغرافية **(The Geographical Journal)** سنة ١٨٩٧ بخصوص مناطق النفط في العراق، حيث رسم خارطة لما في بـاطن الأرض من كنوز معدنية، وما عليها من خطوط المواصلات النهرية، وعد نهر دجلة ما بـين بغداد والخليج العربي منفذاً صالحاً لتصريف الانتاج النفطي المنتظر، وأضاف قـائلاً: "لعـل الاضطراب السياسي في تركيا سيزيد من تيسير الحصول على امتيازات لا ستثمار بعض هذه الثروات المعدنية المرموقة. وليس هنالك من شك في إمكان جعل النفط العراقي يدر انتاجاً ذا أهمية تجارية قصوى[١٣٧]. وتعززت الأهمية المستقبلية المحتملة للنفط العر اقي منـذ مطلـع القرن العشرين بعد حصول أحد الرعايا البريطانيين على امتياز نفطي من شاه فارس في ٢٨ أيار سنة ١٩٠١، وبدأ انتاج النفط هناك منذ سنة ١٩٠٨. وكان الاعتقاد السائد آنذاك ان منابع النفط في بلاد فارس والعراق جزء من تركيب جيولوجي واحد وان الحزام النفطي لحقول بلاد فارس يمتد الى تخوم العراق[١٣٨]. وفي ضوء ذلك تسابقت المصالح البريطانية مع المـصالح الألمانية والهولندية والأمريكية وغيرها للحصول على امتياز نفطي في ولاية الموصل قبيـل الحرب العالمية الأولى[١٣٩]. وفضلاً عن ذلك أدى اكتشاف النفط في بلاد فارس الـى زيـادة الأهمية الاستراتيجية للعراق من وجهة نظر بريطانيا بسبب مجاورته لحقول النفط في منطقـة الأحواز جنوب غرب بلاد فارس[١٤٠].

---

(١٣٤) التميمي ، المصدر السابق ، ص ٥٠ ـ ٥١.

(١٣٥) حسن ، المصدر السابق ، ص ص ٢٦٢ ـ ٢٦٤.

(١٣٦) صالح ، المصدر السابق نفسه ، ص ١٧٢.

(١٣٧) صالح ، المصدر السابق ، ص ١٨٠.

(١٣٨) العاني ، المصدر السابق ، ص ٢٣.

(١٣٩) مزيد من التفاصيل عن هذه المنافسات الدولية على نفط العراق قبل الحرب العالمية الأولى في، المصدر نفسه، ص ص ١٩ ـ ٣٠. وكذلك: حكمت سليمان، نفط العراق، دراسة اقتصادية سياسية، (بغداد، ١٩٧٩)، ص ص ٥٩ ـ ٩٥.

(١٤٠) التميمي ، المصدر السابق ، ص ٦١.

ويدخل ضمن المصالح التخمينية أيضاً تلك التوقعات التي أشار اليهـا مهنـدس الـري البريطاني المعروف وليم ويلكـوكس (W. Willcocks)[١٤١] بخـصوص امكانـات العـراق الزراعية في حال تنفيذ مشاريع الري اللازمة. وقد أصدر سنة ١٩٠٣ بحثاً بعنـوان "إعـادة مشاريع الري القديمة على نهر دجلة واحياء (رخاء) الدولة الكلدانية"، كما ألقى بحثاً في سـنة ١٩٠٩ أمام (الجمعية الجغرافية الملكية (Royal Geographical Societv) بعنوان (العراق في الماضي والحاضر والمستقبل). أشار فيه الى المسائل المتعلقة بالري فـي العـراق وامكانيـة توفير المياه لثلاثة ملايين فدان من الأرض يمكن أن يصل انتاجها السنوي الى مليون طن من القمح و١٠٠,٠٠٠ طن من القطن. مع ما يترتب على ذلك من زيادة هائلة في الثروة الحيوانية في منطقة الدلتا، أي الواقعة بين نهري دجلة والفرات في جنوب العراق. كما نـشر مقـالات أخرى بهذا الصدد في سنتي ١٩١٣ و١٩١٤[١٤٢] أيضاً.

التبشـير :

يعد التبشير وسيلة من الوسائل التي اعتمدتها دول أجنبية عديدة لتعزيز نفوذها في الدولة العثمانية[١٤٣]. وكان العراق ضمن الميادين التي نشطت وتنافست فيهـا البعثـات التبـشيرية الأجنبية الفرنسية والبريطانية والأمريكية[١٤٤]. وكان الفرنسيون قد سبقوا غيـرهم فـي هـذا المجال إذ يرقى تاريخ نشاط البعثات التبشيرية الفرنسية فـي العـراق الـى القـرن الـسابع عشر[١٤٥] بهدف كسب الطوائف المسيحية فيه الى المذهب الكاثوليكي. وقد تنبهـت الأوسـاط البريطانية المعنية الى مخاطر النشاط التبشيري الفرنسي في العراق ومضامينه السياسية، ولذا

---

[١٤١] وليم ويلكوكس (١٨٥٢ - ١٩٣٢) مهندس مدني بريطاني دخل الخدمة في دائرة الأشغال العامة الهندية Indian Public Works Department من سنة ١٨٧٢، وبعد أكثر من عقد من السنين أمضاه هناك انتقل الى مصر حيث عمل في دائرة الأشغال العامة المصرية منذ سنة ١٨٨٣ ووضع دراسات وتصاميم لانشاء سد في أسوان. ثم تقاعد من وظيفته في مصر ١٨٩٧ وبعد مضي ٤ سنوات ذهب الى جنوب أفريقيـا لدراسـة وتنفيذ بعض مشاريع الري فيها. ثم استقدمته الحكومة العثمانية خبيراً للري فيها واقترح في سنة ١٩١١ بنـاء سدة الهندية التي انتهى العمل فيها قبل الحرب العالمية الأولى. ينظر: =

Encyclopaedia Britannica, Vol. X, pp. 677-678.

[١٤٢] صالح ، المصدر السابق ، ص ص ١٨٠ - ١٨١.

[١٤٣] مصطفى خالدي ، وعمر فروخ ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، (بيروت ، ط ٤، ١٩٧٠)، ص ص ١١٦-١١٧.

[١٤٤] لمزيد من التفاصيل عن تاريخ نشاط البعثات التبشيرية في العراق يمكن مراجعة، سلامة حسين كـاظم، التبشير في العراق، وسائله وأهدافه (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٥.

[١٤٥] ذنون يونس حسين الطائي ، الاتجاهات الإصلاحية في الموصل في أواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٠)، ص ١٠٥.

قررت ولوج باب النشاط التبشيري في العراق منذ النصف الأول من القـرن التاسـع عـشر بهدف نشر المذهب البروتستانتي تمهيداً لكسب الطوائف المسيحية الى جانبها.

كان جروفز **A. N. Groves** أول مبشر بروتستانتي يصل الى العراق سـنة ١٨٢٩، أي قبيل وقت قصير من انهيار حكم المماليك في بغداد. وقد قام الرجل بمجهودات واسعة شـملت بغداد والموصل والبصرة. وأسس مدرسة في بغداد لتعليم الإنكليزية والعربية، كما جاب آلـة طباعة الى العراق في سنة ١٨٣٠. إلا ان حروب داود باشا آخر ولاة المماليك مـع قـوات السلطان العثماني وانتشار وباء الطاعون وكذلك فيضان دجلة ١٨٣٠ ـ ١٨٣١ أجبره علـى مغادرة العراق الى الهند سنة ١٨٣٢[١٤٦].

وفي سنة ١٨٣٦ قدم الى العراق مبشر بريطاني آخر هو صـموئيل **J. Samuel** وقـد نشط هذا المبشر بين يهود البصرة أولاً ثم انتقل الى بغداد ومارس نشاطه التبـشيري بـشكل علني واستفزازي، حيث كان يسير في شوارع المدينة وهو يوزع المطبوعات المسيحية فأبعده البريطانيون عن العراق خوفاً من نشوب فتنة في بغداد[١٤٧].

تركز النشاط التبشيري البريطاني بشكل رئيسي بين النساطرة في شمال العراق. حيـث توجد طائفة مسيحية تُعرف باسم السريان الشرقيين وباسم الكلدان أيضاً. ويـسميهم الأجانـب الآشوريين ومواطنهم في المناطق الجبلية من كردستان الوسطى بين بحيرتي وان وأورمية في الشمال والموصل في الجنوب. وكانوا يشكلون (ملّة) في الدولة العثمانيـة ويمثلـون كنيـسة مستقلة لا علاقة لها بكنيسة روما. ويتزعمهم بطريرك يلقب (مار شمعون) هو الرئيس الأعلى للقبائل التي يتشكل منها النساطرة وهو ينتخب من بين أفراد أسرة ينحـصر فيهـا المنـصب وراثياً. وكان مقر المار شمعون قبل الحرب العالمية الأولى في قوجانس **Kochannes** قـرب جوله ميرك[١٤٨].

في سنة ١٨٣٨ طلبت جمعية تعزيز المعرفة المسيحية **(Society for the Promotion of Christian Knowledge)** وهي هيئة مـسيحية بريطانيـة، مـن ولـيم اينـسورث **(W. A. Ainsworth)** القيام بجولة لدراسة أوضاع المسيحيين في كردستان[١٤٩]. وقد قـام اينـسورث يرافقه نائب القنصل البريطاني في الموصل كريستيان رسام، بزيارة مناطق النساطرة في سنة

---

[١٤٦] نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ٣٠٧. وللمؤلف نفسه داود باشا والي بغداد ، (القـاهرة ، ١٩٦٧)، ص ٣١٦.

[١٤٧] نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ص ٣٠٨ ـ ٣١٧.

[١٤٨] Hand book of Mesopotamia, p. 132.

[١٤٩] George P. Badger; The Nestorians and their Rituals (London-1852), Vol. I, p. XIV.

١٨٤٠. وقد بعث في نهاية الزيارة تقريراً الى الجمعية أشار فيه الى فقر وتخلف تلك الطائفـة وبان المار شمعون وغيره من رجال الدين النساطرة عبروا عن رغبتهم في مجيء رجل دين من الكنيسة الإنكليكانية لمساعدتهم في قضايا التعليم وتحسين أوضاعهم[١٥٠]. وكان النـساطرة قدموا منذ سنة ١٨٤٠ التماسات متكررة الى رئيس أسـاقفة كـانتربري **(Archiloishap of Canterbury)** طلباً للمساعدة[١٥١]. وبناء على ذلك وصل أثنان من القسس البريطانيين الـى النساطرة في سنة ١٨٤٣ وهما جورج بادجر **G. P. Badger** وفليتشر **J. P. Fletcher** ممثلين عن جمعية تعزيز المعرفة المسيحية وجمعية نـشر الإنجيـل **(Propogation of the Gospel Society)**[١٥٢]. وتواصل بعد ذلك ارسال قساوسة آخرين الى النساطرة. كما أبـدى رئـيس أساقفة كانتربري اهتماماً كبيراً بالنساطرة منذ ذلك الوقت. ومن خلال نفـوذه ومـساعيه تـم تشكيل بعثة تبشيرية للعمل بين النساطرة وبشكل مستمر منـذ سـنة ١٨٨٦ وهـي (البعثـة الآشورية التابعة لرئيس أساقفة كـانتربري ـ **Archibishop of Canterburys Asseriam Mission)**[١٥٣]. ومنذ ثمانينيات القرن التاسع عشر أيضاً نشطت بعثة تبـشيرية بريطانيـة أخرى في العراق وهي جمعية بعثة الكنيسة **(Curch Missionary Society)** التي أسست سنة ١٨٨٢ مستشفى في بغداد ثم مدت نشاطها الى الموصل[١٥٤]. ومن ضمن من عمل في هـذه البعثة انطوان كفرايل **A. Gvrail** وروبرت بروس **R. Bruse**[١٥٥].

التنقيب عن الآثار :

شهد القرن التاسع عشر نشاطاً ملحوظاً في ميدان التنقيب عن الآثار في العراق. وقـد تنافست البعثات الآثارية الفرنسية والبريطانية والألمانية على نحو خاص في الحفر والتنقيـب في المواقع الأثرية وتهريب نفائس المكتشفات الآثارية العراقية الى المتاحف الأوربية. وقد قاد

---

[١٥٠] Ibid; Hormuzd Rassam; Assur and the Land of Nimrod (New York-1897) p. 147.

[١٥١] Rassam; op. Cit, p. 148. وقد قدم بطريرك النساطرة طلباً مماثلاً الى القنصل البريطاني في بغداد سنة ١٨٤٢ بخصوص التدخل لحماية النساطرة. ينُظر:

John Joseph; the Nestorians and their Muslim Neighbors (Prenceton-1961) p. 57.

[١٥٢] Rassam Op. Cit, p. 148.

[١٥٣] Harry C. Luke-; Mosul and Its Miorities (London-1925), p. 95.

[١٥٤] جاسم محمد حسن ، العراق في العهد الحميدي ١٨٧٦ ـ ١٩٠٩ ، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥، ص ٣٦٧.

[١٥٥] ابراهيم خليل أحمد ، النشاطات الطبية والخدمات الصحية في العراق ١٢٥٨ ـ ١٩٢١، مجلـة التربيـة والعلم، جامعة الموصل، ١٩٨٦، ص ٢٦٠.

الحملات التنقيبية في البداية قناصل بريطانيا وفرنسا، وكانت مصادر معلوماتهم عن آثار هذه المنطقة بالدرجة الرئيسة أسفار العهد القديم (التوراة) وما كتبه الرحالة الـذين زاروا أطـلال المدن والمواقع القديمة ودونوا ملاحظاتهم عنها[١٥٦].

كان كلوديوس جمس ريج **Cloudius J. Rich** (١٧٨٧ـ١٨٢١) الـذي عمـل مقيمـاً بريطانياً في بغداد من ١٨٠٨ـ١٨٢١ من أوائل الدبلوماسيين الأجانب الذين اهتموا بـالمواقع الأثرية في العراق وقد أبدى ريج منذ صباه اهتماماً بدراسـة اللغـات الـشرقية والجغرافيـة والتاريخ[١٥٧]، وعندما تولى مهام منصبه في بغداد أتيحت له فرصة دراسة الآثار في المنطقة وجمع لنفسه مجموعة من المخطوطات والنقوذ المعدنية والقطع الفنية وكسر الآثار[١٥٨]. وقـد قام ريج بزيارة بابل سنة ١٨١١ ودون عنها ملاحظات نُشرت فيما بعد[١٥٩]، كما قام بجولـة في شمال العراق سنة ١٨٢٠ زار خلالها المواقع الأثرية في الموصل وقام بتدوين ملاحظات نُشرت بعد وفاته[١٦٠]. وقد أثارت كتاباته وملاحظاته الاهتمام بالآثار الآشـورية فـي القـرن التاسع عشر[١٦١]. ومثل ريج كان الوكيل السياسي والقنصل البريطـاني فـي بغـداد هنـري رولنصون **H. C. Rowlinson** الذي تولى مهمة تمثيل بلاده في بغداد بين ١٨٤٣ـ ـ١٨٥٥ منقباً وعالماً بارزاً في علم الآشوريات[١٦٢].

إن أولى أعمال التنقيب عن الآثار في العراق ارتبطت باسم اوستن هنري لايارد **(A. H. Layard)**[١٦٣]. بعد جولة في المواقع الأثرية في الموصل وزيارة قام بها لبغداد فـي بدايـة

---

(١٥٦) جابر خليل ابراهيم، الأنشطة الآثارية ، في موسوعة الموصل الحضارية (الموصل، ١٩٩٢)، جـ ـ ١، ص ٤٩٠.

(١٥٧) أي. روبستن بابك ، قصة الآثار الآشورية (بغداد ، ١٩٧٢، ترجمة يوسف داود عبـدالقادر)، ص ٣٢. ولمزيد من التفاصيل عن هذا الجانب من حياة ريج يراجع: رحلة ريج في العراق عام ١٨٢٠، جـ ـ ١ (بغداد، ١٩٥١، ترجمة بهاء الدين نوري)، ص ١٤.

(١٥٨) المصدر نفسه ، ص ٣٤.

(١٥٩) الطائي ، المصدر السابق ، ص ١١٩.

(١٦٠) يمكن مراجعة التفاصيل في كتابه:

C. J. Rich; Narrative of Residence in Kurdistan and the Site of Ancient Nineveh (London-Repulished)- 1972), 2 Vol.

(١٦١) يوسف رزق ا غنيمة ، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ، (بغداد ، ١٩٢٤) ، ص ٢٢.

Gordeon Waterfield, Layard of Nineveh (London-1963), p. 42.

(١٦٢) L. Stephen & S. Lee (eds); The Dictionary of National Biography (Oxford-1964), Vol. XVI, p. 771.

(١٦٣) ولد لايارد في باريس سنة ١٨١٧ ، حيث كان رب الأسرة دبلوماسياً هناك. وقد تلقى تعليمه في إيطاليا وفرنسا وسويسرا وانكلترا. وعمل في وظيفة قانونية في لندن ثم تركها سـنة ١٨٣٩ ليقـوم بجـولات فـي

أربعينيات القرن التاسع عشر تمكّن لايارد. وبمساعدة من السفير البريطاني فـي اسـطنبول الحصول على فرمان من السلطان العثماني في سنة ١٨٤٥ بخـصوص الاذن لـه بـاجراء تنقيبات في المدن الآشورية[١٦٤]. وكان ذلك فاتحة نشاط آثاري واسع النطاق للايارد حتى سنة ١٨٥١. وشملت هذه التنقيبات مواقع آثارية منها آشور ونينوى والنمرود وبورسـبا (بـرس نمرود) ونفر[١٦٥]. وكانت حصيلة تلك التنقيبات اكتشاف كنوز أثرية مهمة نُقلت معظمها الـى المتحف البريطاني الذي كان يمول تلك التنقيبات.

وبعد مغادرة لايارد قام شاب مسيحي موصلي هو هرمز رسام (١٨٢٦ ـ ١٩١١)[١٦٦] باكمال التنقيبات الأثرية التي قام بها لايارد ولحساب المتحف البريطاني أيضاً. وقـد شـملت تنقيباته مواقع آشورية وبابلية منها آشور والنمرود وسبار (أبو حبة) وبورسبا وتلو (كرصـو) وغيرهما واستمرت نشاطاته حتى مطلع ثمانينيات القرن الماضي[١٦٧]. وفي غضون ذلك أيضاً قام منقبون بريطانيون آخرون بأعمال التنقيبات في مواقع أثرية مختلفة فـي شـمال العـراق وجنوبه ومن هؤلاء لوفتوس **Loftus** وجـورج سـمث **G. Smith** والـسير والـيس بـدج **Budge**[١٦٨].

الأناضول وبلاد الشام والعراق وبلاد فارس. وقد كلفه السفير البريطاني في اسـطنبول سـنة ١٨٤٢ بمهـام دبلوماسية غير رسمية. وقد أمضى وقتاً طويلاً في الموصل وأطرافها وقام بتنقيبات آثارية مهمة في مواقعهـا القديمة. ثم عمل بعد ذلك في البرلمان الإنكليزي لسنوات عديدة كما تولى مناصب مهمة في وزارة الخارجيـة من ١٨٦١ـ١٨٦٦ كما أصبح سفيراً لبلاده في اسطنبول من ١٨٧٧ ـ ١٨٨٠ توفي في لنـدن سـنة ١٨٩٤ لمزيد من التفاصيل عنه راجع:

Waterfield; Op. Cit.

[١٦٤] ابراهيم ، المصدر السابق ، ص ٤٩٢.

[١٦٥] لمزيد من التفاصيل راجع : سليمان صائغ ، تاريخ الموصل ، جـ ٣ ، نفائس الآثار (جونيه، ١٩٥٦)، ص ص ٢٦ـ٣٢. بايك، المصدر السابق، ص ٤٧. قحطان رشيد صالح، الكشاف الأثري في العراق (بغداد، ١٩٨٧)، ص ص ٢٤، ٢٨، ٣٦، ٢٠٩، ٢٣٧.

[١٦٦] هو هرمز ابن القس انطوان رسام ولد في الموصل سنة ١٨٢٦ ، وأبدى اهتماماً بالآثار القديمـة منـذ مطلع شبابه. ثم رافق لايارد في تنقيباته وعاد معه الى لندن سنة ١٨٤٧، حيث درس في جامعة اكسفورد علم الآثار ثم أعقب لايارد في مواصلة التنقيبات الآثارية في العراق لحساب المتحف البريطـاني. كمـا انتدبتـه الحكومة البريطانية في مهام سياسية الى عدن سنة ١٨٦١ والى الحبشة في سنة ١٨٦٤. لمزيد من التفاصـيل راجع: سليمان صائغ، تاريخ الموصل، جـ ٢، (بيروت، ١٩٢٨)، ص ص ٢٧٤ـ٢٧٥.

[١٦٧] قحطان رشيد صالح ، المصدر السابق ، ص ٢٤، ٣٦، ١٥٣، ٢٠٩، ٢٦٣.

[١٦٨] المصدر نفسه ، ص ص ٢٤، ٢٩، ٣٦، ٢٤٨، ٢٥٦. بدج ، المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٦٠ ومـا بعدها.

٥ ـ الرعايا البريطانيون في العراق :

فيما عدا المصالح البريطانية التي سبق ذكرها فان وجود عدد غير قليل مـن الرعايـا البريطانيين في العراق كان باعثاً آخر للاهتمام البريطاني بالعراق. لقد كان عدد البريطـانيين في العراق قليلاً ويتمثل أساساً في أولئك الذين يعملون في المشاريع التجارية ولكن الى جانب هؤلاء كان هناك عدد كبير من الرعايا البريطانيين، لاسيما الهنود الذين كانوا يقومون سـنوياً بزيارة العتبات المقدسة وأضرحة الأولياء في العراق ويستقر بعضهم فيها. وكان معظم هؤلاء الهنود من البهرة الذين يقصدون كربلاء والنجف أساساً، والكاظمية وسامراء وبدرجة أقل. كما كان عدد من الهنود السنة يفدون الى العراق لزيارة مرقدي الإمام أبي حنيفة والشيخ عبدالقادر الكيلاني في بغداد[١٦٩]. وكان الهنود يتمتعون بحماية بريطانية بوصفهم من رعاياها. وقد قدر أحد الباحثين عددهم ما بين ٨ و١٠ آلاف[١٧٠]. في حين قدر لوريمر **G. J. Lorimer** وكـان مقيماً سياسياً وقنصلاً عاماً لبريطانيا في بغداد بين ١٩٠٩ـ١٩١٤، عددهم من مطلـع هـذا القرن بحوالي ٣٠٠٠ فقط بضمنهم ١٠٠ من الأفغان و٥٠ من التبت[١٧١].

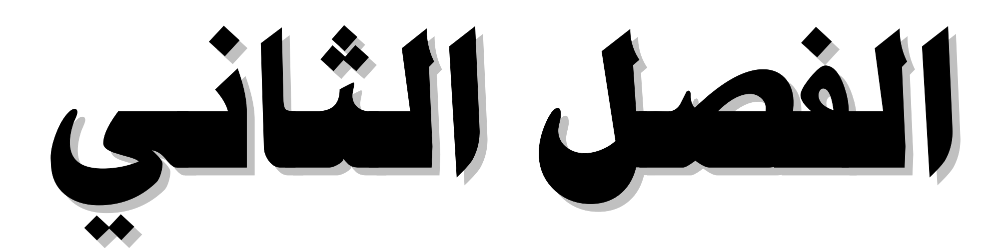
إن نمو وتشعب المصالح البريطانية في العراق في القرن التاسع عشر يفسر الاهتمـام الذي أبدته بريطانيا بتمثيلها السياسي والقنصلي في العراق، والذي شهد هـو الآخـر تطـوراً يوازي التطور في المصالح البريطانية في العراق وهو ما سنعرضه في الفصل الثاني.

---

[١٦٩] الشناوي ، المصدر السابق ، ص ٨١٣.

[١٧٠] المصدر نفسه ، ص ٨١٠.

[١٧١] p. 880 Lorimer; Op. Cit, Vol II, Geographical an Statisical,



نشأة التمثيل الدبلوماسي في العراق وتطوره حتى عام ١٩١٤

مقدمة

بدأ التمثيل الدبلوماسي البريطاني في الدولة العثمانية منذ مطلع ثمانينيات القرن السادس عشر. وقد تولت شركة الشرق الأدنى تعيين السفراء البريطانيين في اسطنبول والقناصل في مدن عثمانية أخرى حتى سنة ١٨٢٥ عندما بدأت الحكومة البريطانية بتعيينهم[١] .

وكان تعيين هؤلاء السفراء والقناصل يتم وفقاً لنظام الامتيازات الأجنبية (Capitulations)[٢] في الدولة العثمانية وقبل أن تتحول تلك القنصليات الأجنبية الى أوكار للنشاط السياسي لم تظهر الدولة العثمانية أي تردد في الموافقة على فتح قنصليات في أراضيها مدفوعة في ذلك بالرغبة في تطوير علاقاتها التجارية مع الدول الأوربية[٣]. كما أصدرت بعض الأنظمة الخاصة بأوضاع القناصل الأجانب على أراضيها[٤]. وكما لاحظنا سابقاً فان

[١] Sousa, Op. Cit, p. 63.

[٢] بدأت الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية بالمعاهدة الموقعة بين السلطان سليمان القانوني وملك فرنسا فرانسوا الأول سنة ١٥٣٥، ثم عدلت ووسعت في سنة ١٥٨١. وفي السنوات اللاحقة خول السلطان العثماني ملك فرنسا أن يعين سفيراً في اسطنبول وسمح للسفن الفرنسية بزيارة الموانئ العثمانية بحرية. وخول قناصل فرنسا في الدولة العثمانية حق محاكمة الرعايا الفرنسيين المقيمين فيها دون الرجوع الى المحاكم العثمانية. كما حددت نسبة الرسوم الكمركية التي يدفعها التجار الفرنسيون والسفن الفرنسية في الأراضي والموانئ العثمانية وغير ذلك. وقد اتسع نطاق الامتيازات الأجنبية فيما بعد ليشمل بريطانيا (١٥٨٠-١٥٨٣) وهولندا (١٦١٣) وروسيا القيصرية (١٧١٧) والنمسا (١٧١٨) وبروسيا (١٧٤٠). وفي نهاية القرن الثامن عشر منحت كل البلدان الأوربية هذهالامتيازات عدا سويسرا والدولة البابوية، كما منحت الولايات المتحدة الأمريكية في سنة ١٨١٨. ومع ان الامتيازات الأجنبية كانت في البداية بمثابة منح تمنح للأجانب من قبل السلطان العثماني القوي علامة على كرمه، إلا انها اتخذت في القرن التاسع عشر، عندما تدهورت الدولة العثمانية، شكل اتفاقيات تُفرض على = = السلطان العثماني وكان على كل سلطان جديد الاعتراف بها فور ارتقائه العرش. أنظر: ز. ي. هرشلاغ، مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط، (بيروت، ١٩٧٣، ترجمة مصطفى الحسيني)، ص ٦٠-٦٢.

[٣] Yilmaz Oztuna; Buyak Turkiye Tarihi (Istanbul-1983), Cit, 9, p. 17.

[٤] من ذلك مثلاً النظام العثماني الصادر سنة ١٣٨٥هـ/١٨٦٨م بخصوص أصول الاعفاءات الكمركية للقناصل الأجانب ووكلاء القناصل. وشمل النظام أيضاً اثنين من كبار الموظفين الذين بمعية كل من بدرجة

شركة الشرق الأدنى لم تعين قناصل في العراق بل ان الذين تولوا المهـام القنـصلية فيـه، ولاسيما في بغداد والبصرة كانوا تابعين لشركة الهند الشرقية الإنكليزية، ثم لحكومـة الهنـد البريطانية. وقد اتسع نطاق التمثيل الدبلوماسي البريطاني في العراق في القرن التاسع عـشر بسبب نمو وتشعب المصالح البريطانية فيه الأمر الذي تطلب إقامة تمثيل دبلوماسي بريطـاني في العديد من المدن الرئيسة في العراق، وقد استمر هذا التمثيل حتى نشوب الحرب العالميـة الأولى عندما طلب السفير البريطاني في اسطنبول جواز سفره من الحكومة العثمانية فـي ٣١ تشرين الأول ١٩١٤ وأمر بانسحاب جميع القناصل البريطانيين من الأراضي العثمانية(٥) .

التمثيل الدبلوماسي البريطاني في بغداد :

عندما كان الفرنسيون يعدون العدة لارسال حملة عسكرية الى الشرق سنة ١٧٩٨ توقع البريطانيون، كما لاحظنا في الفصل الأول، بأن الهدف النهائي للحملة الفرنسية هـو ضـرب الوجود والمصالح البريطانية في الهند، وتأسيساً على ذلك قامت السلطات البريطانيـة باتخـاذ اجراءات سياسية ودبلوماسية في كل من عمان وبلاد فـارس والعـراق لمواجهـة الخطـط والنشاطات الفرنسية في المنطقة(٦)، وبقدر تعلق الأمر بالعراق، فان الاجراء البريطاني تمثّـل في قرار تأسيس مقيمية في بغداد منذ صيف ١٧٩٨.

كانت بغداد قد ظلت بعيدة عن أي اهتمام جدي من لدن البريطانيين رغم بدء علاقـاتهم ومصالحهم مع العراق منذ النصف الأول من القرن السابع عشر. ومع ان مقيمـة بريطانيـة تحت اشراف موظف أوربي كانت قد تأسست في بغداد سنة ١٧٦٥، إلا انها ألغيت في الـسنة التالية(٧). ومنذ سنة ١٧٨٣ أصبح للمقيم البريطاني في البصرة وكيل محلـي **Native Agent** في بغداد(٨). ومع ظهور التهديد الفرنسي المحتمل في سنة ١٧٩٨ قرر البريطانيون تأسـيس مقيمية في بغداد لتكون "مركزاً لجمع المعلومات والاتصالات بين لندن والهند"(٩). وكان ذلـك

قنصل عام، وموظف كبير واحد بمعية كل من بدرجة قنصل، أنظر: الدولة العثمانيـة، الدسـتور، مجلـد ٢ (بيروت، ١٣٠١هـ، ترجمة نوفل أفندي نعمة ا نوفل)، ص ص ٥٥١-٥٥٦.

(٥) 3-4. Briton C. Busch, Britain and the Arabs 1914-1921, (Berkely-1971) pp.

(٦) لمزيد من التفاصيل عن الموضوع يمكن مراجعة :

Kelly; Op. Cit. Pp. 62-98.

العابد ، المصدر السابق ، ص ص ٧٩-١٣٦. سمير محمد علي أبو ياسين ، العلاقات العمانية - البريطانية ١٧٨٩-١٨٥٦ (البصرة، ١٩٨١)، ص ص ٢٥-٤٦.

(٧) p. 1225. Lorimer, Op. Cit,

(٨) العابد ، المصدر السابق ، ص ٥٣.

(٩) المصدر نفسه ، ص ٩٧.

القرار مؤشراً على تحول مهم في السياسة البريطانية في منطقة الخليج العربي. فقد كان بمثابة إشارة الى التغير الذي طرأ على المصالح البريطانية من المصالح التجاريـة الـى المـصالح السياسية، وبمثابة اعتراف بالمشكلة الاستراتيجية المتمثلة في الدفاع عن الهنـد[١٠]. وبطبيعـة الحال فان الضرورة اقتضت اسناد منصب المقيم في بغداد الى شـخص ذي خبـرة والمـام بشؤون المنطقة وممن سبق لهم العمل فيها. وقد وقع الاختيار على هارفورد جونز لتولي ذلك المنصب. وكان جونز قد دخل في خدمة شركة الهند الشرقية بوظيفـة كاتـب فـي حكومـة بومباي، ثم خدم في منطقة الخليج العربي بصفة مساعد للمقيم البريطاني في البـصرة خـلال السنوات ١٧٨٤ـ١٧٩٤ غادر بعدها البصرة عائداً الى بـلاده سـنة ١٧٩٥ بـسبب حالتـه الصحية وظروفه العائلية. وعندما كان هناك صدرت اليه الأوامر في ٥ تموز ١٧٩٨ بالتوجه الى بغداد لتسلم مهام منصبه الجديد هناك[١١].

مر جونز وهو في طريقه الى بغداد ، بالعاصمة العثمانية اسطنبول، حيث قابل الـسفير البريطاني هناك سينسر سمث **S. Smith** وطلب منه أن يحصل له على كتـاب مـن البـاب العالي الى والي بغداد وقد رفض سمث ذلك في البداية ولكن يبدو انه حـصل علـى فرمـان لجونز فيما بعد. ان تردد السفير البريطاني يعود الى ارتباطه بشركة الشرق الأدنى التي كانت تنظر نظرة عدم رضى الى خلق سلطة منفصلة من خلال إقامة ممثل لشركة الهنـد الـشرقية الإنكليزية في ولاية عثمانية، فضلاً عن بعض الإشكالات ذات الـصلة بتحديـد الـصلاحيات وشكل العلاقة بين السفير البريطاني في اسطنبول وممثل شركة الهند الشرقية الإنكليزية فـي بغداد[١٢].

وصل جونز الى بغداد في ٢١ أيلول ١٧٩٨ ولم يواجه صعوبة تُذكر في كسب واليهـا المماوكي سليمان باشا الكبير (١٧٨٠ـ١٨٠٢). فقد كان جونز يحمل رسائل اليه من دونداس ومجلس المديرين في شركة الهند الإنكليزية[١٣]، فضلاً عن هدية ثمينة للوالي وهدايا أخرى قام بتوزيعها على كبار المسؤولين في بغداد[١٤]. والواقع ان هناك عوامل أخرى سـهلت مهمـة

---

[١٠]M.E. Yapp; "The Establishment of the East India Company Residency at Baghdad 1798-1806" B.S.O.A.S. Vol. XXX, Part 2, 1967, p. 323-326.

[١١]Yopp, Op. Cit, pp. 325-326.

ويمكن مراجعة نص الأمر الصادر في ٥ تموز ١٧٩٨ بتعيين هارفورد جونز والمتضمن أيـضاً أهـم التـوجيهات الصادرة اليه بخصوص عمله في بغداد في:

Lorimer; Op. Cit, pp. 1620-1621.

[١٢]Yapp, Op. Cit, p. 327.

[١٣] راجع نص الرسائل في: Lorimer; Op. Cit, pp. 1622-1624.

[١٤] العابد ، المصدر السابق ، ص ٩٩.

جونز في بغداد وسرعة انتشار النفوذ البريطاني في العراق، منها شعور ولاة بغداد المماليـك بالحاجة الى الدعم البريطاني لهم في صراعهم مع الباب العالي من جهـة، ومـع خـصومهم المحليين، وجيرانهم الفرس الطامعين بأرض العراق من جهة أخرى[١٥]، ناهيك عـن التهديـد الوهابي للعراق[١٦]. وقد أمدت حكومة بومبي والي بغداد في مناسبات عدة فـي سـنة ١٧٩٨ و١٧٩٩ بكثير من الأسلحة والذخائر بسعر الكلفة، كما استجابت لطلبـه بخـصوص إرسـال مدربين للمدفعية وأرسلت اليه ثلاثة من رجال المدفعية الأوربيين الذين وصلوا البصرة في آب ١٧٩٩[١٧].

ولأجل دعم مركز المقيم البريطاني في بغداد ، وتقوية النفوذ البريطـاني فـي ولايـة بغداد[١٨]، سعت الحكومة البريطانية الى منح المقيم البريطاني في بغداد صفة دبلوماسية. وكان جونز نفسه يلح باتخاذ اجراء في هذا الاتجاه لتحويل مقيمية بغداد الى قنصلية بريطانيـة[١٩]. وقد نجح السفير البريطاني في اسطنبول توماس الكن **Thomas R. Elgin**[٢٠] في الحـصول على فرمان من السلطان العثماني في ٧ رجب ١٢٠٧هـ/ ٢ تشرين الثـاني ١٨٠٢تـضمن اعترافاً بجونز قنصلاً لبريطانيا في بغـداد وحواليهـا مـع تمتعـه بالحـصانة الدبلوماسـية والامتيازات[٢١].

---

[١٥] مهدي جواد حبيب البستاني ، دراسات لوثائق عثمانية غير منشورة : كوت الفرنجي موطئ القدم الأولى في المخطط البريطاني لاحتلال العراق، مجلة دراسات في التاريخ والإثارة، العدد ٣، ١٩٨٧، ص ٩٣.

[١٦] راجع تفاصيل الصدام بين سليمان باشا والوهابيين منذ سنة ١٧٨٥ في صادق حسن السوداني، العلاقـات العراقية ـ السعودية ١٩٢٠ـ١٩٣٨، (بغداد، ١٩٧٦)، ص ص ٢٦ـ٣٦.

[١٧]Lorimer, Op. Cit, p. 1292, Yapp; Cit, p. 329.

[١٨]Ingram; Op. Cit, p. 297.

[١٩]Yapp; Op. Cit, p. 328.

[٢٠] يشار اليه بلقب ايرل اوف ايلجن : وكان سفيراً في اسطنبول بين سنة ١٨٠١ـ١٨٠٣.
Earl of Elgin.

[٢١] ورد في الفرمان السلطاني ان السفير البريطاني قدم مذكرة الى الباب العالي أشار فيها الى وجود قناصل إنكليز في العديد من الموانئ والمدن العثمانية استناداً الى الامتيازات الأجنبية. وبأن الـسفير عبـر عـن الرغبة في تعيين هارفورد جونز، المقيم في بغداد قنصلاً لبريطانيا في بغداد وأطرافها لحمايـة مـصالح التجار البريطانيين والرحالة البريطانيين هناك. وان السلطان العثماني قرر، انسجاماً مع نظام الامتيازات الأجنبية الموافقة على الطلب. وقد نص الفرمان على اعتبار القنصل مسؤولاً عن شؤون التجار والرحالـة الخاضعين لحماية العلم البريطاني. كما أكد امتيازات عديدة للقنـصل والعـاملين بـصحبته ومـن تلـك الامتيازات عدم تدخل أحد في الشؤون الخاصة للقنصل، واعفاء العاملين معـه مـن جميـع الـضرائب والرسوم المفروضة على الرعايا العثمانيين، ومنح القنصل الحصانة ضد الاعتقال وعدم جواز تفتيش داره

وبعد زوال خطر التهديد الفرنسي عن المنطقة في سنة ١٨١٠ مباشرة كان هناك اتجـاه للتقليل من شأن التمثيل البريطاني في بغداد. فقد تقرر في تلك السنة دمج المقيمية البريطانيـة في بغداد والمقيمية البريطانية في البصرة في مقيمية واحدة عرفت باسم (مقيميـة البـصرة) وعهدت اليها مهمة رعاية الشؤون الهندية والبريطانية في بغداد والبصرة، ومع ان قرار الدمج كان يقضي بأن تكون البصرة مقراً للمقيم الذي عليه أن يرسل، إذا لزم الأمر، مساعداً أوربياً يعين لاحقاً في المقيمية لزيارة والي بغداد، إلا ان تطبيق القرار أدى عملياً الى الغاء مقيميـة البصرة، ذلك ان المقيم البريطاني صار يسكن في بغداد بصفة دائمة تاركاً الأمور في البصرة الى مساعد تابع له[٢٢].

إن الأفضلية التي تحققت لبغداد على البصرة من الناحية العملية يمكـن تفـسيرها فـي ضوء عاملين، أولهما الملاحظات السلبية التي كانت لدى مجلس المديرين عن مـسلك المقـيم البريطاني في البصرة مانيستي **Manesty** (١٧٨٤ ـ ١٨١٠)[٢٣]، وثانيهما أهمية وشخـصية المقيم البريطاني في بغداد والذي تقررت في عهده دمج القنصليتين وهو كلوديوس جيمس ريج الذي تولى المنصب بين ١٨٠٨ ـ ١٨٢١[٢٤]. وقد تحولت المقيمية البريطانية في عهـده الـى مركز قوة ونفوذ كبيرين في بغداد والعراق[٢٥].

أو اغلاقها وعدم جواز مضايقة العاملين بصحبته، وان أية شكوى ضده يجب أن ترفـع الـى الـسلطان مباشرة، ومنح حتى السفر والتجول في أنحاء البلاد وله الحق أيضاً في ارتداء عمامة بيضاء وحمل سيف وقوس وما الى ذلك من الأسلحة في المواتئ الخطرة. راجع نص الفرمان بالإنكليزية فـي: نـوار، داود باشا، ملحق رقم (٨)، ص ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧.

(٢٢) ابراهيم ، حكومة الهند البريطانية ، ص ص ١١٧ ـ ١١٨.

Lorimer, Op. Cit, p. 1334; George N. Curzon; Persia and the Persian Questin. (London-1966), Vol. 2.

(٢٣) من ذلك تورطه في مشاكل والي بغداد في سنة ١٧٩١ ـ ١٧٩٥ وسنة ١٨٠٣، وقيامه بمنح نفسه صـفة مبعوث الى بلاط شاه فارس دون تفويض بذلك سنة ١٨٠٤، واصداره مستندات دفع على حكومة بومبي فـي سنة ١٨٠٥ دون وجود تفويض وأموال مرصودة لذلك ثم مغادرة مقر عمله الى بومباي بدون اسـتئذان مـن السلطات العليا مما أدى في النهاية الى عزله سنة ١٨١٠. ينظر:

Lorimer; Op. Cit, pp. 1334-1335.

(٢٤) كان هارفورد جونز قد عزل من منصبه في سنة ١٨٠٦ وعهد بشؤون المقيمية في بغـداد الـى طبيـب المقيمية الدكتور هاين Hine لحين تعيين ريج مقيماً في بغداد سنة ١٨٠٨.

Ibid. p. 1334.

(٢٥) جعفر خياط ، تغلغل النفوذ الإنكليزي في العراق على عهد المماليك ، مجلة بغداد، العـدد ١١، ١٩٦٤، ص ٣٢. علاء موسى كاظم نورس، الدبلوماسية البريطانية في العـراق ١٨٠٨ ـ ـ ١٨٢٣، مجلـة المـؤرخ العربي، العدد ١٨، ١٩٨١، ص ص ٧٠ ـ ٧١.

وبناء على ما تحقق في التطبيق العملي لقرار الدمج الصادر فـي سـنة ١٨١٠، قـرر مجلس المديرين في ٢٣ أيلول ١٨١٢ اجراء تغيير آخر في التمثيل البريطاني فـي العـراق وفقاً لتوصيات من حكومة الهند[*].

وبموجب هذا التغيير صار (المقيم في البصرة) يعرف بـ (الوكيل السياسي) في بـلاد العرب التركية **(Political-Agent in Turkish Arabia)**[٢٦]، وخول المقيم بالإقامة في بغداد أو البصرة حسبما تتطلب الظروف أن يعين مساعداً له في المكان الآخر الذي لا يوجـد فيـه ولما كان ريج قد استقر في بغداد حتى سنة ١٨٢١ فانه استمر في استخدام لقب (المقـيم فـي بغداد) حتى في مراسلاته الرسمية[٢٧].

ان ازدياد النفوذ البريطاني في بغداد على عهد ريج أدى في النهاية الى حدوث نـ ـزاع بينه وبين آخر ولاة المماليك في العراق وهو داود باشا (١٨١٧ـ ١٨٣١)[٢٨]، وترتب علـى ذلك النزاع مغادرة ريج والعاملين في مقيمية بغداد متوجهين الى البصرة في ايار ١٨٢١ ومن هناك توجه ريج الى بوشهر ومنها الى شيراز للاطلاع على بعض الآثار هناك. وما لبـث أن أصيب هناك بوباء الكوليرا وتوفي في ٥ تشرين الأول ١٨٢١[٢٩].

في أعقاب ذلك النزاع صدرت التعليمات بخصوص ادخال العـراق العثمـاني ضـمن سلطات الوكالة السياسية البريطانية في الخليج العربي. وكانت حكومة بومباي قد أسست تلـك الوكالة في أعقاب توقيع معاهدة السلام العامة مع شيوخ ساحل عمان سنة ١٨٢٠[٣٠]، وأسندت

---

[*] يستخدم لوريمر مصطلح حكومة الهند ويقصد بذلك ، كما يبدو الحاكم العام الذي يترأس الحكومة التي قرر البرلمان الإنكليزي في سنة ١٧٧٣ تشكيلها في كلكتا، وتضم أربعة أعضاء الى جانب الحاكم العام، وتتبعه = رئاستا أو حكومتا بومبي ومدراس. أما تعبير حكومة الهند فلم يستخدم رسمياً إلا منذ سـنة ١٨٣٤. أنظـر، ابراهيم، حكومة الهند البريطانية، ص ص ٤٥ـ٥٣.

[٢٦] المقصود ببلاد العرب التركية هنا العراق العثماني أو ما يسميه لوريمر في كتابه دليل الخلـيج (العـراق التركي Turkish Iraq).

[٢٧] Lorimer; Op. Cit, pp. 1335-1336.

[٢٨] لمزيد من التفاصيل عن النـزاع بين ريج وداود باشا يراجع ، نورس ، حكم المماليك في العـراق، ص ص ١٠٨ـ١١١.

[٢٩] Constance M. Alexander; Baghdad in Bygone days (London-1928), p. 321.

[٣٠] وقعت تلك المعاهدة في كانون الثاني ١٨٢٠ مع شيوخ رأس الخيمة والشارقة وأبو ظبي ودبي وأم القيون وجزيرة الحمرا بعد الحملات البريطانية التي قضت على قوة القواسم في سـاحل عمـان، يراجـع تفاصـيل المعاهدة في: صالح العابد، دور القواسم في الخلـيج العربـي ١٧٤٧ـ ـ١٨٢٠، (بغـداد، ١٩٧٦، صـص ٣٢٣ـ٣٢٧).

مسؤولية الوكالة الى الكابتن وليم بروس **W. Bruce** الذي كان مقيماً بريطانياً في بوشهر[٣١]. وتحددت مهمة الوكالة السياسية في الخليج العربي في الاشراف على تنظيم علاقـات شـيوخ ساحل عمان بحكومة بومبي وكذلك ابداء الرأي في الشؤون المتعلقة بتفسير نصوص معاهـدة السلام العامة. وعلى أية حال فان حكومة بومباي بادرت، لأسباب عدة[٣٢] الى الغاء الوكالـة السياسية في الخليج العربي سنة ١٨٢٣ وألحقت مهامها بالمقيمية البريطانية في بوشهر[٣٣].

فضلاً عن ذلك فقد تحسنت العلاقة بين داود باشا والبريطانيين بعد تسوية خلافاتهما في سنة ١٨٢٣ بعقد اتفاقية جديدة بين داود باشا والوكيل السياسي البريطاني الجديد في العـراق (روبرت تايلر)[٣٤]، الذي كان يشغل قبل ذلك منصب مساعد الوكيل السياسي في البصرة بين ١٨١٨ ـ ١٨٢١. وفي ضوء ما سبق فان قرار ادخال العراق ضمن سلطات الوكالة الـسياسية في الخليج العربي لم يدخل حيز التنفيذ طويلاً وتقرر جعل الوكالة السياسية في العراق منفصلة عن مقيمية الخليج العربي إلا ان الوكيل السياسي البريطاني في العراق صار يقيم في البصرة، بدلاً عن بغداد لسنوات عدة. وتقرر في سنة ١٨٢٤ أن تخضع الوكالة السياسية فـي العـراق جزئياً للمقيمية البريطانية في بوشهر[٣٥]. ولابد من الإشارة هنا الى اختلاف مدلولات (الوكيل) و(المقيم) في القرن التاسع عشر عما كانت عليه في القرن الثامن عشر. ففـي حـين كانـت الوكالة التجارية أعلى درجة من المقيمية في القرن الثامن عشر[٣٦]، فان الوكالة السياسية فـي القرن التاسع عشر كانت أقل درجة من المقيمية كما يتضح من سياق المعلومات الواردة فـي هذا الفصل.

وفيما يخص مقر إقامة الوكيل السياسي البريطاني في العراق، فقد حددت الأوامر فـي سنة ١٨٢٨ اقامته في بغداد أو البصرة بحسب ما تقتضيه الظروف مع تعيين مساعد أوربـي في المحل الآخر. ويبدو انه كان هناك اعتراض من السلطات البريطانية في الهند لترك الوكيل السياسي مقره في البصرة. فعندما زار تايلر بغداد سنة ١٨٣٠ بناء على رغبـة واليهـا داود

---

[٣١]Lorimer; Op. Cit, p. 1336.

[٣٢] من بين تلك الأسباب إقدام وليم بروس على توقيع اتفاقية في ٢٣ آب ١٨٢٢ مع أمير شيراز (عاصـمة مقاطعة فارس) دون تخويل من حكومة بومباي مما أدى الى عزله.
Hussain M-Al-Baharna; The Arabian Gulf States- (Beirut-1975), pp. 168-169.

[٣٣] قاسم ، المصدر السابق ، ص ٣٤٠.

[٣٤] Lorimer; Op. Cit, p. 1336. وبخصوص تفاصيل اتفاقية ١٨٢٣، يراجع : نورس ، حكم المماليـك في العراق، ص ص ١١١ـ١١٣.

[٣٥]Lorimer; Op. Cit, p. 1337.

[٣٦] أمين والنجار ، المصدر السابق ، ص ص ١٨ ـ ١٩.

باشا كان عليه أن يحصل أولاً على إذن من حكومة بومباي. وعندما طلب منه الـوالي فـي السنة ذاتها الإقامة بشكل دائم في بغداد بدلاً من البصرة رفض حاكم بومباي ذلـك بحجـة ان مصلحة التجارة تتطلب إقامة تايلر في البصرة[٣٧].

الواقع ان العقد الثالث من القرن التاسع عشر اتسم بتضاؤل اهتمـام حكومـة بـومبي بالتمثيل الدبلوماسي البريطاني في العراق الى حد ان بعض المسؤولين فيها دعوا الى اغـلاق الوكالة السياسية في العراق أكثر من مرة[٣٨]. إلا ان التطورات المهمة التي شهدتها المنطقـة منذ مطلع ثلاثينيات القرن التاسع عشر، ولاسيما تزايد النفوذ الروسي في بلاد فارس والدولـة العثمانية والتوسع المصري في بلاد الشام[٣٩]. رفع مجدداً من شأن الوكالة السياسية البريطانية في العراق وزاد الاهتمام بها. ويبدو ذلك واضحاً في الرغبة التي أبداها مجلس المديرين فـي شركة الهند الشرقية الإنكليزية في سنة ١٨٣٢ بخصوص إقامة الوكيل السياسي فـي بغـداد للحصول على معلومات أدق، وإقامة علاقات أحسن مع والي بغداد العثماني علي رضا باشـا (١٨٣١ـ١٨٤٢). وان يعهد بأمور البصرة الى مساعد أوربي أو وكيل محلي. وبنـاء علـى ذلك استقر الوكيل السياسي في بغداد. ومع ان تايلر قدم اقتراحاً في سنة ١٨٣٣ بأن يغيب عن بغداد ويتوجه الى مكان آخر في الشمال لمراقبة النشاط الروسي عـن كثـب إلا ان حكومـة بومبي رفضت ذلك. ومن دلائل زيادة أهمية الوكالة السياسية في العراق أيـضاً ان مجلـس المديرين طلب في الوقت نفسه من الوكيل السياسي في العراق أن يعمل تحت اشراف الـسفير البريطاني في اسطنبول أيضاً وأن يتراسل معه بحرية كاملة بكل الوسائل التي يعتقد انها تؤثر بشكل عام على العلاقات البريطانية ـ العثمانية وأن يرفع لحكومة بومبي نـسخاً مـن تلـك المراسلات. وفي سنة ١٨٣٥، وفي إشارة الى زيادة أهمية الوكالة السياسية البريطانيـة فـي العراق، صدرت أوامر جديدة جعلت الوكيل السياسي البريطاني في بغداد تابعاً لحكومة الهند، وليس حكومة بومبي، وذلك من خلال المقيم البريطاني في بوشهر[٤٠].

ومنذ بداية أربعينيات القرن التاسع عشر ، وفي ضوء نمو المصالح البريطانية السياسية والاقتصادية في العراق والدور البريطاني ـ الروسي في تسوية مشكلات الحدود العثمانية ـ الفارسية[٤١].وزيادة تدفق الرعايا البريطانيين من الهند لزيارة المدن المقدسة في العـراق بـدا

---

[٣٧] Lorimer; Op. Cit, p. 1337.

[٣٨] Ingram; Op. Cit, p. 333.

[٣٩] سبق ذكر تلك التطورات في الفصل الأول ، ص ص ٢٢ ـ ٢٦.

[٤٠] Lorimer; Op. Cit, pp. 1338-1339.

[٤١] لعبت بريطانيا وروسيا دوراً مهماً في مفاوضات مؤتمر أرضروم ١٨٤٣ـ١٨٤٤، كما مارست ضـغطاً لأجل عقد معاهدة أرضروم الثانية سنة ١٨٤٧، راجع :

التأكيد مرة أخرى على أهمية الوكالة السياسية البريطانية في العراق في متابعة المصالح البريطانية النامية في العراق والمسائل السياسية ذات الصلة بالعلاقات البريطانية ـ العثمانية، ولعل هذا يفسر التأكيد مجدداً على الصفة القنصلية للوكيل السياسي البريطاني في بغداد. ففي سنة ١٨٤١ جرت تسمية الوكيل السياسي روبرت تايلر قنصلاً بريطانياً في بغداد. وتم الشيء ذاته في سنة ١٨٤٤ بالنسبة للميجر (الرائد) رولنسون خليفة تايلر في الوكالة السياسية في بغداد. وفي ٢٢ تشرين الثاني ١٨٥١ رقي رولنسون الى درجة قنصل عام بريطانيا في بغداد وتركيا الدينية. ومنذ ذلك الحين صار مركز الوكالة السياسية البريطانية في العراق يأخذ صفة القنصلية العامة[٤٢].

وخلال العقدين التاليين لم يطرأ أي تغير على وضع ومركز الوكيل السياسي والقنصل العام في بغداد. بيد أن حملة مدحت باشا على الأحساء سنة ١٨٧١ والمضاعفات التي ترتبت عليها بالنسبة للعلاقات البريطانية ـ العثمانية في العراق والخليج العربي[٤٣]. أدت الى حدوث تغيرات أخرى في التمثيل السياسي البريطاني في بغداد. ففي ٢٢ آب ١٨٧٣، وبموجب إشعار من قسم الشؤون الخارجية Foreign Department في حكومة الهند، استعاد الوكيل السياسي في بغداد درجة مقيم بمرتبة المقيم البريطاني في الخليج العربي نفسها. وعلى الرغم من منحه درجة مقيم إلا انه استمر يخاطب في المراسلات الرسمية بلقب وكيل سياسي[٤٤]. وفي سنة ١٨٧٨ توسعت دائرة صلاحيات المقيم السياسي البريطاني في بغداد لتشمل ما يسمى بحوادث (القرصنة) في المناطق الداخلة ضمن السيادة الإقليمية العثمانية في الخليج العربي بناء على تعليمات من حكومة الهند، إلا ان هذا الترتيب لم يستمر طويلاً[٤٥]. وفي ١٩ شباط ١٨٨٠ أكدت حكومة الهند تسمية درجة ممثلها السياسي في بغداد (مقيماً) بدلاً من تسمية الوكيل السياسي في المراسلات الرسمية[٤٦]. ومنذ ذلك التاريخ وحتى قيام الحرب العالمية الأولى صار ممثل بريطانيا يحمل لقب (المقيم السياسي وقنصل عام حكومة صاحب الجلالة في

عبدالعزيز سليمان نوار العلاقات العراقية الإيرانية، دراسة في دبلوماسية المؤتمرات، (القاهرة، ١٩٧٤)، ص ص ١١٧ـ١٣٣.

[٤٢] Lorimer; Op. Cit, p. 1394.

[٤٣] راجع تفاصيل حملة مدحت باشا على الأحساء ١٨٧١ ومضاعفاتها على العلاقات العثمانية ـ البريطانية في الخليج العربي حتى سنة ١٩١٤ في: جمال زكريا قاسم، الخليج العربي، دراسة لتاريخ الإمارات ١٨٤٠ـ١٩١٤، (القاهرة، ١٩٦٦)، ص ص ١٧١ـ ٣٥٠.

[٤٤] Lorimer; Op. Cit, p. 1470.

[٤٥] مراجعة تفاصيل في : قاسم ، المصدر السابق ، ص ٢٠٧.

[٤٦] Lorimer; Op. Cit, p. 1567.

بغداد). ويستعمله في المراسلات الرسمية أيضاً[٤٧]. ولم يحدث بعد ذلك أي تغير في مركـزه. كان الممثل السياسي يحمل صفة مزدوجة، فهو بوصفه (مقيماً سياساً) وكان مسؤولاً مباشـرة أمام قسم الشؤون الخارجية في حكومة الهند المسؤولة بدورها مباشـرة أمـام نائـب الملـك البريطاني في الهند (Viceroy). ومن جهة أخرى فان صفة (قنصل عـام) جعلتـه مرتبطـاً بوزارة الخارجية البريطانية Forign Office من خلال السفير البريطاني فـي اسـطنبول[٤٨]. وبموجب ترتيب تم التوصل اليه بين حكومة الهند البريطانية ووزارة الخارجيـة البريطانيـة كانت الأولى تقوم بتسمية المرشح لتولي منصب المقيم السياسي في بغداد وتقوم الثانية باصدار أمر تعينه قنصلاً عاماً[٤٩].

وعلى أية حال فان هذه الإزدواجية في طبيعة المنصب والاتصالات المختلفة مع حكومة الهند حيناً، ومع وزارة الخارجية حيناً آخر بحسب العائدية ترتـب عليهـا بعـض المـشاكل بخصوص نقل المعلومات للطرفين. فقد اشتكى المسؤولون في حكومة الهند بأنهم لا يبلّغـون أحياناً بالمعلومات التي يرسلها الممثل البريطاني في بغداد الـى لنـدن مـن خـلال الـسفير البريطاني في استانبول. كما ان التضارب في وجهات النظر بين حكومة الهند من جهة وزارة الخارجية البريطانية من جهة أخرى بخصوص العديد من المسائل أعاق التوصل الى نوع من التنسيق في السياسة البريطانية تجاه العراق، وقد شرح أحد كبار مـسؤولي وزارة الخارجيـة البريطانية هذا الأمر في سنة ١٩٠٦ بقوله: "يجب على حكومة الهند أن لا تعاملنا كقوة حليفة أجنبية، اننا منهمكون في عمل مشترك ونحن الشريك المهيمن"[٥٠].

خلال السنوات ١٨٣١ ـ ١٩١٤ تولى منصب الممثل البريطاني ١٦ شخـصاً تـولى بعض منهم المسؤولية أكثر من مرة. وكما يتضح من الملحق رقم (١) فان معظم الذين تولـوا المنصب كانوا ضباطاً تابعين لقسم الخدمة السياسية فـي حكومـة الهنـد **(Indian Political Service)** باستثناء حالة واحدة تولى المنصب فيها طبيب تابع لقسم الخدمـة الطبيـة الهنديـة **(Indian Medical Service)** وحالتين تولى المنصب فيهما مدنيان من قسم الخدمة المدنية

---

[٤٧] أنظر مثلاً :

I.O.R. L/P & S/117, from Political Resident & Consul General (Baghdad) to the secretary of government of India, 14.6.1906; L/P & S/10/88, from political Resident & Consul General (Baghdad) to Sir G. Lowther (Istanbul) 27.2.1910.

[٤٨]Busch, Britain and the Gulf, p. 7.

[٤٩]George N. Curzon; Persia and the Persian Question (London-Reprinted-1966),Vol. 2, p. 626.

[٥٠]Stuart A. Cohen, British Policy in Mesopotamia 1903-1914 (London-1976), p. 14.

الهندية (**Indian Civil Service**)، كما سبق لقسم من هؤلاء الممثلين تولي مناصب أخرى ذات طبيعة مماثلة في الخليج العربي، كما تولى بعضهم مناصب عليا فيما بعد[٥١].

لم يكن جميع الذين تولوا مسؤولية التمثيل البريطاني في بغداد على نفس المستوى من القدرة وكفاءة الاداء والشهرة. ويمكن القول ان مهام المسؤولين الأوائل ودورهم في تعزيز النفوذ البريطاني في العراق كان أكثر أهمية من المسؤولين اللاحقين. لقد سبقت الإشارة الى كلوديوس جيمس ريج الذي شغل المنصب بين ١٨٠٨ ـ ١٨٢١ ودوره في تقوية النفوذ البريطاني في العراق. أما خلفه روبرت تايلر الذي شغل المنصب بين ١٨٢٢ـ١٨٤٣، فقد سعى الى الإبقاء على هيبة ونفوذ بريطانيا كما كانت في عهد ريج[٥٢]، وفضلاً عن ذلك، فقد كان ذا معرفة عميقة باللغات الشرقية وقد قدم مساعدات كبيرة للآثاري لايارد في أبحاثه، كما أمضى لايارد ساعات طوال في مكتبة تايلر في مقيمية بغداد، والتي كانت تضم مجموعة قيمة من المخطوطات العربية والفارسية، في أثناء زيارته في ايار ـ حزيران ١٨٤٠[٥٣]، وقد تولى تايلر مهام منصبه في مرحلة شهدت نمو المصالح الاستراتيجية والاقتصادية في العراق، ولا سيما منذ مطلع ثلاثينيات القرن التاسع عشر كما سبقت الإشارة. وترتب على ذلك، بطبيعة الحال تزايد حجم وأهمية المسؤوليات والمهام الملقاة على عاتقه في متابعة تلك المصالح ودعمها. ولعل أبرز من تولى مهام المنصب في بغداد، ابان القرن التاسع عشر هو هنري رولنصون بين سنة ١٨٤٣ـ١٨٥٥. وكان رولنصون كما سبقت الإشارة واحداً من العلماء البارزين في الآشوريات وله اكتشافات ودراسات آثارية مهمة عن العراق وبلاد فارس. وقد

---

[٥١] كان عدد منهم قد تولى مهام التمثيل الدبلوماسي البريطاني في البصرة قبل التعيين في بغداد. ومن هؤلاء موكلر ورامزي (راجع وقارن ملحق رقم ١ ورقم ٢). أما رولنسون فكان وكيلاً سياسياً في قندهار بافغانستان قبل تعيينه وكيلاً سياسياً وقنصلاً لبلاده في بغداد سنة ١٨٤٣. وبعد أن ترك منصبه في بغداد بمدة وجيزة أصبح عضواً في البرلمان الإنكليزي. وفي سنة ١٨٥٨ صار عضواً في مجلس الهند الذي تشكل بعد انتقال إدارة الهند من شركة الهند الشرقية الى الحكومة البريطانية (أصبح ممثلاً لبلاده في طهران سنة ١٨٥٩ـ١٨٦٠، ثم صار عضواً في البرلمان الإنكليزي مجدداً سنة ١٨٦٥ـ١٨٦٨. ثم صار عضواً في مجلس الهند مرة أخرى منذ سنة ١٨٦٨ لحين وفاته سنة ١٨٩٥. أنظر:

Dictionary of National Biography, Vol, XVI, pp. 772-773.

أما صموئيل مايلز Miles S.B. المقيم السياسي والقنصل العام في بغداد بين سنة ١٨٧٩ ـ ١٨٨٠، فكان وكيلاً سياسياً في مسقط قبلها وبعد انتهاء عمله في بغداد صار وكيلاً سياسياً في زنجبار ١٨٨١ـ١٨٨٢، كما صار في سنة ١٨٨٦ نائب المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي. أنظر:

Samuel B. Miles; Countries and Tribes of the Gulf (London-1966), pp. 14-15.

[٥٢] Nora Kubie; Road to Nineveh (London-1965), p. 63.

[٥٣] Water Field, Op. Cit, pp. 46-47.

دخل رولنصون في خدمة شركة الهند الشرقية الإنكليزية بصفة عسكري سنة ١٨٢٧، وكـان يومها في السابعة عشر من عمره. وقد خدم في الهند بين ١٨٢٧ـ١٨٣٢ برز خلالها بوصفه ضابطاً ذكياً وفارساً بارعاً ولغوياً بارزاً. ثم أمضى ست سـنوات فـي بـلاد فـارس بـين ١٨٣٣ـ١٨٣٩ مع ضباط بريطانيين لإعادة تنظيم الجيش الفارسي. وفي تشرين الأول ١٨٤٠ تولى منصب الوكيل السياسي البريطاني في قندهار بأفغانستان ومن سنة ١٨٤٣ عين وكـيلاً سياسياً بريطانياً في بغداد، كما حصل على لقب (قنصل) في آذار سنة ١٨٤٤. ويبـدو مـن الحجم الكبير لمراسلاته مع السفير البريطاني في اسطنبول مدى قدرته على متابعة المـصالح البريطانية ومسائل الحدود العثمانية ـ الفارسية. وإدراكاً من الحكومـة البريطانيـة لأهميـة مركزه ودوره في العراق تقرر منحه درجة قنصل عام في ٢٢ تـشرين الثـاني ١٨٥١[٥٤]. وكان رولنصون واسع الآمال مغرقاً في سياسة استعمارية بعيدة المدى، وكان مثـل أسـلافه وخاصة كلوديوس ريج، يعتقد ان أساليب العظمة والكبرياء والتعالي على والي بغداد وموظفيه تهيء الظروف لاستعمار العراق. وفكرته عن أهل العراق هي "ان عقـول العـراقيين فـي عيونهم وانهم يحكمون على قوة الشخص بمظهره". وسعى الى استغلال العصبيات في العراق باقامة علاقات مع بعض الزعامات المحلية الكردية، فضلاً عن علاقاته المريبة مـع زعمـاء الطوائف الدينية في العراق[٥٥]، وهو أمر سنعرضه بالتفصيل لاحقاً. وبعد رولنصون واصـل الدبلوماسيون الذين تعاقبوا على المنصب في بغداد مساعيهم لدعم المصالح البريطانية وتعزيز النفوذ البريطاني في العراق. ولم يتسن للعديد منهم البروز بسبب قصر المدة التي أمـضوها في المنصب (أنظر الملحق رقم ١) أو افتقارهم الى الكفاءة وعدم معرفة اللغة العربية[٥٦].

وقد برز من بين الدبلوماسيين المتأخرين في بغداد جون لوريمر، مؤلف موسوعة (دليل الخليج) ذائعة الصيت والذي عد أفضل مقيم وقنصل عام بريطاني في بغـداد قبـل الحـرب العالمية الأولى[٥٧]. وعندما توفي سنة ١٩١٤ رأت الأوساط البريطانيـة ان حكومـة الهنـد البريطانية فقدت (أحد موظفيها اللامعين جداً)[٥٨].

هيئة العاملين في مقيمية بغداد :

---

[٥٤] Kubie; Op. Cit, pp. 167-168, Dictionary of national Biography, Vol. XVI, pp. 771-772.

[٥٥] نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

[٥٦] Cohen, Op. Cit, p. 15.

[٥٧] Ibid.

[٥٨] آرنولد ، تي ، ويلسون ، بلاد ما بين النهرين بين ولايتين (بغداد، ط ٢، ١٩٩١، ترجمة فـؤاد جميـل)، ص ١٧٠.

يعمل بمعية المقيم السياسي ، والقنصل البريطاني عدد من المسؤولين والموظفين الـذين كانوا يتمتعون مثله بالحصانة الدبلوماسية. ويأتي في مقدمة هؤلاء مـساعد المقـيم الـسياسي والقنصل العام الذي تقرر تعيينه في فترة متأخرة. وقد كان الدبلوماسيون البريطانيون العاملون في بغداد يتشكون من كثرة المهام الملقاة على عاتقهم[٥٩]، وحاجتهم الى مساعد لتمكينهم مـن اداء تلك المهام على نحو أفضل. وكانت مسألة تعيين نائب أو مـساعد للممثـل الدبلوماسـي البريطاني في بغداد قد أُثيرت أكثر من مرة في القرن التاسع عشر. ففي سـنة ١٨٥٩ تقـرر تعيين أحد المترجمين المحليين في القنصلية العامة في بغداد وهو ميخائيل ميناس **M. Menas** بوظيفة نائب قنصل. وفي سنة ١٨٦٨ نشأ خلاف بين ميناس وبين والي بغداد العثماني نـامق باشا (١٨٦٢ـ١٨٦٨) بسبب تصرف الأول بطريقة فظة في التعامل مع الوالي. وقد ترتـب على الخلاف إثارة قضية الوضع الدبلوماسي لميناس، فقد رفض والي بغداد الجديد تقي الدين باشا (١٨٦٨ـ١٨٦٩) الاعتراف بميناس نائباً للقنصل البريطاني في بغداد، بل مجرد مترجم في القنصلية. وعندما عرض القنصل العام في بغداد كمبال الأمر على السفارة البريطانية فـي اسطنبول جاء الجواب بعدم إمكانية الحصول على موافقة الحكومـة البريطانيـة للاعتـراف بميناس نائباً للقنصل في محل خاضع لإشراف قنصل بريطاني أصلاً. ونتيجة لذلك تقرر عـد ميناس مجرد وكيل وطني **(Native Agent)**[٦٠].

وفي شباط ١٨٨١ أثار المقيم السياسي والقنصل العام بلودن مسألة تعيين مساعد أوربي للمقيم في بغداد، إلا ان حكومة الهند أجابت بأنها غير مستعدة لتعزيز هيئة المقيمـة. وفـي تموز ١٨٨١ عاد بلودن الى الموضوع نفسه، لكن حكومة الهند خولته أن يعين (وكيلاً محلياً)،

---

[٥٩] شرح المقيم السياسي والقنصل العام في بغداد بلودن هذه المهام في رسالة بعث بها الى حكومة الهند فـي سنة ١٨٨٣، بأنها تتضمن ابلاغ الحكومة البريطانية وحكومة الهند البريطانية بالمعلومـات عـن الأحـداث السياسية في العراق، وتحركات الأكراد في الشمال والشمال الشرقي والوضـع علـى الحـدود العثمانيـة ـ الفارسية، وعلاقات القبائل العربية فيما بينها من جهة، وبينها وبين الحكومة العثمانية من جهة أخرى. واجراء مراسلات مع السلطات العثمانية المحلية والقناصل الأجانب في بغداد ومع الدبلوماسـيين البريطـانيين فـي الموصل والبصرة ومع المقيم البريطاني في الخليج العربي ومع بومبي ومـع وزارة الخارجيـة البريطانيـة والسفير البريطاني في اسطنبول. فضلاً عن مسؤولية إدارة دائرة البريد الهندية في بغداد والنظر في الخلافات التي تنشأ بين الرعايا الهنود في ولاية بغداد، وغير ذلك من المهام التي لا يستطيع فرد واحد القيام بها جميعاً بشكل مناسب.

أنظر نص الرسالة في :

Lorimer; Op. Cit, historical, Vol. I. Part, IB, pp. 1475-1476.

[٦٠] Lorimer, Op. Cit., p. 1473-1474.

إلا ان بلودن لم يفعل ذلك على أمل أن تحصل الموافقة على تعيين مساعد أوربي له[٦١]. ولكن دون نتيجة. ويبدو ان موضوع تعيين مساعد للمقيم السياسي والقنصل العام في بغداد لم يطرح مرة أخرى بشكل جدي إلا في السنوات الأولى من القرن العشرين وحينئذٍ كانـت الـسلطات البريطانية المعنية أكثر استعداداً لقبول الفكرة في ضوء التطور الكبيـر الـذي حـصل فـي المصالح البريطانية في العراق والمنافسة التجارية الألمانية في الأسواق العراقية، فضلاً عـن الانتقادات التي وجهت الى المقيم السياسي والقنصل العام في بغداد نيومارج في سـنة ١٩٠٤ بسبب السلبيات في التقارير السنوية التي يبعثها الى لندن[٦٢]. وفي ضوء ذلك أبدى نيومـارج في مذكرة له فأواخر سنة ١٩٠٤ الى وزارة الخارجية البريطانية بأنه يواجه صعوبات كثيـرة في إعداد التقارير التجارية لعدم إمكان الحصول علـى التفاصـيل والاحـصائيات اللازمـة واقترح تعيين مساعد قنصلي له. وقد وافقت وزارة الخارجية مبدئياً على ذلك وأبلغـت وزارة الهند **India Office** في لندن بالموضوع[٦٣]. وقد نقلت وزارة الهند تفاصيل الموضـوع الـى حكومة الهند التي وردت في ايار ١٩٠٥ بالموافقة والاستعداد لتحمل نصف النفقات[٦٤]. وبعد سلسلة من المراسلات تم تعيين غاسكين **Gaskin** لتلك الوظيفة التي باشر فيها فـي حزيـران ١٩٠٦[٦٥]. وبعد حوالي سنة تم تثبيته في وظيفته مع منحه لقب مساعد المقيم السياسي[٦٦].

والى جانب المساعد كان في المقيمية البريطانية في بغداد عدد من المترجمين، ولاسيما بالتركية والفارسية، يعرفون بـ **(Dragoman)**[٦٧]. وكان جميع المترجمين من النصارى[٦٨]

---

[٦١]Ibid. p. 1475.

[٦٢]Cohen; Op. Cit, p. 15.

[٦٣]I.O.R. L/P & S/10/117; Foreign Office to India Office. 22.12.1904.

[٦٤]Ibid.. From the Government of India. To India Office, 27.4.1905, India Office to Foreign Office, 23.5.1905.

[٦٥]I.O.R. L/P & S/10/117. From Major Ramsay (Baghdad) to the Secretary of the Governament of India, 14.6.1906.

[٦٦]Ibid, Foreign Office to India Office, 15.5.1907.

[٦٧] من كلمة (ترجمان) التركية ، أنظر :

Allan Cunningham; Dragomania; The Dragomans of the British Embassy in Turkey "instant onys papers. Middle Eastern Affairs No. 2, p. 89. Makiya. Op. Cit. Pp. 54.59.

[٦٨] راجع وقارن على سبيل المثال :

L.O.R. L/P & S/10/211, Summary of events in Turkish Iraq during July. 1913, p. 8.

بدج ، المصدر السابق ، ص ١٦٠. "مع ملاحظة ان بدج يسمى مترجم المقيمية في بغداد يعقوب طـاطيوس (السكرتير الشرقي)".

والفرس[٦٩]. ويكون على رأس هؤلاء رئيس مترجمين[٧٠]، ربما هو الأقدم بينهم. وكـان دور المترجمين مهماً لدى البعثات الدبلوماسية البريطانية في الدولة العثمانية منذ البداية. فقد كـانوا بمثابة وسطاء يوميين في الاتصالات مع السلطات العثمانية لأن القنصل لم يكن يتعامل بشكل مباشر مع تلك السلطات إلا في المناسبات وفي القضايا المهمة وكان المترجمـون يجمعـون المعلومات ويستطلعون الأخبار عما يدور في الدوائر العثمانية لقد كانوا، وباختصار، عيـون القناصل وآذانهم وألسنتهم[٧١].

ومن ضمن هيأة العاملين في مقيمية بغداد طبيب المقيميـة. وقـد التحـق أول طبيـب بالمقيمية، وهو الدكتور جيمس شورت D. J. Short، في ايلول ١٨٠٠[٧٢]. واسـتمر وجـود الأطباء في المقيمية حتى قيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤. وكان بعضهم يتولى مهـام نائب المقيم السياسي أحياناً أثناء غياب الأخير عن بغداد[٧٣]، كما ان بعـضهم تجولـوا فـي مناطق خارج بغداد ودونوالملاحظات عن مدن العراق ومواقعه الأثرية[٧٤].

---

[٦٩] تشير المصادر الأجنبية الى فارسي يدعى سيد اغا أو سيد محمد اغا (الذي سمى نفسه بالسيد محمد بـن السيد أحمد الحسيني المعروف بالمنشئ البغدادي) بأنه السكرتير الفارسي للمقيم ريج مما يفهم منه انه متـرجم أو كاتب المراسلات الفارسية، أنظر: المنشئ البغدادي، رحلة المنشئ البغدادي (بغداد، ١٩٤٨، ترجمة عباس العزاوي، ص ص ٦،١٦). وكان المترجم الثالث في المقيمية البريطانية ببغداد سنة ١٩١٢ فارسياً هو محمد علي حسين ميرزا الشوشتري،=

Yusuf H. Bayur; Turk Inklap Tarihi, Cilt II. Kizim III (Ankara, 1983), p. 371.

وتشير سالنامة بغداد لسنة ١٣٢٩هـ (١٩١٠ـ ١٩١١) الى أرمني يدعى آغوب نرسيسيان بأنـه (المتـرجم الأول) في القنصلية العامة البريطانية في بغداد، أنظر: بغداد ولايتي سالنامه سى ١٣٢٩هـ، ص ٥.

[٧٠] راجع نص مذكرة من والي بغداد علي رضا باشا اللاز الى الباب العالي في ٣ ربيع الأول ١٢٥٧هـ ـ/ ١٨٤١م يقترح فيها تكريم (رئيس مترجمي) القنصلية البريطانية المدعو خاجيك بوسام عثماني، في:

Mehdi J. H. Al-Bustani, Baghdad aki Kolemen Hakimiy etinin Tesisve Kaldiri Imasi ile Ali Riza pasanin Valiligi (Doctora Tezi Istanbul Universitesi, 1979), p. 518.

[٧١]Wood; Op. Cit, p. 225.

[٧٢]Lorimer, Op. Cit, p. 1297.

[٧٣] مثال على ذلك تولي الدكتور نورمان سكوت N. Scott مهام نائب المقيم السياسي والقنصل العـام فـي بغداد جون لوريمر أثناء غياب الأخير عن بغداد في زيارته للهند أنظر:

I.O.R.L/P & S/10/212, Summary of events in Turkish Iraq during November, 1911.

وقد صدر ذلك التقرير بتوقيع الدكتور نورمان سكوت.

[٧٤] نذكر هنا تحديداً التقرير الذي أعده طبيب المقيمية الدكتور جون روص عن رحلته من بغداد الـى آثـار الحضر سنة ١٨٣٦ـ ١٨٣٧ ونشره في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية. وكـان روص أول مـن كتب عن آثار الحضر ولفت الانتباه اليها. أنظر:

Waterfield; Op. Cit, p. 43.

والحقيقة ان وجود طبيب في المقيمية كان من عوامل زيـادة شـأن ونفـوذ المقيميـة البريطانية في بغداد والعراق، إذ لم تقتصر الخدمة الطبية على العاملين في المقيمية، بل شملت العديد من الشخصيات والوجهاء في بغداد وخارجها، فضلاً عن النـاس العـاديين(٧٥). وقبـل الحرب العالمية الأولى كان مستوصف المقيمية البريطانية في بغداد يقدم خدماته لمئات الأفراد شهرياً(٧٦).

مبنى مقيمية بغداد:

كان مبنى المقيمية البريطانية في بغداد عبارة عن دار مؤجرة من أحد المماليك البارزين فيها(٧٧). وكان موقعها على الضفة الشرقية من نهر دجلة الى الجنوب قليلاً من الجسر الـذي يربط بين جانبي المدينة وكان الشارع الذي تقع فيه يسمى بـ (شارع الإنكليز)(٧٨). وفي زمن المقيم السياسي والقنصل العام هربرت (١٨٦٨ـ١٨٧٤) تم ترميم مبنـى المقيميـة بموافقـة الوالي مدحت باشا (١٨٦٩ـ١٨٧٢)(٧٩). وفي نيسان ١٩٠٥ تم نقل مقر المقيمية الـى بنـاء

---

(٧٥) كان الدكتور روص معروفاً بين القبائل البدوية وبين سكان الجبال بوصفه طبيباً بارعاً وكانت باحة مقره في بغداد مليئة بالمرضى من مختلف الأجناس والأديان وقد وصفه لايارد أثناء زيارته لبغداد سنة ١٨٤٠ بأنه "معزز مدهش يحسن نية إنكلترا في الشرق"!! وكان روص قد دعي في سنة ١٨٣٣ لمعالجة مير مـصطفى والد مير كور باشا أمير سوران في راوندوز وترك لنا معلومات تاريخية مهمة عن تلـك الإمـارة، راجـع: جيمس بيلي فريزر، رحلة فريزر الى بغداد في ١٨٣٤، بغداد، ١٩٦٤، ترجمـة جعفـر الخيـاط، ص ص ١٤ـ٢٨.

(٧٦) بلغ عدد الأفراد الذين عولجوا في مستوصف المقيمية البريطانية ببغداد ٧٧٦ فرداً فـي شـباط ١٩١٤، و٩٤٦ فرداً في آذار من تلك السنة ٩٥٠ فرداً في نيسان و١٢٢٠ فرداً في ايار ١٩١٤، أنظر:
I.O.R L/P 8 S/10/212, Summary of events in Turkish Iraq during February and March, 1914, p. 11.

(٧٧)Ibid, Summary, April, 1914; Appendex; Ibid, Summary, May, 1914, p. 7. Kubie, Op.
Cit, p. 64.
وهذا المملوك هو صالح بك نجل سليمان باشا والي بغداد وكانت الدار، على ما ذكر جعفر الخياط تقـع فـي مكان كمرك بغداد في الستينات من القرن الماضي، أنظر: فريزر، المصدر السابق، ص ١٢٤. وتؤرخ بعض المصادر تاريخ اتخاذ تلك الدار مبنى للمقيمية في سنة ١٨١٨، أنظر: هادي طعمـة، الاحـتلال البريطـاني والصحافة العراقية ١٩١٤ـ١٩٢١، (بغداد، ١٩٨٤)، ص ٤١.

(٧٨)Makiya, Op. Cit, p. 51.

(٧٩) خالص الأشعب ، بغداد ، نموها ، بيئتها ، تخطيطها (بغداد ، ١٩٨٢) ، ص ٣٣.

أحدث واسع على ضفة دجلة الشرقية أيضاً الى الجنوب قليلاً من مبنى المقيميـة القـديم(٨٠). وكانت المقيمية مركز تجمع لكثير من الوجهاء والشخصيات أيضاً ممـن تـربطهم صـلات بالمقيمين البريطانيين كما كانت مركزاً للحياة الاجتماعية للجاليات الأوربية في بغداد، ولاسيما في المناسبات الرسمية(٨١). وقد أجمع معظم الرحالة الذين زاروا بغداد في القـرن التاسـع ان مبنى المقيمية البريطانية كان أفضل الأبنية في بغداد وأكثرها رونقاً وجمالاً ويعمل فيها عـدد غير قليل من الخدم على الطراز الهندي الذي يختص كل منهم بوظيفة خاصة(٨٢).

ومما كان يزيد من هيبة المقيمين البريطانيين والمقيمية البريطانية وجود قـوة حراسـة صغيرة تقوم بمهام حراسة المقيم في تنقلاته وجولاته خارج بغداد وحراسة مبنى المقيمية فـي بغداد. وقد تم تجهيز المقيمية بقوة الحراسة هذه منذ صيف سنة ١٨٠٠ بناء على طلب المقـيم البريطاني هارفورد جونز، وكانت تتألف يومذاك من ٣ ضباط و٢٦ جندياً و٢ مـن قـارعي طبول جميعهم من الهنود(٨٣). وعندما تولى رولنسون مهامه في بغداد سنة ١٨٤٣ كانت قـوة الحراسة تتألف من ضابط واحد و٥ ضباط صف و٢٤ جندي من الهنـود مـضافاً الـيهم ٢ قارعي طبول. وقد اقترح رولنسون الاستغناء عن قوة الحراسة الهندية وتشكيل قوة محلية لأن ذلك سيكون أكثر فائدة له في رحلاته وجولاته خارج بغداد لكن الاقتراح لم ينفذ. ومنذ مطلـع الستينيات من القرن التاسع عشر تم تخفيض عدد أفـراد القـوة الـى ١٠ أفـراد لأسـباب اقتصادية(٨٤). ولكن عدد أفرادها عاد وارتفع مجدداً فيما بعد بحيث بلغ ٥٥ فـرداً فـي سـنة ١٩١١(٨٥)، وتم في الوقت ذاته تغيير أفرادها من هنود مسلمين الـى هنـود هندوسـيين(٨٦).

---

(٨٠) Lorimer, Op. Cit, p. 1585. وكذلك ستيفن همسلي لونكريك ، العـراق الحـديث ١٩٠٠ــ ١٨٥٠ (بغداد، ١٩٨٨، ترجمة سليم طه التكريتي)، جـ ١، ص ١١٩.

(٨١) Makiya, Op. Cit, p. 51.

(٨٢) راجع وقارن : سعاد هادي العمري (مترجم) ، بغداد كما وصفها الرحالة الأجانب (بغـداد، ١٩٥٤)، ص ص ٥٦ـ٥٧. ب. م، دانتسيغ، الرحالة الروس في الشرق الأوسط (بغداد، ١٩٨١، ترجمة معروف خزندار)، ص ص ٢٧٢ـ٢٧٣. علاء موسى كاظم نورس، بغداد في رحلات الأجانب فـي العهـد العثمـاني، مجلـة المورد، المجلد ٥، العدد ٣، السنة ١٩٧٦، ص ١٩. كذلك :
Lady Anne Blunt; Beduin Tribes of the Eurphrates (London-1968), Vol. I. P. 188.

(٨٣) Lorimer, Op. Cit, p. 1297.

(٨٤) Lorimer, Op. Cit, pp. 1395-1396.

(٨٥) Bayur; Op. Cit, p. 370. وقد عزا المقيم السياسي والقنصل العام البريطاني في بغداد لـوريمر تلـك الزيادة الى حاجة مبنى المقيمية الجديد الى ثلاث وجبات حراسة يومياً منذ ١٩٠٥،
I.O.R, L/P & S/10/212, Summary of events in Turkish Iraq for the month of January, 1912, p. 10.

(٨٦) Ibid, p. 11.

وكانت زيادة عدد أفراد القوة وتسليحها قد أثارت شكوك السلطات العثمانية فيها، الى حد ان الحكومة العثمانية تشكت لدى الحكومة البريطانية بخصوص ظروف التبديل الدوري لقوة الحراسة لأن القوة التي تترك العراق لا تأخذ أسلحتها معها في حين ان القوة الجديدة التي تحل محلها تأتي بكامل أسلحتها وذخائرها، مما يعني ان هناك عملية تجميع للأسلحة والذخائر في مستودع المقيمية البريطانية، وقد نفت السلطات البريطانية هذه التهمة(٨٧).

لقد كان جميع العاملين في المقيمية والقنصلية العامة في بغداد من مترجمين وكتّاب وحراس، فضلاً عن وكلاء ونواب القناصل من الرعايا المحليين في العراق، يتمتعون بالحماية القنصلية، كما يتمتعون بنفس الامتيازات التي يتمتع بها في الدولة العثمانية مواطنو ورعايا الحكومة البريطانية(٨٨).

ومما زاد من هيبة المقيمية السياسية والقنصلية العامة البريطانية في بغداد تخصيص باخرة نهرية وضعت تحت تصرف المقيم السياسي في بغداد. لقد مر بنا ان شركة الهند الشرقية الإنكليزية بادرت، في أعقاب انتهاء عملية مسح الفرات من قبل بعثة جزني ١٨٣٧ الى إرسال ثلاث بواخر مسلحة الى البصرة في نهاية ١٨٣٩ لتعمل في المياه العراقية الى جانب الباخرة (الفرات) التي خلّفتها بعثة جزني بعد غرق باخرتها الأخرى (دجلة) وعهد الى هنري بلوص لنج مساعد جزني بقيادة البواخر الأربعة لأغراض تجارية وسياسية واستراتيجية. وفي صيف ١٨٤٢ سحبت شركة الهند الشرقية ثلاثاً من بواخرها وأبقت على الباخرة (نيتوكريس Nitocris) فقط وظلت تعمل في مياه دجلة وتنقل البريد بين بغداد والبصرة حتى استبدلت عام ١٨٥٢ بالباخرة (كوميت - Comet) لدعم وحماية المصالح السياسية والتجارية البريطانية في العراق(٨٩). وكانت هذه الباخرة تحت تصرف المقيم السياسي البريطاني في بغداد وترسو في نهر دجلة أمام المقيمية البريطانية أثناء وجودها في بغداد. وفي سنة ١٨٦٨ طلب المقيم البريطاني ابدال السفينة (كوميت) بباخرة أخرى لأنها لم تعد صالحة للعمل بشكل آمن. وفي شباط ١٨٧٠ وافقت السلطات البريطانية في الهند على بناء باخرة جديدة لتحل محل الباخرة (كميت). وقد تم فعلاً وحملت الباخرة الجديدة اسم (كوميت) أيضاً(٩٠). وكان يعمل عليها ٢٥ من البحارة، معظمهم من المسيحيين الشرقيين من

(٨٧) I.O.R. L/P & S/10/212/ Summary of events in Turkish Iraq for the month of March & April, 1912, p. 22.

(٨٨) Sousa; Op. Cit, p. 95.

(٨٩) القهواتي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٠٤ - ٢٠٦.

(٩٠) لمزيد من التفاصيل راجع :

Lorimer, Op. Cit, pp. 1467-1469.

رعايا الدولة العثمانية، بإمرة ضابط بريطاني[٩١]. وكانت الباخرة مجهزة بعدد مـن المـدافع لحمايتها أثناء رحلاتها بين البصرة وبغداد، كما تطلق المدفعية في بعض المناسبات الخاصـة، ومنها التحية للمقيم السياسي البريطاني عند عودته من رحلاته وجولاته خـارج بغـداد وقـد اعترض والي بغداد رديف باشا (١٨٧٢ـ١٨٧٥) على ذلك في سنة ١٨٧٣ وأيدته الحكومـة العثمانية والسفارة البريطانية في اسطنبول فمنعت هذه الممارسة[٩٢]

إن تجهيز المقيمية البريطانية في بغداد بالباخرة (كوميت) كان بهدف سياسـي، وهـو تعزيز النفوذ البريطاني ودعم مركز المقيم البريطاني والمصالح البريطانية في العـراق. فقـد ذكر القنصل الأمريكي في بغداد في تقرير له الى وزارة الخارجية الأمريكية بتاريخ ١٢ تموز ١٨٩٤ بأن بعض الاضطرابات حدثت في سامراء قُتل خلالها بعض الهنود من رعايا الحكومة البريطانية. فقام المقيم السياسي والقنصل العام البريطاني بزيارة الى سـامراء علـى ظهـر الباخرة (كوميت) بهدف إظهار قوة بريطانيا والتهديد باستعمالها، أو بحسب تعبيـر القنـصل الأمريكي (إظهار أسنان الأسد)[٩٣]. وفي تشرين الأول ١٩٠٧ تم إرسال الباخرة (كوميت) عن طريق نهر الكارون الى الأحواز لحماية أرواح وممتلكات البريطانيين الذين ينقبون عن النفط هناك، والذين تعرضوا للخطر نتيجة النـزاعات والمصادمات بين قبائل البختيارية في جنوب غرب بلاد فارس[٩٤].

التمثيل الدبلوماسي البريطاني في البصرة :

كان النشاط التجاري لشركة الهند الشرقية الإنكليزية في العراق متمركزاً في البـصرة طيلة القرنين السابع عشر والثامن عشر. وقد أسست الشركة مقيمية لها في البصرة منذ سـنة ١٧٢٣. وتحولت هذه المقيمية الى وكالة سنة ١٧٦٤ بعد اغلاق وكالة الشركة في بندر عباس بسبب الأوضاع السياسية في بلاد فارس. وفي السنة نفسها أسست الشركة وكالة أخرى لها في

---

(٩١)Ibid. p. 1469; Bayar. Op. Cit. P. 370.

(٩٢)Lorimer, Op. Cit, p. 1496. Bayor, op. Cit, p. 270.

(٩٣) U-S. Natiom Arab-es, Con-ala of U.S.A., (Baghdad) to the deparment of Stat (Washington). 12.7.1894.

(نسخة مصورة على مايكروفلم / في الجامعة المستنصرية / معهد الدراسات الدولية.

(٩٤) وليم تيودور سترنك، حكم الشيخ خزعل بن جابر واحتلال إمارة عربستان (البـصرة، ١٩٨٣، ترجمـة عبدالجبار ناجي)، ص ص ١٢٦ـ١٢٧. ومن الجدير بالذكر في هذا السياق ان المقيم السياسي والقنصل العام في بغداد نيكسون قد كتب الى حكومة الهند، على خلفية المطالب العثمانية المتكررة بسحب الباخرة، مذكرة في ١٧ شباط ١٨٧٩ أبدى فيها تلهفه الشديد لإبقاء الباخرة بصفة دائمة في نهـر دجلـة لأهميتهـا فـي حمايـة الأوربيين في حالة وقوع ثورة في بغداد. أنظر: نوار، المصالح البريطانية في أنهار العراق، ص ١٢٧.

ميناء بوشهر. وظلت وكالة البصرة حتى سنة ١٧٧٨ المركز الرئيس لنشاط الحركة في منطقة الخليج العربي عندما انتقلت تلك المسؤولية الى المقيم في بوشهر ليمـارس الإشـراف علـى شؤون الخليج العربي[٩٥]. وتحولت وكالة البصرة الى مقيمية منذ سنة ١٧٧٩، كمـا ذكرنـا سابقاً.

كانت البصرة مقيمية تابعة لولاية بغداد ومن هنا، فان إنشاء مقيمية بغـداد فـي سـنة ١٧٩٨ أدت الى وجود مقيميتين بريطانيتين في ولاية بغداد هما مقيمية البـصرة التـي كـان يرأسها مانيستي ومقيمية بغداد التي كان يرأسها هارفورد جونز. وفي ضوء التنافس البريطاني ـ الفرنسي في المنطقة، فان الأرجحية كانت لمقيمية بغداد، وتعززت هذه الأرجحية بتعيـين ريج في مقيمية بغداد (١٨٠٨ ـ ١٨٢١) ونجاحه في تعزيز النفوذ البريطـاني فـي العـراق. وتأكدت هذه الأرجحية بصدور قرار دمج مقيميتي البصرة وبغداد في مقيميـة بغـداد لحـين مغادرته إياها بعد نزاعه مع الوالي داود باشا سنة ١٨٢١. وفي غضون تلك الـسنوات كـان يمثل ريج في البصرة مساعد وكيل سياسي **Assistant Political Agent**. وقـد شـغل ذلـك المنصب الدكتور كالكاهون **Colquhoun** بين سنة ١٨١٠ ـ ١٨١٨ والنقيب روبرت تايلر بين سنة ١٨١٨ ـ ١٨٢٢[٩٦]. وبعد وفاة ريج وتأسيس الوكالة السياسة البريطانية في الخليج العربي وادخال البصرة ضمن سلطتها أصبح لقب تايلر (مساعد الوكيل السياسي في الخليج العربي). لكن هذا الترتيب لم يستمر طويلاً كما مر بنا. ثم تولى روبرت تايلر مهام الوكالة السياسية في العراق سنة ١٨٢٢ وصار التمثيل البريطاني في البصرة على مستوى وكالة محليـة[٩٧]. وإن استمر تايلر في الإقامة فيها حتى مطلع الثلاثينيات عندما استقر بصورة دائمـة فـي بغـداد. وتولى منصب الوكيل المحلي في البصرة سنة ١٨٢٢ ـ ١٨٥١ شخص أرمني الأصـل هـو خواجه بيرسيغ يوهانيس وكان هذا على جانب من الذكاء ودراية بمشكلات العـراق الداخليـة ويستغلها لمصلحة بريطانيا[٩٨].

---

[٩٥] القهواتي ، المصدر السابق ، ص ٤٠. وكانت مسؤوليات المقيم في بوشهر تجارية في البداية لكـن مـع تزايد النفوذ البريطاني في الخليج العربي بعد القضاء على قوة القواسم في النصف الأول من القـرن التاسـع عشر تغير لقبه المقيم البريطاني في الخليج العربي وصارت مسؤولياته سياسية وعـسكرية. أنظـر: جمـال زكريا قاسم، مختارات من وثائق الكويت والخليج العربي المحفوظة في دور السجلات البريطانية، (الكويـت، ١٩٧٢)، ص ١٠.

[٩٦] Lorimer; Op. Cit. P. 1334.

[٩٧] Ibid. pp. 1336-1337.

[٩٨] نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ٢٩٧.

تصادفت وفاة يوهانيس مع حدوث تغيير في التقسيمات الإدارية في العراق، حيث رفعت درجة مقيمية البصرة الى ولاية سنة ١٨٥٠ـ١٨٦٢، قبل أن تعود الى درجة لواء ضمن ولاية بغداد منذ سنة ١٨٦٢ كما ذكرنا. ويبدو ان هذا التغيير كان وراء اسناد منصب الوكالة الى أشخاص من أصل إنكليزي كان أولهم جيمس روبرت تايلر بين سنة ١٨٥١ـ١٨٥٨[٩٩]، وهو ابن القنصل البريطاني السابق في بغداد روبرت تايلر، أما الذين أعقبوه في المنصب فكانوا من المدنيين أيضاً وممن يرتبطون بشركة لينج بعلاقات اقتصادية كشركاء فيها. ولعل هذا كان من العوامل التي ذللت كثيراً من الصعوبات التي واجهت تلك الشركة[١٠٠].

ومنذ سنة ١٨٧٣ ، وربما بسبب إزدياد الدور العثماني في الخليج العربي منذ حملة مدحت باشا ١٨٧١، تغيرت تسمية الوكيل البريطاني في البصرة الى وكيل سياسي مساعد **Assistant Political Agent**. ومما يلفت النظر هنا ان الذين تولوا هذا المنصب بين سنة ١٨٧٣ـ١٨٩٨، سواء أكانوا من المدنيين أو من العسكريين التابعين لقسم الخدمة السياسية الهندية كان معظمهم يمضي أشهر قليلة فيه. ففي حين كانت هناك أربعة تعيينات في منصب الوكيل في البصرة بين سنة ١٨٥١ـ١٨٧٣[١٠١]. وبصفتهم نواب قناصل كان عليهم الاتصال بوزارة الخارجية البريطانية من خلال القنصل البريطاني العام في بغداد. ومن هنا فان قيام الوكيل البريطاني في البصرة موكلر بالاتصال مباشرة مع وزارة الخارجية البريطانية في سنة ١٨٨٥ أدى الى نشوء سوء تفاهم بينه وبين القنصل العام في بغداد العقيد تويدي. وقد بعث الأخير رسالة الى وزير الدولة للشؤون الخارجية في حكومة الهند في ٤ كانون الأول سنة ١٨٨٥ لفت فيها الانتباه الى مساوئ السماح باجراء أي تغير في العلاقة القائمة منذ مدة طويلة بين القنصل العام في بغداد ونائب القنصل في البصرة. ووجه العقيد تويدي الاهتمام الى الرسالة المؤرخة في ٧ أيار ١٨٨٤ التي كان قد بعث بها القنصل العام السابق بلودن الى وزارة الخارجية والتي ورد فيها ان موكلر كان مخطئاً تماماً في الافتراض بأن البصرة قد تحولت الى قنصلية (قائمة بذاتها) في سنة ١٨٧٩، لأن ما حدث هو ان حكومة الهند قامت، بناء على توجيه من القنصل العام في بغداد نيكسون في سنة ١٨٧٩، بمنح نائب القنصل البريطاني في البصرة روبرتسون صفة (قنصل) بهدف إعطاء وزن أكبر لمراسلاته مع

---

[٩٩] Lorimer; Op. Cit, p?.

[١٠٠] نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ٢٩٧.

[١٠١] وهم جيمس تايلر ١٨٥١ـ١٨٥٨، ور. روجز ١٨٥٨ـ١٨٦٢، ودبليو. جونسون ١٨٦٣ـ١٨٦٨ (تاجر)، وباتريك. ج. س رويدنتسون ١٨٦٨ـ١٨٧٣ (تاجر). ينظر:
Lorimer. Op. Cit, pp. 2686-2687.

السلطات العثمانية في البصرة، ولكن كان هناك شرط نص على انه ينبغي في الوقت نفسه (أن يبقى ضمن نطاق سلطات القنصل العام في بغداد). ومن هنا فان هدف التنظيم الذي حصل في سنة ١٨٧٩ هو إبقاء التمثيل البريطاني في البصرة نيابة قنصلية مع إعطاء ضـباط الخدمـة السياسية الهندية الذين يعيشون هناك الرتبة الشخصية للقنصل. ونتيجة للخلاف الذي حـصل بين تويدي وموكلر أكدت وزارة الخارجية البريطانية في رسالة مؤرخة في ٢٢ نيسان ١٨٨٦ الى تويدي بأن على القنصل في البصرة أن يقوم باتصالاته مع وزارة الخارجية البريطانية من خلال القنصل العام في بغداد[١٠٢].

في أواخر سنة ١٨٩٨ حدث تغير مهم آخر في التمثيل البريطاني في البصرة، فقد تولت وزارة الخارجية البريطانية مباشرة مسؤولية تعيين القناصل البريطانيين هناك مـن منتـسبي (الإدارة القنصلية للشرق الأدنى - Levant Consular Service) التي سبق وان تأسست منـذ سنة ١٨٧٨[١٠٣]، ويعزى هذا التغير الى نمو المصالح التجارية البريطانية في البصرة بـشكل كبير منذ أواخر القرن التاسع عشر ونتيجة لذلك طالب التجار والشركات البريطانية العاملة في البصرة تعيين قنصل من وزارة الخارجية، ذلك ان عمل الدبلوماسيين البريطانيين في البصرة، ممن كانوا يعينون من قسم الخدمة السياسية الهندية، كان سياسياً وقضائياً على نحو خاص، في حين كان يفترض فيمن يعين قنصلاً في البصرة أن يكون ملماً بالشؤون التجارية وذا معرفـة بالقانون العثماني ونظام الامتيازات الأجنبية. كما تشكى أولئك التجار مـن وضـع التمثيـل الدبلوماسي في البصرة لأن الذين يتولونها موظفين ثانويين يتم تغيرهم كل بضعة أشهر[١٠٤]. وفيما بين سنة ١٨٩٨ وقيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤، تولى قنصلية البصرة ثلاثـة قناصل تابعين مباشرة لوزارة الخارجية البريطانية وهم: داستلاو C. Wratislaw بـين سـنة ١٨٩٨-١٩٠٣، وكراو F. E. Crow بين سنة ١٩٠٣-١٩١٤، وريدر بـولارد R. Bullard، الذي وصل الى البصرة في ايار سنة ١٩١٤، وبقي فيها حتى مطلع تشرين الثاني مـن تلـك السنة، حيث غادرها بسبب دخول الدولة العثمانية الحرب الى جانب ألمانيـا والامبراطوريـة النمساوية - المجرية ضد بريطانيا وحليفاتها[١٠٥].

وقد تولى هؤلاء القناصل المسؤولية في البصرة في وقت ازدادت فيه أهميـة المـسائل المتعلقة بالخليج العربي بالنسبة لوزارة الخارجيـة البريطانيـة بـسبب مـساسها بالعلاقـات

---

(١٠٢) Lorimer, Op. Cit, p. 1588, P.G.A.R, Archive Edition (London-1986), Vol. P. 163

(١٠٣) بولارد ، المصدر السابق ، ص ٦٠. لونكريك ، العراق الحديث ، ١٩٠٠-١٩٥٠ ، جـ ١ ، ص ٢٢.

(١٠٤) Reader Rullard. The Camels Must Go (London-1961), pp. 82-83.

(١٠٥) Ibid.. pp. 87-88. Busch. Op. Cit. Appendex. H.

البريطانية ـ العثمانية من جهة، والعلاقات البريطانية مع قوى أوروبية أخـرى مـن جهـة أخرى، مثال ذلك موضوع السيادة العثمانية في الخليج العربي والمنافسات الدولية البريطانيـة والألمانية والروسية والفرنسية. وقد دفعت هذه العوامل وزارة الخارجية البريطانيـة باتجـاه مزيد من الاهتمام بالمنطقة والقيام بدور أكثر فعالية فيها، بل وفي تقرير الـسياسة الخارجيـة لحكومة الهند[١٠٦].

كان كادر القنصلية يتألف من عدد من الموظفين والمستخدمين ، وعلـى وفـق وثيقـة بريطانية تتضمن كشف نفقات قنصلية البصرة لشهر نيسان ١٩٠٦، فان هذا الكادر يتألف من مترجمين، وكاتب لشؤون الملاحة البحرية لمتابعة الأمور المتعلقة بالسفن البريطانيـة التـي تتردد على ميناء البصرة وكاتب اضافي لمتابعـة شـؤون الرعايـا البريطـانيين والرعايـا المشمولين بالحماية البريطانية (يونانيين وإيطاليين واسبان وبرتغاليين ومجريين)، وعدد آخـر من الكتّاب والموظفين، وطبيب وموظفي مكتب البريد البريطانية التابع للقنصلية[١٠٧].

مبنى مقيمية البصرة :

كان مقر إقامة الممثل البريطاني في البصرة يقع في المعقل أو (كوت الفرنجـي)[١٠٨] ، التي كانت تقع على الضفة الغربية من شط العرب وعلى مسافة نحو ٥ كيلومترات الى الشمال من البصرة. وفي سنة ١٨٧٠ انتقل المقر الى مؤجرة في البصرة تقع على الضفة الغربية من شط العرب الى الجنوب قليلاً من مصب نهر العشار في شط العرب[١٠٩]. وفي سنة ١٩٠٣ تم بناء مقر جديد للقنصلية البريطانية في الموقع نفسه تقريباً[١١٠].

---

[١٠٦] قاسم ، مختارات من وثائق الكويت والخليج العربي ، ص ص ٢٠ ـ ٢١.

[١٠٧] O.R.L/P & S/10/70, The expenditure of the Basra Consulate, April, 1906.

وانظر أيضا : سالنامة ، ولاية البصرة ١٣٢٠هـ ، ص ٢٤١.

[١٠٨] في سنة ١٨١٠ أفلح المقيم البريطاني في بغداد ريج في الحصول على قطعـة أرض اسـتراتيجية فـي المعقل تم اتخاذها بمثابة قاعدة بحرية صغيرة لشركة الهند الشرقية الإنكليزية وأطلـق عليهـا اسـم (كـوت الافرنجي). وكانت هذه القاعدة تُستخدم لرسو السفن البريطانية التجارية والحربية وتقدم الخدمات لهـا، كمـا احتوت على مخازن ومستودعات لتجميع البضائع التجارية والمواد الأخرى وتوزيعها داخل العراق وخارجه، وقد أثار وجود هذه القاعدة خلافات بين العثمانيين والإنكليز في منتصف القرن التاسع عـشر. لمزيـد مـن التفاصيل راجع: البستاني، المصدر السابق، ص ص ٩٤ـ١٠٧

[١٠٩] Lorimer; Op. Cit, p. 14/4.

[١١٠] لونكريك ، العراق الحديث ١٩٠٠ ـ ١٩٥٠ ، جـ ١ ، ص ١١٩.=

Ibid. 1591.

ولابد من الإشارة الى محاولة السلطات البريطانية إقامة وكالة قنصلية في الفـاو قـرب مصب شط العرب في الخليج العربي بحجة ان السلطات العثمانيـة تـسيء معاملـة الـسفن البريطانية والهندية هناك. ففي نهاية سنة ١٨٩٤ اقترح المقيم السياسي البريطاني فـي بغـداد العقيد موكلر ضرورة تعيين ضابط من محطة التلغراف البريطانية في الفـاو بـصفة وكيـل قنصلي (Consular Agent) هناك ابان موسم تصدير التمور في أشهر أيلول وتـشرين الأول وتشرين الثاني من كل سنة. وقد وافقت حكومة الهند على الاقتـراح كمـا تبنتـه الحكومـة البريطانية أيضاً. وفي ضوء ذلك تم تخويل موكلر ما يلزم فبادر بدوره الى تعيين أحد منتسبي دائرة التلغراف الهندية ـ الأوربية[١١١] وهو مونكافن (Mungavin) وكيلاً قنصلياً في الفـاو. وعندما رفضت السلطات العثمانية الاعتراف به أجابت السلطات البريطانية على ذلك الرفض بمذكرة في ٢٢ أيلول ١٨٩٦ أوضحت فيها بأنها سترسل سفينة حربية بريطانيـة الـى شـط العرب لحماية المصالح البريطانية هناك، وتم فعلاً ارسال الباخرة لابونك (Lapwing). وفـي النهاية تخلت السلطات البريطانية عن فكرة إقامة وكيل قنصلي في الفاو بعد ان تلقـت تأكيـداً من السلطات العثمانية في كانون الأول ١٨٩٦ بخصوص حسن معاملـة الـسفن البريطانيـة والهندية هناك[١١٢].

التمثيل الدبلوماسي البريطاني في الموصل :

خلافاً للبصرة وبغداد لم تكن لبريطانيا مصالح مهمة تستحق الذكر في الموصـل حتـى العقد الرابع من القرن التاسع عشر. وقد تنبه البريطانيون الى أهمية الموصل منذ ثلاثينيـات القرن التاسع عشر بسبب التوسع المصري في بلاد الشام وقُربها من ميدان الصراع العثمـاني ـ المصري[١١٣]. فضلاً عن ذلك تزايد النشاط الفرنسي في الموصل، ولاسـيما فـي ميـدان التبشير، وبناء على ذلك قرر البريطانيون إقامة تمثيل دبلوماسي لهم في الموصل يكون بمثابة حلقة اتصال بين قناصل بريطانيا في الشام وقناصلها في العراق والأناضول. وفـي كـانون

---

(١١١) كان البريطانيون يديرون مركز التلغراف في الفاو والذي يمثل حلقة وصل بين بغداد وبوشهر ، Busch, Britain and the Gulf, p. 36.

(١١٢)Lorimer, Op. Cit, p. 1592.

(١١٣) كان الصراع العثماني ـ المصري قد تجدد منذ سنة ١٨٣٩ بعد هدنة استمرت منذ سـنة ١٨٣٣. وقـد تمكّن الجيش المصري من انزال هزيمة ساحقة بالجيش العثماني في معركة (نزيـب) فـي حزيـران ١٨٣٩ وأصبح وضع الدولة العثمانية حرجاً في ذلك الصراع لولا ان تسارعت الدول الأوربيـة لنجـدتها وفـرض تسوية بالقوة على محمد علي باشا في ١٨٤٠ ـ ١٨٤١، راجع التفاصيل في: لوتسكي، المصدر السابق، ص ص ١٣٨ـ١٤٥.

الأول ١٨٣٩ تم تأسيس وكالة قنصلية بريطانية في الموصل أُسندت مهام القيـام بهـا الـى مواطن عثماني كلداني أصله من حلب واستقر في الموصل هو كريستيان رسام(١١٤). ولم يكن رسام بعيداً عن الإنكليز، فقد سبق له أن ساهم في بعض أعمال بعثة جزني وسهل مهامها من خلال اتقانه العربية والإنكليزية. وقد كان مصطبغاً بالصبغة الإنكليزية مـن حيـث التفكيـر السياسي والعاطفي والديني، إذ تحول الى المذهب البرتستانتي، وكان مطلعـاً علـى الأدبـين السرياني والكلداني، وشغوفاً بالمخطوطات النادرة وعارفاً بأنساب القبائل العربية في أطـراف الموصل(١١٥). وقد استمر رسام في منصبه هذا حتى وفاته في ايار١٨٧٢ (١١٦). وقد مـارس النشاط التجاري في الموصل أيضاً ابان عمله وكيل قنصل بريطاني، وينسب اليه خان تجاري في الموصل يعرف بخان (الباليوز)(١١٧)، وهي كلمة تركية تعني القنصل.

كانت قنصلية الموصل تحت اشراف القنصل العام في بغداد منذ تأسيسها(١١٨). وبعد وفاة رسام طلب القنصل البريطاني العام في بغداد هربرت من حكومته أن يسند المنصب الـشاغر في الموصل الى موظف بريطاني الأصل حتى لا يتفوق القنـصل الفرنـسي علـى الممثـل البريطاني في الموصل(١١٩). وهذا ما حصل فعلاً، حيث تعاقب على المنصب كل مـن جـون فردريك راسل (J. F. Russel) بين سنة ١٨٧٧ـ١٨٨٣ ووليـام شـورتلاندر رتـشارد (S. Richards) بين سنة ١٨٨٣ ـ ١٨٨٥ ثم هاري هـارلنج لامـب (H. H. Lanp) بـين سـنة ١٨٨٥ـ١٨٨٦ ثم ر اسل مرة أخرى بين سنة ١٨٨٦ـ١٨٨٧ قبل ان ينتقـل مجـدداً الـى شخص من بيت رسام وهو نمرود رسام الذي تولاه بين سنة ١٨٩٣ـ١٩٠٨(١٢٠).

والواقع ان السلطات البريطانية لم تظهر في النصف الثاني من القـرن التاسـع عـشر اهتماماً كبيراً بتمثيلها الدبلوماسي في الموصل لضآلة مصالحها هناك وعـدم وجـود رعايـا بريطانيين في المدينة(١٢١). بيد ان موقفها بدأ يتغير منذ السنوات الأولى من القـرن العـشرين بسبب تزايد النشاط الألماني في المنطقة من خلال إنشاء قنصلية ألمانية فـي الموصـل سـنة

---

(١١٤) روفائيل أبو اسحق ، تاريخ نصارى الموصل (بغداد ، ١٩٤٨) ، ص ٦٥.

(١١٥) نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ص٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(١١٦) Lorimer; Op. Cit, Historical, 11, p. 2689.

(١١٧) النحاس ، المصدر السابق ، ص ٨٣.

(١١٨) Lorimer; Op. Cit, Historical, I, Part-IB. p. 1592.

(١١٩) نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ٢٩٨.

(١٢٠) Lorimer; Op. Cit, Historical, 11, p. 2689.

(١٢١) Ibid., Historical, I, Part, IB, p. 1592.

١٩٠٥[١٢٢]. وارسال بعثات آثارية الى المنطقة[١٢٣]. ومحاولة الحصول على امتيـاز نفطـي فيها[١٢٤]. فضلاً عن توسع التجارة الألمانية فيها. ورداً على ذلك أوعزت بريطانيا الى قنصلها في ديار بكر بالتوجه الى الموصل في ربيع سنة ١٩٠٦ لجمع المعلومات عن النشاط الألماني هناك[١٢٥]. وفي الوقت نفسه طلب السفير البريطاني فـي اسـطنبول مـن وزارة الخارجيـة البريطانية في سنة ١٩٠٦ بتعيين نائب قنصل إنكليزي في الموصل لأجل تغطية النقص فـي المعلومات العسكرية البريطانية عن المنطقة، إلا ان الوزارة رفضت ذلـك الطلـب. ولكـن الوزارة عادت وقبلت مرة أخرى وجهة نظر جورج لويد (G. Lioyd) الـذي زار العـراق ١٩٠٧لدراسة إمكانات توسيع التجارة البريطانية فيه، كما سبقت الإشارة في الفصل الـسابق، ووجهة نظر القنصل البريطاني العام في بغداد رامزي بأن الاعتبارات التجارية تبرر تعيـين نائب قنصل إنكليزي في الموصل. وهكذا تم تعيين نائب قنصل إنكليزي في الموصل في آذار ١٩٠٨ وهو هوراس ادوارد ولكي H. E. Wilkie مع تعليمات تطالب تكريس جهوده لتعزيـز المصالح التجارية البريطانية، ومراقبة الأسواق المحلية، والسعي من أجل إيجاد منفـذ لجلـب السلع البريطانية اليها[١٢٦].

استمر ولكي (Wilkie) في منصبه حتى نهاية كانون الثاني ١٩١٠ عندما عـزل مـن منصبه بسبب شكاوى السلطات العثمانية من جولاته المريبة في شمال العراق[١٢٧]. وجاء بعده تشارلز كريك (C. Grieg) الذي استمر في المنصب حتى تشرين الثاني ١٩١١. وكان متبرماً

---

[١٢٢]I.O.R.L/P & S/10/56, from the Ambassdor in Istanbul to Foreign Office, 2.3. 1906.

[١٢٣]Ibid., from Ambassador in Istanbul fo Foreign Office, II, 4. 1906.

[١٢٤]Ibid., from the Ambassador in Istanbul to Foreign Office 20.3. 1906.

[١٢٥] راجع نص المذكرة الموجهة من ناظر الداخلية العثماني الـى الـصدر الأعظـم بتـاريخ ١٠ صـفر ١٣٢٤هـ/ ٥ نيسان ١٩٠٦ في:

Turk Cumhuriyeti, Basbakenlik Oevlet Arsivieri Genel Muourlugn, Musul, Kerkuk ile ilgili Arsiv Belgleri 1525-1919 (Ankra-1993), pp. 290-291.

وسنشير الى هذا المصدر لاحقاً بـ :

Musul-Kerkuk Arsiv Belgeleri.

[١٢٦]Cohen, Op. Cit, p. 58.

وانظر أيضاً : لونكريك ، العراق الحديث ١٩٠٠ ـ ١٩٥٠ ، جـ ١ ، ص ١١٩.

[١٢٧]راجع الوثائق والمراسلات العثمانية الخاصة بهذا الموضوع في :

Musul-Kerkuk Arsiv Belgeieri, pp. 313-317.

من وجوده في الموصل ويطلب النقل[١٢٨]. كما كان يتصرف بشيء من الغطرسة مع السلطات العثمانية فيها[١٢٩]. وبعد نقله تولى المنصب هنري تشارلز هوني (H. C. Honey) منذ تشرين الثاني ١٩١١[١٣٠].

لم يكن التمثيل الدبلوماسي البريطاني في الموصل يضم هيأة كبيرة مثل البصرة، ففـي الأوقات التي كان يتولى المهام أفراد من أسرة رسام كانوا يقومون بالمهام وحدهم، وعندما يتم تعيين أشخاص إنكليز للمنصب يتم تعيين المترجمين اللازمين معهم[١٣١]. ويقوم المترجم عادة بأعمال نائب القنصل أثناء غياب الأخير عن المدينة[١٣٢]. وترد إشارة الى أحد العـاملين فـي قنصلية الموصل بوظيفة (قواص) وهو من النصارى أيضاً[١٣٣]. وهو بمثابة جاويش القنصلية أو ما يشبه القائم بأعمال التشريفات فيها أيضاً[١٣٤].

التمثيل الدبلوماسي البريطاني في المدن ـ كربلاء :

---

[١٢٨]Cohen, Op. Cit, p. 15.

[١٢٩] ذكر عالم الآثار السويدي كوير (S. Guyer) الذي زار العراق سنة ١٩١٠ـ ١٩١١ بوصفه عضواً في بعثة تنقيب عن الآثار في سامراء، بأنه مر بالموصل في وقت العيد وذهب الى الوالي العثماني لتقديم التهنئـة بالمناسبة، وأثناء زيارته للوالي جاء القنصل البريطاني أيضاً لتقديم التهنئة وكان يرتدي بدلة بيضاء. ويضيف ان القنصل تحدث قليلاً في مجلس الوالي وأعطى انطباعاً واضحاً عن قوة وهيبة الامبراطوريـة العثمانيـة، راجع:

S. Guyer, My journey Down the Tigris -translated by Joseph McCabe), p. 200, (London-1925.

[١٣٠]Lorimer, Op. Cit, Historical, 11, p. 2689.

[١٣١] يتضح ذلك من مراجعة سالنامات الموصل العثمانية التي تذكر أسماء العاملين في القنصليات الأجنبية في الموصل، فعندما كان نمرود رسام نائب للقنصل تذكره السالنامات لوحده فيما تذكر أسماء اثنين من المترجمين مع نائب القنصل هوني وهما نمرود رسام مترجماً فخرياً وشخص آخر يدعى ناصر أفندي، أنظر وقارن: موصل ولايتي سالنامه سي ١٣١٢هـ ـ (١٨٩٤ ـ ١٨٩٥م) ص ١٤٠. موصـل ولايتـي سـالنامه سـي ١٣٢٥هـ ـ (١٩٠٧ـ١٩٠٨م)، ص ١٦٦. موصل ولايتي سالنامه سي ١٣٣٠هـ ـ (١٩١١ـ ـ١٩١٢م)، ص ١٣١.

[١٣٢]I.O.R.L/P & S/10/212, Pummary of events in Turkish Iraq during June 1913, p. 11, Also, Summary of events.. October, 1913, p. 3.

[١٣٣] موصل ولايتي سلنامه سی ١٣٢٥هـ ، ص ١٦٦.

[١٣٤] شمس الدين سامي ، قاموس تركي (استانبول ، ١٣١٧هـ) ، ص ١٠٨٦. ويشير يعقوب سركيس الـى وجوده في بغداد حيث يسميه (باش جاوش) الإنكليز. أنظر: يعقوب سركيس، مباحث عراقية في الجغرافيـة والتاريخ والآثار وخطط بغداد (بغداد، ١٩٨٤)، ص ١٨.

إن التمثيل الدبلوماسي البريطاني في كربلاء يرتبط أساساً بتدفق عدد كبير من المسلمين الهنود الى العراق سنوياً لزيارة العتبات المقدسة في النجف وكـربلاء والكاظميـة وسـامراء وغيرها، اضافة الى الارتباط بعملية توزيع الوقف الخيري الهندي المعروف باسم (وقـف أوده Oudh Bequest)[١٣٥]، ويمكن تتبع اهتمام البريطانيين بتعيين ممثلين لهـا فـي تلـك المناطق منذ منتصف القرن التاسع عشر، حيث ترد إشارة بحسب مـا ذكـر لـوريمر، فـي المراسلات الرسمية للقنصلية العامة في بغداد الى (وكيل بريطاني) في كربلاء سـنة ١٨٥٤، ولكن دون تفاصيل أخرى. ومن هنا فان وجوده قد يكون مؤقتاً وبهدف رعاية الزوار الهنـود ابان الثورات المسلحة في النجف في سنة ١٨٥٢ ـ ١٨٥٤[١٣٦]. ومنذ سبعينيات القرن التاسـع عشر عهدت السلطات البريطانية رعاية ومتابعة الهنود في كربلاء والكاظمية الى وكيل هندي في كل منهما يحمل صفة (وكيل شرف بريطاني Honarary British Agent). بيد ان السلطات العثمانية لم تعترف بهما وبالتالي لم تكن لهما صفة رسمية. وقد ألغيت وكالة الكاظميـة غيـر النظامية من قبل القنصل العام في بغداد نيو مارج في سنة ١٩٠٢، ولاسيما ان الكاظمية ليست بعيدة عن بغداد، حيث مقر المقيمية السياسية والقنصلية العامة البريطانية. أما بالنسبة لكربلاء، فان الوضع كان مختلفاً بسبب بعدها عن بغداد وبالتالي ضرورة وجـود واسـتمرار التمثيـل البريطاني فيها. وبعد طلبات عديدة من القنصل العام في بغداد تويـدي (Twedy) منـذ سـنة ١٨٩٠ والاتصالات بين الحكومة البريطانية والحكومة العثمانية أصدرت الأخيرة أمـراً الـى والي بغداد في ١٠ آب سنة ١٨٩٣ للاعتراف بالوكيل البريطاني في كربلاء بوصفه (وكـيلاً قنصلياً Consular Agent)، وبعد ذلك بعشر سنوات وبناء على مقترحات المقـيم الـسياسي والقنصل البريطاني من بغداد وموافقة السلطات العثمانية، تحول مركز الوكيل القنصلي فـي كربلاء الى نائب قنصل تحملت حكومة الهند راتبه ونفقات دائرته، وذلك منذ بدايـة تـشرين الثاني ١٩٠٣[١٣٧].

ومنذ سنة ١٩٠٣ وحتى قيام الحرب العالمية الأولى تولى مهام نائب القنصل في كربلاء أحد رعايا بريطانيا في العراق وهو ميرزا محمد حسن محسن، وهو مولود في العـراق مـن

---

[١٣٥] راجع التفاصيل عن وقف أوده في الفصل القادم.

[١٣٦] Lorimer, Op. Cit, Historical, I, part IB, 1397.

وللتفاصيل عن ثورات النجف ضد السلطة العثمانية بين ١٨٥٢ ـ ١٨٥٤ راجع: مهدي جواد حبيب البستاني، وثائق عثمانية غير منشورة عن المقاومة العربية في النجف أواسط القرن التاسع عشر، مجلة دراسـات فـي التاريخ والآثار، العدد ٨، السنة ١٩٩١، ص ص ١٥٣ ـ ١٨٤.

[١٣٧] Lorimer, Op. Cit, pp. 1585-1588.

أسرة أفغانية الأصل وذو ثقافة وتعليم جيدين[١٣٨] . وقد قدم خدمات كثيرة أثناء قيامه بواجباته وكافأته حكومة الهند بزيادة راتبه من ٢٠٠ الى ٣٠٠ روبية ومنحه لقب (بهادر خان) في سنة ١٩١١[١٣٩]. ومما يجدر ذكره ان نائب القنصل البريطاني في كـربلاء كـان، مثـل ممثلـي بريطانيا الذين يحملون صفة قنصلية في بغداد والبصرة والموصـل تابعـاً، أيـضاً لـوزارة الخارجية البريطانية[١٤٠].

يتضح لدينا مما سبق ان نمو المصالح البريطانية في العراق أدى الـى نـشأة وتطـور التمثيل الدبلوماسي فيه ابان القرن التاسع عشر، الذي يعرف بأنه عـصر الدبلوماسـية. وان ممثلي بريطانيا في بغداد والبصرة كانوا يتبعون حكومة الهند بوصفهم وكـلاء سياسـيين أو مقيمين سياسيين وان هؤلاء الممثلين، اضافة الى ممثلي بريطانيا في الموصل وكربلاء، كانوا يتبعون وزارة الخارجية من خلال صفتهم القنصلية. وقد تراوحت هذه الصفة القنصلية ما بين قنصل عام (بغداد) وقنصل (البصرة) ووكيل ثم نائب قنصل (الموصل وكربلاء).

وكانت درجات هؤلاء ، كما في بقية أنحاء الدولة العثمانية ، تتبع أهميـة تلـك المـدن ومصالح الدولة الأجنبية فيها[١٤١]. ومن خلال التدرج المذكور آنفاً كان الممثل الدبلوماسي في بغداد يأتي على رأس الدبلوماسيين البريطانيين في العراق، حيث كان بقية الدبلوماسـيين فـي البصرة والموصل وكربلاء يعملون تحت اشرافه ويجرون اتصالاتهم بصورة عامة مع السفير البريطاني في اسطنبول ووزارة الخارجية البريطانية من خلاله أيضاً.

---

[١٣٨] لونكريك ، العراق الحديث ١٩٠٠ ـ ١٩٥٠ ، جـ ١ ، ص ٢٢.

Ibid. p. 1588.

[١٣٩]I.O.R, L/P & S/10/212, Summary of events in Turkish Iraq for the month of January 1912, p. 10.

[١٤٠]F. G. Moberly, Official History of the Great War, the Compain in Mesopotamia 1914-1918. (London-1923), Vol. I, p. 47.

[١٤١]Oztune, Op. Cit, p. 18.

الفصل الثالث

مهام الدبلوماسيين البريطانيين في العراق

مقدمة

من المعروف ان مهام الدبلوماسيين ممن هم بدرجة قنصل أو نائب قنصل تنحصر في أمرين أساسيين، أولهما، رعاية المصالح الاقتصادية لدولتهم، ولاسيما التجارية منها، في البلدان التي يعملون فيها. وثانيهما، الإشراف على شؤون رعايا دولتهم في تلك البلدان[1]. بيد ان أية دراسة لدور الدبلوماسيين البريطانيين في العراق ١٨٣١ - ١٩١٤ تظهر بوضوح انهم تجاوزوا تلك المهمتين وأدوا مهاماً استخباراتية وسياسية استهدفت تعزيز النفوذ البريطاني في العراق تمهيداً لاخضاعه للسيطرة البريطانية المباشرة. بل ان العديد من أولئك الدبلوماسيين دعوا صراحة الى احتلال بريطاني للعراق. وبمعنى آخر فان تلك المهام تمثل خرقاً للقوانين والأعراف الدبلوماسية، مثلما تعد تجاوزاً على سيادة البلاد التي عملوا فيها وتدخلاً في شؤونها الداخلية.

ومن خلال مراجعة المادة التاريخية لدينا يمكن القول ان مهام الدبلوماسيين البريطانيين في العراق ابان تلك المرحلة تمثلت في خمس مهام رئيسة، هي: جمع المعلومات والمهام الإستخبارية، ودعم المصالح وتعزيز النفوذ البريطاني في العراق، والإشراف على شؤون الرعايا البريطانيين، وإدارة وقف أوده، ومراقبة النشاط الأجنبي.

١ - جمع المعلومات والمهام العسكرية :

يمكن القول دون مبالغة ، ان إحدى أهم مهام الدبلوماسيين البريطانيين في العراق تمثلت في جمع المعلومات والأنشطة العسكرية. والواقع انهم شكلوا مصدراً أساسياً ومباشراً لرفد الدوائر السياسية البريطانية المعنية، سواء في حكومة الهند البريطانية، أو وزارة الخارجية البريطانية بكل ما تحتاجه من معلومات عن أوضاع العراق. وكانت تلك الدوائر تعتمد في تقويم الموقف في العراق أو في المناطق المجاورة واتخاذ القرارات السياسية اللازمة بشأنها على تلك المعلومات. كما ان تلك المعلومات تعد في الوقت الحاضر مصدراً أساسياً لدراسة تاريخ العراق السياسي والاقتصادي والاجتماعي في تلك المرحلة.

---

[1] فاضل زكي محمد ، الدبلوماسية في النظرية والتطبيق (بغداد ، ط ٢ ، ١٩٦٨) ، ص ١٢٥، وكذلك: سعدي بسيسو، محاضرات في القانون الدولي العام (بغداد، ١٩٤٨)، ص ٥٧.

والحقيقة ان الأهمية التي علقتها الدوائر السياسية البريطانية المعنية على هذا المحـور من مهام دبلوماسييها في العراق يمكن استخلاصها ببساطة من الوثائق البريطانية التي شرحت مهام أولئك الدبلوماسيين منذ بداية تأسيس المقيمية البريطانية في بغـداد سـنة ١٧٩٨. فقـد تضمنت وثيقة تعيين هارفورد جونز بصفته أول مقيم بريطاني في بغداد، وهي مؤرخة في ٥ تموز ١٧٩٨، تعليمات محددة بهذا الخصوص. ومما ورد فيها، "... عليـك أن تـسعى بكـل الوسائل المتاحة لديك الى جمع كل معلومة تخص السكان والقوة العسكرية والموارد والتجارة في المناطق الخاضعة لباشا بغداد، أو الخاضعة لأي شيوخ أو أمراء مستقلين في شبه الجزيرة العربية، أو عن أية مناطق يمكن أن تشكل ممراً الى الهند سواء من قبل السكان أو الغربـاء. وباختصار يجب عليك السعي لجمع المعلومات بخصوص أي شيء تتصوره مفيداً بأي شـكل من الأشكال، إما لشركة الهند الشرقية وإما الى الحكومة البريطانية بوجه عام..."[٢].

وفي ضوء تلك التعليمات كرس جونز **(Jonz)** جزءاً كبيراً من وقته واهتمامـه لجمـع المعلومات اللازمة ليس عن أحوال باشوية بغداد، بل المناطق المجاورة أيـضاً. فقـد جمـع معلومات عن أفغانستان وعن بلاد فارس، وكانت معلوماته عن بلاد فارس مهمة[٣].

وبعد هارفورد جونز (Hatter Jonz) واصل الدبلوماسـيون البريطـانيون فـي بغـداد والبصرة والموصل مهمة جمع المعلومات والقيام بأنشطة عسكرية في العراق. ولـم تقتـصر مهمتهم تلك على جمع المعلومات ذات العلاقة بالمصالح البريطانية في العراق أو التهديد الذي يمكن أن تتعرض له الهند البريطانية، بل تعدتها الى جمع المعلومات عن الأوضاع الداخليـة بصورة عامة، مثل سياسات الولاة العثمانيين في العـراق أو العـشائر العراقيـة وعلاقتهـا بالسلطات العثمانية[٤]. والتحركات العسكرية العثمانية في العراق وحجم القوات العثمانيـة[٥].

---

[٢] راجع نص الوثيقة في :

Lorimer, Historical Part, IB, pp. 1620-1621.

[٣] Yapp; Op. Cit, p. 333.

[٤] آرشيف رئاسة الوزراء (اسطنبول) ، الرقم 13448، اف 7 ، صورة مذكرة القنصل البريطاني في بغـداد رولنصون الى السفير البريطاني في اسطنبول سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥١م بخصوص تمردات العشائر العربيـة والكردية.

ولمزيد من الأمثلة يمكن ملاحظة : الوثائق البريطانية التي اعتمدها وليمسون في أطروحته عن عشيرة شمر الجربا. ودورها في تاريخ العراق منذ سنة ١٨٠٠. ومعظم تلك الوثائق هي مراسلات بـين نائـب القنـصل البريطاني في الموصل والقنصل البريطاني في بغداد وبينهما وبين السفير البريطاني في اسطنبول وحكومـة الهند البريطانية. وتظهر لنا تلك الوثائق اهتمام الدبلوماسيين البريطانيين في العراق بمتابعة شـؤون عـشيرة شمر بالتفصيل. راجع :

وقضايا الحدود العثمانية ـ الفارسية[٦]. وغير ذلك. فضلاً عن المعلومات عن الأحداث والتطورات في بعض المناطق الأخرى في شبه جزيرة العرب مثل نجد والاحساء[٧]. وهي مناطق لم يكن لبريطانيا ممثلين سياسيين أو دبلوماسيين فيها قبل القرن العشرين.

كانت عملية نقل تلك المعلومات تتم من خلال المراسلات والتقارير التي يبعثها الدبلوماسيون البريطانيون في العراق الى وزارة الخارجية البريطانية من خلال السفير البريطاني في اسطنبول، أو الى الدوائر السياسية المعنية في حكومة الهند البريطانية أو الى المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي. فضلاً عن بعض المراسلات التي تتم مع الدبلوماسيين البريطانيين في بلاد فارس بخصوص تبادل المعلومات ذات العلاقة[٨].

ان عملية إعداد المعلومات التفصيلية والمهمة كانت تتم بطرق متعددة أهمها :

Willimson, The political History of Shammer Jarba 1800-0958 (Unpablished PH. D. Thesis-University of Indiana-1974).

توجد نسخة مصورة منها في المكتبة المركزية ـ جامعة الموصل.

[٥] الواقع ان متابعة تحركات القوات العثمانية في العراق وحجم تلك القوات يشكل حيزاً مهماً في مراسلات الدبلوماسيين البريطانيين في العراق مع الدوائر السياسية البريطانية ذات العلاقة، أنظر مثلاً:

I.O.R, L/P & S/10/188, Summary of events in Turkish Iraq during February-March 19/4, p. 3.

بخصوص معلومات القنصل البريطاني العام في بغداد عن القوات العثمانية في ولاية بغداد، كذلك:

I.O.R, L/P & S/10/212, Summary of events in Turkish Iraq fo December, 1812- pp. 2-3.

بخصوص معلومات القنصل البريطاني في البصرة حول مناطق انتشار القوات العثمانية في ولاية البصرة.

I.O.R, L/P & S/212 Summary of events in Turkish Iraq during October, 1919, p. 5.

بخصوص توزيع القوات العثمانية في الموصل :

Foreign Office Confidential Prints, The Affairs of Kuwait, ed. By Robin Bidwell (London, 1971), Vol. I, Part III, p. 101, Vol. 2, Part IV. P. 37, Part VI, pp. 53-54.

[٦]Water Field, Op. Cit, p. 88., Kubi, Op. Cit, p. 126.

[٧]Bidwell, Op. Cit, Vol. I.P.II, Part, I p. 11, Vol, 2, Part IV. P. 26, Part VI, pp. 58, 74.

أنظر كذلك ، محمود علي الداود ، الخليج العربي والعلاقات الدولية ١٨٩٠ـ١٨٩٤، ص ١٢٨ـ١٤٦.

[٨] مثال ذلك المعلومات التي حصل عليها القنصل البريطاني العام في بغداد في صيف ١٩١٠ من القنصل البريطاني في كرمنشاه والذي اتصل به زعيم كردي لمعرفة امكانية توفير تأييد وحماية بريطانية للشيخ محمود (الحفيد) في السليمانية والذي كان والده الشيخ سعيد قد قُتل في الموصل في كانون الثاني ١٩٠٩.

I.O.R, L/P & S/10/188 Summary of events in Turkish Iraq During July, 1910. P. 1.

وانظر أيضاً مراسلات القنصل البريطاني العام في بغداد رامزي مع الوزير البريطاني المفوض في طهران في حزيران ١٩٠٩ حول اتصال بعض المجتهدين الفرس المقيمين في العراق به واستفسارهم منه حول السياسة البريطانية ازاء أنصار الثورة الدستورية في بلاد فارس.

Abdul-Hadi Hairi, Shi'ism and Constitutionalism in Iran (Leiden-1977), pp. 93. 245-246.

أ- المعلومات التي يتم الحصول عليها من خلال العاملين الـذين يعملـون لحـساب الإنكليز في العراق. وقد ذكر المبشر الإنكليزي كروفز **(Krovisz)** وجود مثـل هؤلاء العاملين منذ وقت مبكر(٩). ويدخل في عداد هـؤلاء موظفـو المؤسـسات والشركات البريطانية في العراق وربابنة الـسفن البريطانيـة(١٠). ومـنهم أيـضاً المترجمون في القنصليات البريطانية. وبعض المتصلين بالبريطانيين(١١). ولا تشير مراسلات الدبلوماسيين البريطانيين في العراق الى هؤلاء العاملين صراحة، وإنما تكتفي بإيراد عبارات من قبيل علمت من مصادر موثوقة(١٢)، أو علمت من مصدر يمكن الاعتماد عليه(١٣).

ويبدو ان بعضاً من هؤلاء كانوا موظفين عثمانيين بدليل وصول العديد مـن نـصوص البرقيات الرسمية العثمانية الى أيدي الدبلوماسيين في العراق(١٤)، بـل ان بعـض الأحاديـث السرية والشخصية في سراي والي بغداد كانت تصل الى القنـصل البريطـاني العـام فـي بغداد(١٥)، فضلاً عن حصولهم على معلومات بخصوص تحركات سرية عثمانية(١٦).

---

(٩)Al-Bustani, Op. Cit, p. 11.

(١٠) التميمي ، المصدر السابق ، ص ١٤٢.

(١١) بعد قيام الحرب العالمية الأولى اتخذت السلطات العثمانية في البصرة اجراءات أمنية فرضـتها ظـروف الحرب. إذ أمرت بمراقبة المتصلين بالبريطانيين خشية التجسس. وفعلاً جرى اعتقال بعض الأشخاص مثـل كنعان شاشة الذي ألقي القبض عليه في الفاو بتهمة التجسس ونقل الى بغداد للمحاكمة أمام محكمة عسكرية في ايلول ١٩١٤، كما ألقي القبض أيضاً، بعد ذلك، على نعوم عبو أفندي المترجم في القنصلية البريطانيـة فـي البصرة في كانون الأول ١٩١٤. وكان هذا يمارس عملية نقل المعلومات للجهات الرسمية البريطانية منذ أمد بعيد. أنظر: المصدر نفسه، ص ص ١٢١-١٢٢.

(١٢)I.O.R. L/P & S/10/212; Summary of events in Turkish Iraq during April-May 1920, p. 1.

(١٣)Bidwen; Op. Cit, Vol, 2, Part, IV, p. 82.

(١٤) مثال ذلك حصول نائب القنصل البريطاني في البصرة J. H. Monahan علـى برقيـة مرسـلة مـن متصرف الديوانية الى والي البصرة بخصوص تحركات القوات العثمانية من الديوانية الى السماوة وقيام نائب القنصل بنقل المعلومات الى السفير البريطاني في استنبول في ٩ حزيران ١٩٠٤. كما حصل موناهان أيـضاً على نص برقية تسلمها والي البصرة وقائد القوات العثمانية فيها من قائد الجيش العثماني السادس في بغـداد بخصوص المصادمات = بين القوات العثمانية وآل سعود في آب ١٩٠٤. ويذكر نائب القنصل البريطاني في البصرة ان حصوله على تلك البرقيات من مصدر موثوق. ينظر:

Ibid. Vol, 2, Part, VI, pp. 53, 54, 158.

(١٥)I.O.R, L/P & S/10/188, Summary of events in Turkish Iraq for June, 1913, p. 2.

ب- المعلومات التي يتم الحصول عليها من الرحالة[١٧] والضباط البريطانيين[١٨] الذين يزورون العراق والمناطق المجاورة، أو من القناصل البريطانيين فـي الولايـات العثمانية المجاورة، فقد استقى القنصل البريطاني العام في بغـداد معلوماتـه مـن القنصل البريطاني في حلب في أكثر من مناسبة وأدرجها في تقـاريره المرفوعـة الى حكومته[١٩]. وقد يستقي معلوماته من الأحاديث التي يجريها مع قناصل الدول الأخرى في بغداد، أو أفراد الجالية الأوربية في المدينة، أو الصحافة العراقيـة، أو ما يدور من أحاديث وشائعات في الـشارع العراقـي[٢٠]، كمـا كانـت البعثـات التبشيرية، من خلال احتكاكها بأهل البلاد، مصدراً مهماً للمعلومات[٢١].

---

[١٦] في سنة ١٨٨٣ زود القنصل البريطاني في البصرة الكولونيل موكلار حكومة الهند بأنباء أُعتبـرت فـي حينها غاية في الخطورة تتعلق برحلة قام بها القائد العثماني العام في بغداد وبصورة سرية الى الفـاو ومعـه متصرف البصرة الأميرال رضا باشا وذلك لغرض القيام بدراسات لبناء استحكامات عسكرية ستكلف الدولـة العثمانية حوالي ٦٣٠٠٠ ليرة عثمانية. الداود، المصدر السابق، ص ٣٢.

[١٧] مثال ذلك قيام الرحالة بيلي جيمس فريزر J.B. Fraser، الذي زار العراق سنة ١٨٣٤، بكتابـة تقريـر عن الأوضاع الإدارية في ولاية بغداد. وقد قدم نسخة من التقرير الى الوكيل السياسي البريطاني فـي بغـداد الكولونيل تايلر، والذي نقله بدوره الى حكومة بومبي. ينظر :

Lorimer, Op. Cit, pp. 1332-1333.

[١٨] في التقرير الذي بعث به القنصل البريطاني العام في بغداد عن خلاصة الأحداث في العراق في نيـسان وايار ١٩١٠ وردت معلومات عن أحداث داخلية في نجد وعن معركة بين سعدون باشا شيخ المنتفـق مـن جهة، وشيخ الكويت مبارك الصباح وأمير نجد عبدالعزيز آل سعود في ١٦ آذار ١٩١٠. وكان مصدر تلـك المعلومات ليجمن (Leachman) الذي مر بموقع المعركة بعد انتهائها مباشرة وقبيل زيارته لبغداد.

I.O.R. L/P & S/10/188, Summary of events, in Turkish Iraq during April-May 1910, p. 12.

وقد خدم العقيد ليجمن في العراق ابان عهد الاحتلال البريطاني لحين قتله على يد الشيخ ضاري شيخ عشيرة زوبع في ١٢ آب ١٩٢٠.

ايرلند ، المصدر السابق ، ص ص ٢٠٩ ـ ٢١٠.

[١٩] I.O.R. L/P & S/10/188, Summary of events in Turkish Iraq during November, 1911. p. I, and during September 1913, p. 9.

في هذا السياق أيضاً حصل نائب القنصل البريطاني في البصرة كراو على معلومات من القنصل البريطـاني في المحمرة في حزيران ١٩٠٣.

Bid well Op. Cit, Vol, 2, Pant V. pp. 44-45.

[٢٠] Ibid. Summary of events during November 1911. P. 2, and for December 1911, pp. 4-6.

[٢١] كاظم ، المصدر السابق ، ص ص ٨١ ـ ٨٢. عبدالملك خلف التميمي ، التبشير فـي منطقـة الخلـيج العربي (الكويت، ١٩٨٢)، ص ٢٥٣.

ج- المعلومات التي تم الحصول عليها مباشرة من الولاة العثمانيين فـي العـراق[٢٢]، أثناء زيارتهم لهم أو من مصادر أخرى قد يقع ختم منها ضمن حاشية الولاة.

د- المعلومات التي يقوم الدبلوماسيون بجمعها مباشرة بأنفسهم، إما بطلب من الجهات العليا البريطانية[٢٣]، أو من خلال مبادرتهم الشخصية بزيـارة مواقـع الأحـداث للتحقق مما يجري شخصياً[٢٤]، أو من خلال الرحلات والجـولات التـي كـانوا يقومون بها الى شتى أنحاء العراق ويدونون خلالها ملاحظاتهم ومعلوماتهم التـي يبعثون بها الى حكومتهم. ومن المعـروف ان العثمـانيين منحـوا الدبلوماسـيين البريطانيين في العراق منذ سنة ١٨٠٢ حق السفر والتجوال في أنحاء الـبلاد دون أن يعترض أحد سبيلهم. وقد استغل هؤلاء الدبلوماسيون ذلـك لجمـع معلومـات واسعة ومهمة عن العراق وشعبه ومدنه ومسالكه، وموارده. وهيأوا بذلك من خلال الكتب والمقالات التي نشروها أو التقارير التي بعثوا بها الى حكوماتهم، خزيناً من المعلومات المهمة التي اعتمدتها الـدوائر الـسياسية البريطانيـة لتنفيـذ أهـدافها الاستعمارية في العراق.

---

[٢٢] أنظر مثلاً : مراسلات والي بغداد نجيب باشا (١٨٤٢ ـ ١٨٤٧) مع القنصل البريطاني في بغداد سـنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م التي أطلعه فيها على التطورات الخاصة بحادثة كربلاء في تلـك الـسنة والـرد علـى إدعاءات القنصل الفارسي في بغداد بهذا الخصوص.

آرشيف رئاسة الوزراء (اسطنبول) ، الرقم 1831. اف ـ 18 ، من والي بغداد نجيب باشـا الـى القنـصل البريطاني ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م،

[٢٣] مثال ذلك طلب حكومة الهند من المقيم السياسي والقنصل البريطاني العام في بغداد الكولنيـل هربـرت التحقق من أنباء اعتزام مدحت باشا إرسال حملة عسكرية كبيرة الى الاحساء سنة ١٨٧١. ينظر : عبدالعزيز عبدالغني ابراهيم، سياسة الأمن لحكومة الهند في الخـليج العربـي ١٨٥٨ ـ ١٨٩٤ ، دراسـة وثائقيـة ، (الرياض، ١٩٨٢)، ص ٢١٢.

[٢٤] تزخر المصادر التاريخية بأمثلة عديدة على ذلك. وسأكتفي بذكر مثالين على ذلك، أولهما، توجه المقـيم السياسي والقنصل البريطاني العام في بغداد نيكسون الى البصرة في سنة ١٨٧٨ ليتابع عن كثـب الأحـداث التي حصلت في الاحساء عندما جدد آل سعود محاولتهم الاستحواذ عليها وردت الدولة العثمانية بارسال قوات لتعزيز حاميتها هناك. أما المثال الثاني، فهو توجه المقيم السياسي والقنصل البريطاني العام في بغداد لوج الى البصرة في كانون الأول سنة ١٨٩٧ للتحقق من أسباب ارسال قوات عثمانية من بغداد الى البصرة وحـشدها هناك. وبعد عودته الى بغداد كتب تقريراً الى سكرتير الشؤون الخارجية في حكومة الهند ذكر فيه ان هـدف التحركات هو مد السيطرة العثمانية المباشرة على الكويت، أنظر: القهواتي، المصدر السابق، ص ١٢٣.
J.B. Kelly, "Salisbury, Carzon and the Kuwait Agrement of 1899, in Studies in International History, ed. By. K. Bourne & D. C. Watt (London-1967), pp. 260-267.

ويمكن القول ان معظم الدبلوماسيين البريطانيين في العراق قاموا بمثل تلـك الجـولات وللغاية ذاتها. فقد قام المقيم البريطاني في بغداد ريج (Rich) بجولة واسعة في شمال العـراق سنة ١٨٢٠ ونُشرت حصيلة جولته تلك في كتاب صدر في مجلدين سنة ١٨٣٦[٢٥]. أما المقيم السياسي والقنصل البريطاني العام في بغداد رولنصون (Rolison)، فقد قام بعد مدة وجيزة من تعيينه في بغداد بجولة في سنة ١٨٤٤ شملت زهاب وكرمنشاه والسليمانية[٢٦]. وكان بصحبته في تلك الجولة الكوماندر نيلكس جونز (Nili Jonz)[٢٧]، وهو من ضـباط البحريـة الهنديـة (Indian Navy) وقام بعمليات مسح المناطق التي شملتها الجولة. وفي سـنة ١٨٧٦ وافقـت حكومة الهند على قيام المقيم السياسي والقنصل البريطاني العام في بغداد الكولونيل نيكـسون (Niksen) برحلة الى الحدود العثمانية الفارسية، لكن الرحلة لم تنفذ لسبب مـا[٢٨]. كمـا زار المقيم السياسي والقنصل البريطاني العام في بغداد مايلز (Miles) كلاً من كربلاء والنجف سنة ١٨٧٩[٢٩]، وزار أيضاً كركوك والموصل وأطرافهـا بـين كـانون الأول ١٨٧٩ ونيـسان ١٨٨٠[٣٠].

وفي سنة ١٨٨١ طلب المقيم السياسي البريطاني العام في بغداد بلودن (Blodin)، الذي كان قد زار كربلاء والنجف، القيام بالرحلة التي لم ينفذها نيكسون (Nikson). وقـد حـصل على الموافقة وقام برحلة الى كرمنشاه ومنها الى السليمانية وكويسنجق وأربيـل والموصـل.

---

[٢٥]Rick, Op. Cit, 2, Vols .

وقد ترجم بهاء نوري المجلد الأول الى العربية وطبع سنة ١٩٥١ ببغداد كما مر بنا سابقاً.

[٢٦] Lorimer, Op. Cit, p. 1394. وكان رولنصون قد زار المناطق الكردية في بلاد فارس أيـضاً سـنة ١٨٣٦ ونـشر ملاحظاتـه عنهـا فـي مجلـة الجمعيـة الجغرافيـة الملكيـة (Journal of the Royal Geographical Society) سنة ١٨٤٠، ينظر: كمال مظهر أحمد، كردستان في سنوات الحـرب العالميـة الأولى، (ترجمة محمد الملا عبدالكريم، بغداد، ١٩٧٧)، ص ٣٤.

[٢٧] Lorimer, Op. Cit, p. 1394. ومن الجدير بالذكر ان فيلكس جونز قام بعمليات مـسح واسـعة فـي العراق وبعث نتائجها على شكل تقارير الى حكومة بومبي بشكل متسلسل كان أولها سنة ١٨٤٦ وآخرها سنة ١٨٥٢، وتم نشر مجموعة تقاريره سنة ١٨٥٧ في كتاب يقع في ٥٠٠ صفحة، وقد ترجم ما يخص بغداد الى العربية، أنظر: عبدالوهاب الأمين، بغداد في سنة ١٨٥٣، مجلة المورد، مجلد ٣، العدد ١، ١٩٧٤، ص ص ٣١ـ٤٦. وكذلك مجلد ٣، العـدد ٢، ١٩٧٤، ص ص ٦٧ ـ ـ ٨٠. نجلـة اسـماعيل العـزي، تـصويبات واستدراكات على (بغداد سنة ١٨٥٣) لفيلكس جونز، مجلة المورد، مجلد ٨، العدد ٤، ١٩٧٤، ص ٦٨١.

[٢٨] Lorimer, Op. Cit, p. 1550.

[٢٩]Ibid.

[٣٠]Miles, Op. Cit, pp. 558-580.

وبسبب مرضه في المدينة الأخيرة عاد الى بغداد في رحلة نهرية بواسطة الكلاك. وفي سنة ١٨٨٢ قام نائب المقيم السياسي البريطاني في بغداد الكولونيل تويدي بزيارة الى كربلاء. وبين تشرين الأول ١٨٨٦ وشباط ١٨٨٧ قام بجولة طويلة زار خلالها أبو غريب وهيت وتكريت وكركوك والسليمانية وكويسنجق وأربيل والموصل وسنجار ودير الزور، ثم عنه وهيت والرمادي والرحالية وشثاثة وكربلاء والنجف، وكان يريد التوجه من هناك الى البصرة عبر ديار عشائر الخزاعل والمنتفق والظفير، لولا ان السلطات العثمانية طلبت منه العودة من النجف الى بغداد. وفي سنة ١٨٩٧ حصل الكولونيل لوج على إذن من حكومته للقيام برحلة بين بغداد والموصل عبر كركوك. أما الكولونيل نيو مارج، فقد قام بعدة جولات في أنحاء العراق ابان توليه منصب ممثل بلاده في بغداد سنة ١٩٠٢ - ١٩٠٦[٣١]. أما خلفه رامزي، فقد قام برحلة نهرية في دجلة في صيف ١٩٠٦ مبرراً طلبه للقيام بها بأنها ستؤدي الى جمع معلومات عن عشائر المنطقة واكمال المعلومات الطبوغرافية العسكرية اللازمة في حالة القيام بعمليات عسكرية في بلاد ما بين النهرين[٣٢]. كما قام برحلة في نهري الهندية والفرات بصحبة مهندس الري المعروف ويلكوكس وصلا فيها الى الناصرية والقرنة. وبعد الرحلة بعث تقريراً الى السفير البريطاني في اسطنبول جيرالد لوثر (G. Lowther) في ١٦ نيسان ١٩٠٩ ضمنه معلومات عن المواقع التي مر بها وصحح المعلومات الواردة في الخرائط العسكرية البريطانية[٣٣]. كما قام خلفه لوريمر بجولات عديدة في وسط وجنوب العراق، فضلاً عن الموصل وأطرافها التي قام بجولة فيها في ربيع ١٩١٠[٣٤]. أما القنصل البريطاني في البصرة كراو، فقد قام برحلة الى أم قصر وخور عبدا في ٢٩ نيسان ١٩٠٣، وجمع معلومات دقيقة عن المواقع التي مر بها[٣٥]. كما قام نائب القنصل البريطاني في الموصل كريك (Creig) بجولة في شمال زاخو في تموز ١٩١٠[٣٦].

---

[٣١] Lorimer, Op. Cit, pp. 1560-1562.

[٣٢] Ghassan Atiyyaj, Iraq 1908-1921. Asocio-political study (Beirut-1973), p. 77.

[٣٣] I.O.R. L/P & S/10/188 Consul-General Ramsay-(Baghdad) to Sir G. Lowther (Istanbal). 16.4.1909.

[٣٤] I.O.R. L/P & S/10/188, Summary of eventsiin Turkish. Iraq during April-May, 1910,pp. 15-16.

وعن جولات لوريمر ينظر أيضاً :

ولسن ، بلاد ما بين النهرين ، جـ ١ ، ص ص ٣٥ ، ١٥٠.

[٣٥] Bidwell, Op. Cit, Vol. 2, Part, V, pp. 31-33.

[٣٦] I.O.R. L/P & S/10/188, Summary of events in Turkish Iraq during the month of July 1910, p. 19.

وكما أسلفت، فان جميع تلك المعلومات كانت تصل ، عبر قنوات الاتصال المختلفة، الى الدوائر السياسية العليا في لندن، أو في حكومة الهند البريطانية. وان قسماً من تلك المعلومات كانت لغرض اطلاع الدوائر السياسية العليا على الأوضاع العامة في العراق، فـي حـين ان القسم الآخر منها، ولاسيما ما يمس المصالح البريطانية أو النفوذ البريطاني، كـان يـستوجب المتابعة من لدن تلك الدوائر التي كانت تجري اتصالات مع الحكومـة العثمانيـة أو الـدول الأجنبية بشأنها. ومن نافلة القول ان نوعية التقارير التي يبعثها القناصـل البريطـانيون فـي العراق الى حكومتهم كانت تتأثر أيضاً بمقدرة كل منهم(٣٧). ففي حين كانت بعـض التقـارير تبالغ في شأن الأحداث المحلية، فان تقارير أخرى كانت تفصيلية ومتماسكة. وكان لهذا النوع من التقارير الأخيرة أثر مهم في صانعي السياسة البريطانية(٣٨). وفي مقابل ذلك كانت وزارة الخارجية البريطانية تتخذ موقفاً متصلباً بـازاء توصـيات ونـصائح بعـض الدبلوماسـيين البريطانيين في العراق بسبب الشك في مقدرتهم وكفاءتهم. فقد انتقدت القنصل البريطاني فـي البصرة كراو في سنة ١٩١٠، لأنه أهمل الكتابة الى حكومته عن الضغوط العثمانيـة علـى المحمرة. وانتقدته في سنة ١٩١٣ لفشله في التثبت من مدى إمكانية الاعتماد علـى الـشيوخ العرب الذين تبنى كراو سياسة تحسين العلاقة معهم. وفي سنة ١٩١٢ تم توجيه انتقـاد الـى القنصل البريطاني في الموصل، لأنه ورط حكومته بشكل غير لائق في خلاف مشكوك فيـه بين النساطرة وبطريرك الكلدان في الموصل. أما ارسـكين (K. D. Erskine) الـذي خلفـه لوريمر في منصبه ببغداد سنة ١٩١٤، فقدُ وصف منذ البداية بأنه غطاء مربع الشكل لحفـرة دائرية(٣٩). في إشارة الى عدم صلاحيته للمنصب.

وفي سياق الحديث عن دور الدبلوماسيين البريطانيين في جمع المعلومـات والأنـشطة العسكرية، لابد من الإشارة الى دورهم في إعداد خرائط عديدة عن العراق ووضعها بين أيدي الدوائر السياسية والعسكرية البريطانية. وقد لفت هذا النشاط انتباه العثمانيين أيضاً، حينما ذكر موظف عثماني عن القناصل البريطانيين بأنهم اعتادوا التجوال في مناطق خطرة جداً ولا هم

(٣٧)Cohen, Op. Cit, p. 15. Ibid, pp. 16, 264, Kelly; "Palisbury, Curzon and the Kuwait Agreement of 1899" p. 263.

(٣٨)Cohen, Op. Cit, pp. 16, 264.

ومن الدبلوماسيين البريطانيين في العراق الذين تميزت تقاريرهم بالدقة والوضوح بـسبب سـعة اطلاعهـم وثقافتهم ومعرفتهم باللغات الشرقية يمكن أن نذكر ريج وتايلر ورولنصون ولوريمر.

(٣٩)Op. Cit, pp. 272-273.

لهم إلا رسم الخرائط(٤٠). ويبدو مما ورد في الوثائق البريطانية ان بعض أولئك الدبلوماسـيين قد دخلوا في دورات في الكلية الحربية البريطانية بناء على رغبة وزارة الحربية البريطانيـة التي أرادت الحصول على معلومات بخصوص مواقع معينة فـي العـراق. فعنـدما جـرت المراسلات بين وزارة الخارجية البريطانية ووزارة الهند في سنة ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ بخصوص تعيين مساعد قنصلي في بغداد بناء على طلب من القنصل البريطاني العام في بغداد، اتصلت وزارة الحربية البريطانية بوزارة الخارجية وأبدت رغبتها في زيادة معلوماتها الجغرافية عـن السليمانية ووادي الزاب الصغير والمنطقة الواقعة بين بغداد والبصرة ومجـرى نهـر دجلـة جنوب بغداد واقترحت أن يطلب من المساعد القنصلي المزمع تعيينه في بغداد إعداد خارطـة عن هذه المناطق وارساله الى دورة لهذا الغرض قبل ذهابه الى بغـداد(٤١). وبعـد ترشـيح غاسكين للمنصب، وقد سبقت الإشارة اليه في الفصل السابق، أبدى نائب الملك في الهند فـي برقية منه الى وزارة الهند بتاريخ ١٩ تشرين الثاني ١٩٠٥ عدم ممانعته لدخول غاسكين فـي دورة في الكلية الحربية البريطانية للتدريب على رسم الخرائط(٤٢). ومما له دلالته ان غاسكين رافق القنصل البريطاني العام في بغداد في جولته في الموصل وأطرافها أيـضاً منـذ سـنة ١٩١٠(٤٣).

وتزخر المصادر التاريخية بأمثلة عديدة عن دور الدبلوماسيين البريطانيين في العـراق في هذا المجال والذي بدأ منذ بدايات تأسيس المقيمية البريطانية في بغداد(٤٤). إلا ان الملاحظ ان هذا الدور ازداد أهمية قبيل الحرب العالمية الأولى(٤٥). ولهذا الأمر علاقة بخطط بريطانيا

---

(٤٠) دبليو. أي. ويكرام وادكاربي. أي. ويكرام ، مهد البشرية ، الحياة في شرق كوردستان (بغـداد، ١٩٧١، ترجمة جرجيس فتح ا)، ص ١٦٧.

(٤١)I.O.R. L/P & S/10/117, Memorandum From War Office to Foreign Office, 25,, 1905.

(٤٢)Ibid. Telegram from the viceroy to India Office 19-11-1905.

(٤٣)I.O.R. L/P & S/10/188, Summary of event in Turkish Iraq during April & May1910, 15-16.

(٤٤) كان ريج قد رسم في سنة ١٨٢٠ لأول مرة خرائط لبعض المواقع في كردستان العراق. أنظـر: كمـال مظهر أحمد، المصدر نفسه، ص ٣٤.

(٤٥) أذكر هنا ـ في سبيل المثال لا الحصر ـ رحلة القنصل البريطاني العام في بغداد رامزي فـي نهـري الهندية والفرات سنة ١٩١٠، وجمعه معلومات عن المواقع التي مر بها وتصحيح المعلومـات الـواردة فـي الخرائط العسكرية البريطانية عن المنطقة. وقد أشار القنصل العام الى ان أفضل خارطة عن نهر الهندية قـد نُشرت من قبل وزارة الحربية سنة ١٩٠٧، إلا ان تلك الخارطة تبدو غير دقيقة في ضوء المعلومـات التـي جمعها. أما المثال الآخر، فهو قيام نائب القنصل في الموصل في سنة ١٩١٢ بتنقيح خارطة وزارة الحربيـة

لاحتلال العراق. وقد كانت الخرائط التي أسهم الدبلوماسيون البريطانيون فـي العـراق فـي إعدادها وتنقيحها ذات أهمية ابان الغزو البريطاني للعراق منذ أواخر سنة ١٩١٤.

دعم المصالح البريطانية وتعزيز النفوذ البريطاني في العراق :

ارتبط تأسيس التمثيل الدبلوماسي في العراق وتطوره ابان القرن التاسع عـشر بنمـو وتطور المصالح البريطانية فيه. وكانت المهمة الأساسية لأولئك الدبلوماسيين في دعـم تلـك المصالح وتذليل المشكلات والصعوبات التي تعترض سبيلها، ولاسيما من جانـب الـسلطات العثمانية المحلية. وكان على الدبلوماسيين السعي الى حل تلك المشكلات والـصعوبات مـن خلال الاتصال المباشر بالولاة والمسؤولين العثمانيين في العراق. وفي حالة عدم التمكن مـن تحقيق ذلك كان عليهم رفع الأمر الى السفير البريطاني فـي اسـطنبول أو وزارة الخارجيـة البريطانية لأجل متابعة الموضوع مع الحكومة العثمانية.

كان هم المصالح التجارية البريطانية في العراق يأتي في مقدمة اهتمامات الدبلوماسيين البريطانيين في العر اق، وكانت أوامر تعيينهم تتضمن تعليمات محددة بهذا الخصوص. ومثالاً على ذلك عندما تم تعيين نائب قنصل بريطاني في الموصل سنة ١٩٠٨ استلم تعليمات جـاء فيها: (يجب أن تكرس نفسك تماماً وعلى وجه التخصيص لتعزيز المصالح التجارية البريطانية ومراقبة الأسواق المحلية، والسعي من أجل إيجاد أي منفذ لاستيراد السلع البريطانية)[٤٦].

ان اسهام الدبلوماسيين البريطانيين في دعم المصالح التجارية البريطانية في العراق كان يتمثل في ثلاث نواحٍ أساسية الأولى هي تذليل الصعوبات والمشاكل التي تعيق أو تهدد نـشاط التجار البريطانيين في العراق. ومن أمثلة ما حـصل سـنة ١٨٥٢ عنـدما اتـصل التجـار البريطانيون في بغداد بالقنصل البريطاني العام رولنصون وقدموا شكوى مكتوبة عن الخسائر والمخاطر التي يتعرضون لها بسبب فقدان الأمن في النقل التجاري عبر نهر دجلة بين بغـداد والبصرة بسبب الاضطرابات العشائرية، وطلبوا منه اتخاذ الخطوات اللازمـة لانهـاء تلـك الحالة. واتصلوا به فيما بعد أيضاً وأثاروا مسألة (حقهم في طلـب تـدخل البـاخرة النهريـة المسلحة التابعة لشركة الهند الشرقية الإنكليزية في نهر دجلة لحماية مصالحهم التجارية التـي

البريطانية عن الموصل وأطرافها، كما ان الملاحظات التي جمعها لوريمر في رحلته الـى الموصـل سـنة ١٩١٠ أسهمت في ادخال تعديلات على تلك الخارطة راجع:

I.O.R. L/P 7 S/10/86, Consul General Ramsay (Baghdad) to Sir G. Lowther (Istanbul) 16-4-1909. ; I.O.R. L/P & S/212. Summary of events in Turkish Iraq for the Month of February, 1912, p. 10.

[٤٦] Cohen, Op. Cit, p. 58.

تعاني الكثير من انعدام النظام في البلاد وعجز السلطات التركية...)[٤٧]. ومع ان نوار يـذكر ان رولنصون كان مؤيداً لفكرة استخدام الباخرة النهرية المسلحة لتحقيق تلك الغاية[٤٨]. إلا ان لوريمر ينفي ذلك ويؤكد ان الاجراء الذي اتخذه رولنصون تمثل في اتصاله بالقائم بالأعمـال (Charge d'Affaires) البريطاني في اسـطنبول الكولونيـل روز (Rose) وبـوزير الدولـة البريطاني للشؤون الخارجية لاجراء اتصالات مع الحكومة العثمانية بخـصوص سـوء إدارة نامق باشا في ولاية بغداد. وبعد هذه الاتصالات بفترة وجيزة تم عزل نامق باشا[٤٩].

أما المثال الآخر ، فهو ما حصل في بغداد أيضاً في صيف ١٩٠٨، فقد كانـت معظـم تجارة التصدير بيد البريطانيين في حين كان معظم التجارة المحلية بيد اليهـود، كمـا كانـت أعمال الصيرفة بيد اليهود والبنوك الأجنبية. وقد أثار هذا الأمر مشاعر الاستياء بين الـسكان في بغداد. وفي مثل هذه الظروف، وتحت ضغوط محلية، قام والي بغداد في آب ١٩٠٨ بمنع تصدير الحبوب بسبب شحتها وارتفاع أسعارها إلا ان القنصل البريطاني العـام فـي بغـداد رامزي تدخل في الأمر نيابة عن التجار البريطانيين الذين كانوا يهيمنون على تجارة تـصدير الحبوب وكتب يقول: (ان الحظر يؤذي التجارة البريطانية في الوقت الحاضر وفي المـستقبل بشكل جدي الى درجة انه ليس لدى مبرر لعدم التدخل والإلحاح على السلطات المحلية لانهاء الحظر حتى لو كان هناك خطر إثارة معارضة من جانب السكان، وقـد رفـضت الـسلطات العثمانية رفع الحظر بسبب احتمـال حـدوث ردود فعـل مـن جانـب الـسكان ووقـوع اضطرابات)[٥٠].

أما المساهمة الأخرى للدبلوماسيين البريطانيين في دعم المصالح التجارية البريطانية في العراق، فقد تمثلت في تشجيع توسع تلك المصالح حينما أمكن ذلك. ففي نيسان ١٩٠٩ اقترح القنصل البريطاني العام في بغداد رامزي تعزيز المصالح التجارية البريطانية في العراق مـن

---

(٤٧)Lorimer, Op. Cit, p. 1390.

(٤٨) يذكر ان رولنصون كان يريد استخدام الباخرة المسلحة (كوميت) ، إلا ان حكومة الهند رفـضت ذلـك. وهذا الرفض لم يرض رولنصون ولا السفير البريطاني في اسطنبول سـتراتفوردي ردكليـف Stratford Redclife، وهو أحد أبرز سفراء بريطانيا لدى الدولة العثمانية. ويضيف بأن ردكليف كتـب رسـالة الـى رولنصون أكثر تشجيعاً بخصوص استخدام الباخرة (كوميت) وأبلغه ان وزارة الخارجية البريطانيـة وافقـت على اقتراح سبق أن تقدم به رولنصون الى دي ردكليف بخصوص استخدام الباخرة (كوميت) في حماية سفن التجار البريطانيين إذا طلبوهم ذلك. أما تاريخ الرسالة فهو ٢٢ حزيران ١٨٥٣. أنظر:
نوار ، المصالح البريطانية في أنهار العراق ، ص ص ١٠٠ ـ ١٠١.

(٤٩)Lorimer, Op. Cit, p. 1391.

(٥٠)Atiygah, Op. Cit, p. 43.

خلال السعي للحصول على امتياز لتسيير السفن التجارية البريطانية في نهر الفرات. وقد كتب الى السفير البريطاني في اسطنبول قائلاً: (... أعتقد انه سيكون من مصلحة التجارة البريطانية كثيراً إذا حصلنا على امتياز لتسيير السفن التجارية في نهر الفرات... ان تجربة نهـر دجلـة تظهر كيف ان تحسين وسائل المواصلات يخلق ثروة في هذا البلد، وأنا أعتقد ان السفن فـي الفرات ستطور التجارة بشكل مذهل في وقت قصير)[٥١]، وفي مثـال آخـر قـام القنـصل البريطاني العام في بغداد لوريمر في شباط سنة ١٩١٢ بمحاولة تـشجيع إحـدى الـشركات التجارية التي يملكها رعايا هنود بريطانيين في العراق، وهي شركة (السادة عبدالعلي اخـوان Messrs Abdul Ali Brothers) على مد نشاطها التجاري الى الموصل في الشمال. وكان نشاط تلك الشركة يقتصر على بغداد وكربلاء[٥٢].

تمثلت المساهمة الثالثة للدبلوماسيين البريطانيين في دعم المصالح التجارية البريطانيـة في العراق في جمع المعلومات وإعداد التقارير التجارية السنوية. وأول تقرير تجاري هو ذلك الذي أعده نائب القنصل البريطاني في البصرة جونستون في سنة ١٨٦٦ والذي يغطي النشاط التجاري للسنوات ١٨٦٤ ـ ١٨٦٦. وتتضمن التقرير تفاصيل وافية عـن حركـة البـواخر والنشاط الملاحي ومعلومات هامة عن نظام الحجر الصحي، وعن أسعار الحبوب والتمـور، اضافة الى ملاحظات عامة عن الحالة الإدارية والاجتماعية والانطباعات الشخصية عن حالة المناخ وطبيعة السكان[٥٣]. كما بعث الدبلوماسيون البريطانيون في بغداد بتقارير تجارية سنوية أولها يعود الى سنة ١٨٦٧ ويغطي المدة ١٨٦٤ ـ ١٨٦٥، أما أول تقرير تجاري سنوي عن الموصل فيرجع الى سنة ١٨٧٨ ـ ١٨٧٩ ويغطي المدة من ١٨٧٤ ـ ١٨٧٨[٥٤]، وكانـت وزارة الخارجية البريطانية تقوم بطبعها، وقد وصف كرزون هذه التقـارير بأنهـا (تتـضمن أفضل معلومات ممكنة في هذا الجانب)[٥٥].

والى جانب دعم المصالح التجارية البريطانية ، فقد كان على الدبلوماسيين البريطـانيين في العراق متابعة نشاط الشركات البريطانية العاملة في العراق وتقديم الـدعم الـلازم لهـا، ولاسيما شركة لينج التي تولت مهمة النقل التجاري في نهر دجلة بين بغداد والبصرة، فـضلاً

---

[٥١] I.O.R. L/P & S/10/86 Consul General Ramsay (Baghdad) to Sir G. Lowther (Istanbul) 16-4-1909.

[٥٢] I.O.R., L/P & S/10/212 Summary of event in Turkish Iraq for the Month of February, 1912, p. 11.

[٥٣] القهواتي ، المصدر السابق ، ص ١١.

[٥٤] محمد سلمان حسن ، المصدر السابق ، ص ص ٦٨٩ ـ ٦٩١.

[٥٥] Curzon; Op. Cit, Vol; 2, p. 54.

عن دورها في نقل البريد البريطاني فيما بينهما. والواقع ان الشركة المذكورة كانت إحدى دعائم النفوذ البريطاني المهمة في العراق، ولذا لم يكن غريباً أن تحظى بدعم قوي من الدبلوماسيين البريطانيين في العراق والذي كان بعضهم على علاقة وثيقة بالشركة من خلال عملهم فيها(٥٦). وقد اعتمدت شركة لينج على حماية الحكومة البريطانية في مواجهة الخلافات بينها وبين السلطات العثمانية المحلية في العراق(٥٧). ويمكن تتبع دعم الدبلوماسيين البريطانيين في العراق وتشجيعهم للملاحة البريطانية في أنهاره منذ وقت مبكر، فعندما بدأت بعثة جزني استعداداتها لمسح نهر الفرات بدءاً من مدينة بيره جك في أعالي الفرات بذل القنصل البريطاني في بغداد تايلر مساعيه لتسهيل تلك المهمة(٥٨)، وكان من ضمن تلك المساعي ارسال رسالة الى والي سيواس محمد رشيد باشا في ٢٧ أيلول ١٨٣٥ بخصوص توفير الحماية لسفن البعثة، وذلك من خلال اصدار أمر الى العشائر القاطنة على ضفاف الفرات وبيره جك والرقة بعدم التعرض لها وارسال موظف عثماني يمثل ذلك الوالي بصحبة بعثة جزني(٥٩). وقد استجاب والي سيواس لذلك وأصدر الأمر المطلوب(٦٠).

إن هنري رولنصون الذي خلف تايلر في المنصب كان من مؤيدي استخدام بواخر تجارية بريطانية في أنهار العراق(٦١). ودافع عن حق السفن البريطانية بالملاحة في أنهار العراق تحت أعلامها الخاصة بها دون اعتراض من جانب السلطات العثمانية(٦٢). كما دافع

---

(٥٦) مثال ذلك ان نائب القنصل البريطاني في البصرة روبرتسون في سنة ١٨٧٥ كان من موظفي شركة لينج، أما كارتر الذي تولى مهام نائب القنصل البريطاني في البصرة في ١٨٧٧، فقد كان قائداً لإحدى سفن شركة لينج سابقاً ثم أصبح ممثلاً للشركة في البصرة، ينظر: نوار، المصالح البريطانية في أنهار العراق، ص ١٤٠. القهواتي المصدر السابق، ص ٢٢٠.

(٥٧) فيصل محمود الارحيم ، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين ١٩٠٨ ـ ١٩١٤ ، (الموصل، ١٩٧٥)، ص ١٩٨.

(٥٨) كان تايلر من المتحمسين لمشروع خطوط الملاحة التجارية في العراق حتى قبل بدء بعثة جزني عملها، ينظر: جاسم محمد هادي، أحوال العراق الاقتصادية والاجتماعية ١٨٣١ ـ ١٨٦٩ (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ص ١٦.

(٥٩) آرشيف رئاسة الوزراء (اسطنبول) ، الرقم 22357.A ، كتاب القنصل البريطاني في بغداد تايلر الى والي سيواس محمد رشيد باشا في ٤ جمادى الأولى ١٢٥١هـ.

(٦٠) Al-Bustani, Op. Cit, p. 308.

(٦١) نوار ، المصالح البريطانية في أنهار العراق ، ص ص ٦٢ ـ ٦٣.

(٦٢) في سنة ١٨٤٥ قام أحد تجار كربلاء ، وهو من الرعايا الهنود كما يبدو ، ببناء باخرة لحسابه في بومباي أطلق عليها اسم (كربلائية). وكان في استطاعة هذه الباخرة أن تبحر في المحيط الهندي الى الخليج العربي ثم الى شط العرب ونهر دجلة الى بغداد مباشرة دون توقف. وقد وصلت الباخرة فعلاً الى البصرة حيث

القنصل البريطاني العام في بغداد كمبال عن حق السفن البريطانية في الملاحـة فـي الميـاه العراقية، وفي آب ١٨٥٦ طلب من والي بغداد رشيد باشـا الكـوزلكي (١٨٥٣ ـ ١٨٥٦) تخفيض الضرائب المفروضة على السفن البريطانية هناك[٦٣].

ومنذ تأسيس شركة لينج وتوسع نطاق عملها في العراق حظيت بدعم كبير مـن وزارة الخارجية البريطانية والدبلوماسيين البريطانيين في بغداد في مواجهة السلطات العثمانية التـي كانت ترى في الشركة رأس حربة لزيادة النفوذ البريطاني في العراق وبالتـالي فـان تلـك السلطات سعت الى معارضة طلبات الشركة بخصوص توسيع نشاطها في العراق[٦٤]. والواقع ان وزارة الخارجية البريطانية، ومع تأسيس شركة لينج، أصدرت توجيهـات الـى القنـصل البريطاني العام في بغداد سنة ١٨٦١ بتسهيل أعمال الشركة وتوفير الحماية لهـا[٦٥]. وفـي ضوء ذلك تدخّل قناصل بريطانيا في العراق مرات عديدة لصالح شركة لينج. فعندما طلبـت الشركة اضافة باخرة ثالثة الى باخرتيها العاملتين في نهـر دجلـة نظـراً لاتـساع أعمالهـا اعترضت السلطات العثمانية المحلية على ذلك سنة ١٨٧٥، إلا ان تدخّل القنصل البريطـاني العام في بغداد والسفير البريطاني في اسطنبول حقق مطالب الشركة[٦٦].

وعندما قررت السلطات العثمانية بناء سد لرفع منسوب مياه دجلة في منطقـة العزيـر جنوب العمارة لتوفير المياه اللازمة لزراعة الرز، أبلغ والي بغداد القنصل البريطاني العـام في بغداد في حزيران ١٨٧٨ ليقوم بابلاغ شركة لينج بالأمر، لأنـه سـيعيق سـير بـواخر الشركة[٦٧]. وتقدمت الشركة بشكوى من خلال القنصل البريطاني العام نيكسون الى الـسفير البريطاني في اسطنبول بهذا الشأن. وقد تبنى نيكسون موقف الشركة واتصل بوزارة الخارجية أيضاً التي أخذت بوجهة نظره القائلة لا توجد حاجة ملحة للـسد، وانـه يجـب منـع إتمـام المشروع. وخلال هذه الاتصالات كان السد قد أنجز ولكنه لم يعمر أكثر من شـهرين حيـث

احتجزتها السلطات العثمانية ومنعتها من متابعة رحلتها شمالاً إلا إذا أنزلت علمها البريطاني ورفعـت العلـم العثماني، وكانت هذه هي أوامر الوالي نجيب باشا. وعندما علم رولنصون بذلك أصر على حق الباخرة فـي الملاحة في دجلة الى بغداد مباشرة وتحت == علمها الخاص. وقد كتب رولنصون الى السفير البريطاني في اسطنبول بخصوص وجهة نظره هذه، لمزيد من التفاصيل راجع: المصدر نفسه، ص ص ٦٧ ـ ٨٧.

(٦٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٧.

(٦٤) Owen; Op. Cit, p. 277.

(٦٥) هادي ، المصدر السابق ، ص ٣٥.

(٦٦) قهواتي ، أضواء على تجارة البصرة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، مجلة الخلـيج العربـي ، مجلد ١٢، العدد (٣)، ١٩٨٠، ص ٢٦.

(٦٧) Makiya, Op. Cit, p. 44.

انهار[٦٨]. وعندما تعرضت إحدى بواخر الشركة لهجوم مسلح من قبل مجموعة مـن رجـال العشائر في العمارة، وهو ما أدى الى مقتل ثلاثة أفراد على متنها في تمـوز ١٨٨٠، أرسـل القنصل البريطاني في البصرة برقية الى سفيره في اسطنبول يخبره بذلك فأبلغ السفير الأوامر الى الحكومة العثمانية التي أرسلت برقية الى والي بغداد تأمره بارسال قوة عسكرية للقـبض على المهاجمين[٦٩].

وعندما منعت السلطات العثمانية في بغداد سفن الشركة من الملاحة في نهر دجلة فـي حزيران ١٨٨٣، بناء على طلب من وزير الداخلية العثمانية[٧٠]. على أسـاس ان الفرمـان الأصلي الممنوح للشركة ينص على حق الملاحة في نهر الفرات وليس دجلة، قـام القنـصل البريطاني العام في بغداد الكولونيل تويدي بارسال برقية الى السفير البريطاني في اسـطنبول بهذا الخصوص. وفي ٢ آب ١٨٨٣ تسلّم تويدي رداً إيجابياً من اسطنبول. وفي ٥ آب ١٨٨٣ استأنفت بواخر الشركة عملها في نهر دجلة مجدداً. ولم يكتف تويدي بتـذليل المـشكلة، بـل (صمم على العمل من أجل عزل الوالي العثماني عقاباً له على معاملته السيئة لبواخر الشركة، ولأنه أهان العلم الإنكليزي)[٧١]. وفي مناسبات أخرى كان الدعم الذي حظيت به الشركة مـن قبل القنصل البريطاني العام في بغداد والسفير البريطاني في اسطنبول قـد أجبـر الـسلطات العثمانية على الموافقة على توسيع نشاط الشركة وزيادة سفنها، وهذا ما حـصل فـي ١٨٩٩ و١٩٠٧[٧٢]. كما دافع نائب القنصل البريطاني في البصرة روبرتسون سنة ١٨٧٥ عن شركة لينج وحقها في الملاحة بين البصرة والمحمرة بعد ان أصرت السلطات العثمانية في البـصرة على منع الشركة من ذلك بين ١٨٧٤ ـ ١٨٧٥ لعدم شرعيته. وكان تدخّل نائب القنصل في البصرة بهذه الشاكلة قد أثار القنصل البريطاني العام في بغداد هربرت الذي اتهم روبرتـسون في إحدى رسائله الى السفير البريطاني في اسطنبول في حزيران ١٨٧٥، بـالتحيز الـسافر لشركة لينج ومشاكسته الواضحة للسلطات المحلية العثمانية في البصرة التي ذكر أنها محقـة

---

(٦٨) نوار ، المصالح البريطانية في العراق ، ص ص ١٣٣ ـ ١٣٤.

(٦٩) علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، جـ ٣ (بغداد ، ١٩٧٢) ، ص ٢٣٣.

(٧٠) اعتقد القنصل البريطاني العام في بغداد ان هذا الاجراء اتخذ بتحريض من القنصل الروسي في بغـداد، حسبما يذكر القهواتي. إلا ان هذا غير دقيق والتفسير الأكثر قبولاً هو ما ذكره شارل عيسوي مـن ان قـرار المنع كان من مضاعفات الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢ وما ترتب عليه من ردود فعل في الدولـة العثمانية ضد المصالح البريطانية. راجع: القهواتي، المصدر السابق، ص ٢٢٥.

Issawi, Op. Cit, p. 149.

(٧١)Makiya; Op. Cit, p. 46.

(٧٢) لمزيد من التفاصيل راجع : القهواتي: المصدر السابق ، ص ص ٢٣٨ ـ ٢٤٢.

Owen, Op. Cit, p. 277.

في دعواها لأن فرماناً لم يصدر من الباب العالي بـشأن الـسماح بالملاحـة بـين البـصرة والمحمرة وعزا هربرت سبب حماس روبرتسون لقضايا الشركة الى كونه موظفاً سابقاً ولـه مصالح معها. ويبدو ان مخالفات روبرتسون بلغت حداً دفع هربـرت الـى طلـب اسـتبداله بشخص آخر. لكن الذي حصل هو تنحية هربرت من قنصلية بغداد وترقية روبرتسون الـى درجة معتمد سياسي في البصرة بحيث خوله المنصب أن يكون عضواً في الخدمة الـسياسية الهندية **(Indian Political Service)**[٧٣].

وعلى أية حال فان هناك حالات أخرى تقتضي الموضوعية الإشارة اليها اتخـذ فيهـا الدبلوماسيون البريطانيون موقفاً مختلفاً من طلبات وشكاوى شركة لينج. ففي ٣١ تموز ١٩٠٥ بعث السفير البريطاني في اسطنبول السير اوكونور بمذكرة حملت في ثناياها شكوى شـركة لينج من سوء معاملة شركة الملاحة العثمانية في العراق، وهـي المعروفـة باسـم الـشركة الحميدية أو إدارة البواخر الحميدية[٧٤]، لها بسبب المنافسة غير العادلة القائمة بين الشركتين. وعند قيام القنصل البريطاني في البصرة كراو بالتحقيق بالأمر في ١٩ أيلول ١٩٠٥ لم يجـد أي أساس للشكوى، وعد القنصل تلك المنافسة ذات فائدة لمصالح بريطانية[٧٥]. ومـن جهـة أخرى، فان العلاقات بين القنصلية البريطانية في بغداد وشركة لينج لم تكن في انسجام أحيانـاً بسبب الاتهام الموجه للشركة بأنها تستوفي أسعاراً احتكارية على النقل النهري تعوق المصالح التجارية البريطانية الأوسع[٧٦].

وفي مجال التنقيب عن الآثار لعب الدبلوماسيون البريطانيون دوراً مهماً في تسهيل مهام الآثاريين البريطانيين في العراق، وكان على هؤلاء الأخيرين تسجيل إجازات التنقيـب التـي يحصلون عليها من الحكومة العثمانية في سجلات القنصلية البريطانية في بغـداد رسـمياً[٧٧].

---

[٧٣] القهواتي ، المصدر السابق ، ص ص ٢١٤ ـ ٢١٥.

Lorimer, Op. Cit, p. 1493.

[٧٤] القهواتي ، المصدر السابق ، ص ٦٦. وقد تأسست هذه الشركة سنة ١٨٩٣ وحلّت محل شـركة عمـان العثماني للملاحة. وكان رأسمالها من خزينة السلطان عبدالحميد الثاني وكبار رجال الدولة أيضاً. أنظر، نوار، المصالح البريطانية في أنهار العراق، ص ١٧٣.

[٧٥] فؤاد قزانجي ، العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥ ـ ١٩٣٠ (بغداد ، ١٩٨٩) ، ص ٤٦.

[٧٦] Owen; Op. Cit, p. 277.

[٧٧] بدج ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٦٠.

وقد سبقت الإشارة أيضاً الى اهتمامات بعض القناصل البريطانيين شخصياً بموضوع الآثـار، وهم: ريج وتايلر ورولنصون، وكانت للأخير مساهمات بارزة في هذا المجال[٧٨].

من خلال متابعة نشاط الآثاريين البريطانيين في العراق يمكن ملاحظة مدى الدعم الذي حظوا به من الدبلوماسيين البريطانيين. فقد حظي لايارد بدعم كبير من قبل نائـب القنـصل البريطاني في الموصل كرستيان رسام، كما قدم له القنـصل البريطـاني فـي بغـداد تـايلر مساعدات كبيرة ومهمة[٧٩]. أما لوفتوس (W. K. Loftus) الذي قام بتنقيبات آثارية في الوركاء سنة ١٨٥٣ فيذكر ان القنصل البريطاني العام في بغداد رولنصون قدم له مساعدات قيمة مـن خلال نفوذه لدى السلطات العثمانية المحلية ولدى الزعماء العرب[٨٠]. وفي مثال آخر يـذكر هرمز رسام انه أجرى تنقيبات آثارية في بابل وبرس نمرود في سنة ١٨٨٠، ثم كان عليه أن يغادر المنطقة الى الموصل لأمور تتعلق بالتنقيبات الآثارية في آشور وأرمينيا. وقد عهد رسام الى القنصل البريطاني العام في بغداد مايلز مهمة شحن الآثار التي عثر عليها في بابل، ومن ضمنها نصب نحاسي، الى إنكلترا. وعندما رفضت السلطات العثمانية في الحلة نقل النـصب النحاسي للاشتباه في كونه مصنوعاً من الذهب، سارع مايلز الى الاتصال بالسلطات العثمانية في بغداد (محذراً إياها ان أي ضرر يلحق بذلك النصب النحاسي سيضعهم أمام المـسؤولية، خصوصاً وانه ليس لهم حق الاعتراض على نقله الى بغداد، حيث يتم هناك فحص كل اللقـى الآثارية قبل إرسالها الى إنكلترا). وبناء على هذا التدخل من جانب مايلز أرسـلت الـسلطات العثمانية في بغداد رسالة الى نظيرتها في الحلة تأمرها بالسماح بنقل النصب الى بغداد تحـت الحراسة[٨١].

ومثلما سهل الدبلوماسيون البريطانيون مهمة نهب كنوز العراق الآثارية، فـانهم سـعوا الى تسهيل مهام المنقبين الآثاريين البريطانيين في نهب نفائس المخطوطات من العراق. ومن ذلك تدخّل القنصل البريطاني العام في بغداد تويدي في سنة ١٨٩١ لدى السلطات العثمانية في بغداد بشأن السماح للمنقب الآثاري بدج بنقل مخطوطات مهمة الى خارج العراق[٨٢].

---

[٧٨] William K. Lothus; Travels and Reserchs in Chaldea and Susiana (London-Republished-1977), pp. 130-133. ويضيف لوفتوس ان نائب القنصل البريطاني في البصرة قام فـي سنة ١٨٥٤ بتنقيبات آثارية في بعض المواقع جنوب العراق بناء على طلب من رولنصون لحساب المتحـف البريطاني.

[٧٩] Waterfield, Op. Cit. pp. 42, 46.; Kubie, op. Cit, pp. 63, 112-119.

[٨٠] Loftus, Op. Cit, pp. IX-X.

[٨١] Op. Cit, p. 340.

[٨٢] بدج ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٥١٢.

ان الدعم الذي قدمه الدبلوماسيون البريطانيون في العراق الى البعثات التنقيبية الآثارية البريطانية فيه يرجع الى إدراكهم ان النشاط الآثاري من بين سبل تعزيز النفوذ البريطاني في العراق. ومن هنا كان تأكيد القنصل البريطاني العام في بغداد لوريمر قبل الحرب العالمية الأولى على ضرورة تقديم مزيد من الدعم للنشاط الآثاري البريطاني في العراق. وقد شرح ذلك بقوله: "... من المهم في هذه المرحلة، التي ستقرر النفوذ السياسي مستقبلاً، عدم اهمال أية وسيلة من وسائل إقامة المصالح البريطانية (في العراق)..."[٨٣].

أما في ميدان التبشير ، فان الدبلوماسيين البريطانيين في العراق قدموا الدعم للمبشرين البريطانيين وعدوا التبشير وسيلة من وسائل نشر اللغة والثقافة الإنكليزية، وبالتالي تعزيز النفوذ البريطاني في العراق. وقد إزداد الاهتمام بدعم أولئك المبشرين قبيل الحرب العالمية الأولى على نحوٍ خاص، ولاسيما في الموصل وإنحائها، حيث نشطت الارساليات التبشيرية البريطانية هناك فكانت تتمثل في إرسالية أسقف كانتربري التي نشطت بين النساطرة وكانت لها مدرسة في قرية بيباد[٨٤]، والتي تضم عدداً قليلاً من الصبيان[٨٥]. وارسالية جمعية الكنيسة التبشيرية التي كان لها مركز طبي ومدرسة للبنات وأخرى للبنين في الموصل[٨٦].

وفي ايار ١٩١٠ ، زار القنصل البريطاني العام في بغداد لوريمر الموصل، حيث اطلع على أعمال إرسالية جمعية الكنيسة التبشيرية. وقد عبر لوريمر عن أسفه لاغلاق المركز الطبي لعدم وجود طبيب، ولكنه استحسن ما تقوم به مدرسة البنات بإدارة السيد مارتن (Martin). أما مدرسة البنين، فكانت تُدار من قبل معلّم من السكان المحليين. وفي تقريره الشهري المرفوع الى حكومته اقترح لوريمر دعم مركز إرسالية جمعية الكنيسة التبشيرية في الموصل[٨٧]. وعاد نائب القنصل البريطاني العام في بغداد سكوت (N. Scott)[٨٨] الى تأكيد الموضوع ذاته في شباط ١٩١٣ عندما استعرض في التقرير للقنصلية البريطانية العامة في بغداد مركز الدول الأوربية ومصالحها في الموصل. وقد كتب قائلاً: "ان المصالح البريطانية

---

[٨٣]Op. Cit, p. 341.

[٨٤] قرية بيباد : تقع جنوب غرب العمادية وتبعد نحو خمسة كيلومترات عنها، عبدالمنعم الغلامي، ثورتنا في شمال العراق ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ (بغداد، ١٩٦٦)، جـ ١، ص ٤٥.

[٨٥]I.O.R. L/P & S/10/188, Summary of events in Turkish Iraq for the months of April-1913, p. 5.

[٨٦]Ibid., Summary of events… for April-May, 1910., p. 14.

[٨٧]Ibid.

[٨٨] هو جراح القنصلية البريطانية العامة في بغداد وقد تولى مهام لوريمر أثناء غياب الأخير الذي كان في رحلة الى الهند.

في مركز جيد في الوقت الحاضر... وهناك مدرسة صغيرة ومركز طبـي يـدار مـن قبـل إرسالية جمعية الكنيسة التبشيرية، ولكننا لسنا محصنين ضد أي هجوم. فلـيس هنـاك، عـدا المدرسة الصغيرة التي يدرس فيها الأطفال، مكان آخر يمكن تعليم الإنكليزية فيه"، وبناء على ما سبق، اقترح سكوت الإلحاح على إرسالية جمعية الكنيسة التبـشيرية لتوسـيع مدرسـتهم، وتقديم الدعم المالي لها إن كان ذلك ممكناً. كما اقترح تشجيع المدرسة اليهودية في الموصـل على تدريس اللغة الإنكليزية. واتصل لهذا الغرض بمدير الاليـانس الإسـرائيلي (Alliance Israeelite)[٨٩]. وعندما اتصل الأخير بالمركز الرئيس للأليا نس فـي بـاريس اتـضح ان الصعوبة تكمن في تخصيص النفقات اللازمة، وتساءل سكوت فيما إذا كان بالإمكان تجـاوز هذه الصعوبة من خلال اتصال وزير الخارجية البريطانية ادوارد غراي (E. Grey) بجمعيـة الاستعمار اليهودي: (Jewish Colonization Society)، اللندنية التي أبدت رغبتها فـي تقـديم العون المالي الى المدارس شرط أن تدرس اللغة الإنكليزية. كما اقترح تقديم حكومـة الهنـد مساعدات بهذا الخصوص أيضاً. وحذر سكوت في نهاية تقريره قائلاً: "إن لم تُتخذ الخطوات لتدريس اللغة الإنكليزية في الموصل، فإن الألمان سيعملون على نشر تعليم اللغـة الألمانيـة لمصلحتهم وإلحاق الضرر بالنفوذ والتجارة الإنكليزية"[٩٠]. فقد تمكنت إرسالية جمعية الكنيسة التبشيرية من الاستمرار في العمل من خلال الدعم الذي قدمته لها القنصلية البريطانية العامـة في بغداد[٩١].

لم يكتفِ الدبلوماسيون البريطانيون في العراق بدعم المصالح البريطانية فحـسب، بـل قدموا توصيات عديدة الى حكومتهم في مناسبات مختلفة لاتخاذ الاجراءات اللازمـة لتقويـة النفوذ البريطاني في العراق، بل حتى احتلاله. ان أول مقيم بريطاني في بغداد، وهو هارفورد جونز، توقع في بداية القرن التاسع عشر احتمال انهيار الدولة العثمانية ودعا الـى الـسيطرة البريطانية على العراق في حال حدوث ذلك[٩٢]. وعندما وقعت الحرب العثمانية ـ الفارسـية

---

[٨٩] في سنة ١٨٦٠ عمد ستة من اليهود الفرنسيين البارزين الى تشكيل اتحاد هدفـه الـدفاع عـن اليهـود وتحريرهم من الجهل والعمل على تقدمهم الاقتصادي، وعرف الاتحـاد باسـم الاتحـاد اليهـودي العـالمي (Alliance Israeelite Univers). وكانت لجنته في باريس، وقد أنشأ له فروعاً في بلاد أخـرى. وركّـز نشاطه الرئيس على نشر التعليم وتشجيع الحِرف، أنظر: خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ ـ ١٩١٨ (بيروت، ١٩٧٣)، ص ١٤.

[٩٠] I.O.R. L/P & S/10/212, Summary of Events in Turkish Iraq for the Month ofFebruary, 1913, p. 3-4.

[٩١] Atiyyah, Op. Cit, p. 75.

[٩٢] Yapp. Op. Cit, p. 239.

سنة ١٨٢٠، والتي قدم الروس فيها تشجيعاً للفرس، تنبه المقيم البريطاني في بغداد ريج الـى مخاطر ذلك فأرسل الى حكومته بخصوص احتلال العراق وتأمين الطريق الى الهند(٩٣). أمـا القنصل البريطاني العام في بغداد رولنصون، فقد كتب مذكرة الى نائب وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية في ١٣ حزيران ١٨٥٣ بخصوص احتمال تجزئة الدولة العثمانية. وتبنّـى رولنصون في تلك المذكرة بقوة احتلال ذلك الجزء من العراق الواقع بـين الـزاب الأسـفل ومدينة عنه على نهر الفرات في الشمال والبحر في الجنوب من قبل جنود يـتم جلـبهم مـن الهند(٩٤). بيد ان هذه الدعوات لاحتلال العراق لم تجد صدى لدى الحكومة البريطانيـة لأنهـا كانت سابقة لأوانها.

ومع ازدياد التنافس الدولي في العراق والخليج العربي منذ أواخر القرن التاسع عـشر ومطلع القرن العشرين شدد الدبلوماسيون البريطانيون في العراق في مراسلاتهم وتقـاريرهم على ضرورة تعزيز هيبة بريطانيا واتخاذ كل ما يلزم من خطوات لتقوية نفوذها في العـراق ومواجهة النفوذ الأجنبي فيه. ففي ٢٥ نيسان ١٩١٣ بعث القنصل البريطاني العام في بغـداد لوريمر برقية الى السفير البريطاني في اسطنبول جيرالد لوثر مؤكداً أهمية مشاريع الري في العراق وبأن منطقة النفوذ البريطاني يجب أن تمتد من هيت على الفرات وسامراء على دجلة الى الخليج العربي. وأضاف بأن إدخال مدينة عنه ضمن المنطقة سيجعل النفـوذ البريطـاني يغطي حدود ولايتي بغداد والبصرة تماماً. وبأنه (سيكون امراً شائعاً، من وجهة نظر المصالح النفطية البريطانية اضافة ولاية الموصل الى منطقة النفوذ البريطانية). واختتم لوريمر برقيته بالقول: "... من المحتمل ان لبريطانيا الكثير مما يمكن أن تربحه أو تخسره في هذه المنطقـة أكثر من أي مكان آخر في الامبراطورية التركية وان سعادة (السفير) يمكن أن يحكم الـى أي مدى يكون مفيداً تعزيز مركزنا هنا على حساب تضحيات فـي منـاطق أخـرى"(٩٥). وفـي حزيران ١٩١٣، أعاد لوريمر تأكيد موضوع الحفاظ على النفوذ البريطاني مرة أخرى عندما أبرق الى كل من حكومة الهند البريطانية والسفير البريطاني في اسطنبول مقترحاً بـأن أيـة موافقة من جانب الحكومة البريطانية على مبدأ الغاء دوائر البريـد البريطانيـة فـي الدولـة العثمانية يجب أن لا يشمل ولايتي بغداد والبصرة(٩٦). وبرر اقتراحه بأن الانهيـار المحتمـل

---

(٩٣)Constance Alexander; Baghdad in Bygone Days (London-1928), p. 256.

(٩٤)Lorimer; Op. Cit, p. 1406.

(٩٥)I.O.R. L/P & S/10/188, Summary of events in Turkish Iraq for the Month of April, 1913, p. 6.

(٩٦) كانت حكومة الهند البريطانية قد أسست دوائر بريد في بغداد و البـصرة منـذ سـنة ١٨٦٨، وعهـدت بادارتها بضع سنوات الى قناصل بريطانيا في بغداد والبصرة قبل تعيين مدراء لها. وكانت تلك الدوائر مـن

للدولة العثمانية يفرض على الحكومة البريطانية "أن تحتفظ بأي نوع من الأولوية التي تحظى بها الآن في بلاد ما بين النهرين التي هـي مجالهـا المناسـب والطبيعـي فـي الممتلكـات البريطانية". ومضى لوريمر الى التأكيد أيضاً على ضرورة ابقاء حرس القنصلية البريطانيـة وكذلك الباخرة كوميت، ودعا الى بذل كل جهد ممكن لمنع هيمنة ألمانيا على القسم الجنـوبي من مشروع سكة حديد بغداد - برلين، أي الجزء الواقع بين البصرة وبغداد[٩٧] وقد استجابت الحكومة البريطانية لمقترحات لوريمر هذه[٩٨].

وفي تقريره الذي رفعه الى حكومته في تموز ١٩١٣ ، أشار لوريمر الى قرب اكمـال سد الهندية[٩٩]. من قبل شركة بريطانية. ودعا الى تذليل بعض المشكلات المتعلقـة بتمويـل المشروع وأجرى اتصالات مع القائم بالأعمال البريطاني في اسطنبول لهذا الغـرض. وعـد لوريمر تذليل مشكلة التمويل قضية مهمة لأنها تهدد مستقبل مشروع مهندس الري البريطاني ويلكوكس، وأضاف: "ان بريطانيا قد تفقد موطئ قدم حصلت عليه بجهد وجدارة في بلاد مـا بين النهرين". وفي التقرير ذاته كرر لوريمر دعوته الى اسهام الرأسـمال البريطـاني فـي

علائم النفوذ البريطاني في العراق. ونظراً لتفوق تلك الدوائر في خدمتها على دوائر البريد العثمانيـة، فـان الكثير من التجار والسلطات المحلية كانوا يفضلون ارسـال بريـدهم بواسـطتها، وكـذلك الحـال لـبعض الدبلوماسيين الأجانب في بغداد، وكانت تلك الدوائر مصدراً لتزويد قناصل بريطانيا في العراق بكثيـر مـن المعلومات المهمة. راجع وقارن: ايرلند، المصدر السابق، ص ٢٣. الوردي، المـصدر الـسابق، ص ٢٤٢. وكذلك:

P.G.A.R. Archivae Edition, Vol, 6, pp. 200-205. Bidwell, op. Cit, Vol. 2, Part, IV, pp. 94-95.

ومن الجدير بالذكر ان دائرة البريد العامة البريطانية كانت قد أبلغت وزارة الخارجية البريطانية في ١٦ ايـار ١٩١٣ انها وافقت على مقترح تركي لالغاء مراكز البريد البريطانية في الدولة العثمانية مقابـل تعويـضات، أنظر:

Atiyyah, op. Cit, p. 78.

(97) I.O.R., L/P & S/10/212, Summary of Events in Turkish Iraq during June, 1913, pp. 10-11.

وانظر أيضا: عبدالرحمن البزاز ، محاضرات في تاريخ العراق من الاحتلال حتـى الاسـتقلال (القـاهرة، ط ٢، ١٩٦٠)، ص ١٥٠.

(٩٨) Cohen, Op. Cit, p. 267.

(٩٩) كان وليم وليكوكس قد قام بناء على طلب من الحكومة العثمانية بالكشف بين سنتي ١٩١٠-١٩١١ فـي منطقة وادي الفرات ودجلة. ثم رفع تقريراً اقترح فيه ثمانية مشاريع للري، ومن بين تلك المـشاريع تـم تنفيذ سدة الهندية فقط على نهر الفرات لتقسيم مياهه على فرعيه (شط الحلة - وشط الهندية). وقـد بـدأ العمل في المشروع في شباط ١٩١١ وجرى الاحتفال رسمياً بافتتاحه في ١٢ كانون الأول ١٩١٣. لمزيد من التفاصيل ينظر: الارحيم، المصدر السابق، ص ص ١٦٠ - ١٦١.

مشروع سكة الحديد بين بغداد والبصرة. واختتم لوريمر تقريره بالقول: "إذا كـان يعتقـد ان الدولة العثمانية ستنهار، وان بلاد ما بين النهرين ستصبح منطقة نفوذ بريطانية علـى وجـه الخصوص، فان اقتحام أية مصالح أجنبية غير بريطانية الى الجنوب من الموصل سيبدو أمراً مخيفاً يتضمن ازعاجاً خطيراً في المستقبل"[١٠٠].

الاشراف على الرعايا البريطانيين في العراق :

ان متابعة شؤون الرعايا البريطانيين في العراق ورعاية مصالحهم كانت من بين المهام التقليدية للدبلوماسيين البريطانيين في العراق. ويتألف هؤلاء الرعايا من عدد قليل من التجـار الإنكليز[١٠١]، لاسيما في بغداد والبصرة والمنقبين عن الآثار والمبشرين، اضافة الى الرحالـة الإنكليز الذين زاروا العراق في تلك الفترة وقـدمت لهـم القنـصليات البريطانيـة الرعايـة والمشورة اللازمة. وفضلاً عن أولئك الإنكليز كان القنصل البريطاني العام في بغـداد ممـثلاً معترفاً به، بوصفه مقيماً سياسياً، لحكومة الهند البريطانية فيما يخص كل شـؤون الجاليـات الهندية في العراق[١٠٢]. وكان معظم هؤلاء الهنود من زوار العتبات المقدسـة فـي العـراق، اضافة الى التجار الهنود العاملين في بغداد والبصرة[١٠٣]. وعلى وفق ما ذكره لوريمر، فـان عدد الرعايا الهنود في العراق في أوائل القرن العشرين بلغ نحو (٣٠٠٠) فرد، بضمنهم نحو (١٠٠) أفغاني و(٥٠) شخصاً من التبت يتمتعون بالحماية البريطانية أيضاً وينتشر هؤلاء في بغداد والكاظمية وكربلاء والحلة وطويريج (الهندية) والمسيب[١٠٤]. أما كوهين فيذكر ان عدد الرعايا الهنود المسجلين في بغداد في سنة ١٩١٣ بلغ (٥٠٠٠) شخص[١٠٥].

ان دور الدبلوماسيين البريطانيين في هذا المجال كان يشتمل على جملة من المهام، فقد كان على الدبلوماسيين متابعة تسجيل أسماء الرعايا البريطـانيين فـي سـجلات القنـصلية البريطانية في العراق[١٠٦]، وتنظيم شؤون التعامل معهم من خلال تعيين أفراد من الجاليـات

---

[١٠٠] I.O.R., L/P & S/10/212, Summary of events in Turkish Iraq, during 1913, pp. 11-12

[١٠١] U.S.A. National Archives, Consulate of U.S.A (Baghdad) to the Departement of State, 12.7.1894.

[١٠٢] Cohen, Op. Cit, p. 9.

[١٠٣] Handbook of Mesopotamia, pp. 84-95.

[١٠٤] Lorimer, Op. Cit, Vol, 11, A, Geographical and Statistical, pp. 879-880.

[١٠٥] Cohen, Op. Cit, p. 287.

[١٠٦] I.O.R. L/P & S/10/212, Summary of events in Turkish Iraq during August 1913, pp. 6-7.

الهندية في العراق بمثابة وسطاء بينها وبين القناصل البريطانيين في العراق لغرض تـسهيل متابعة أمورهم(١٠٧). وحضر ممتلكات الذين يتوفون منهم في العراق(١٠٨). وقد يقوم القناصـل البريطانيون في بعض المناسبات باقتراح ارسال بواخر بريطانية مسلحة الى المياه العراقيـة تحسباً لتعرض رعاياها وأفراد الجاليات الأوربية لهجمات محتملة مثلما حـصل فـي أثنـاء الاضطرابات العشائرية في جنوب العراق في ربيع ١٩٠٩ والتي اتخذت طابعاً خطيراً. بحيث دفعت القنصل البريطاني العام في بغداد لأن يطلب من الحكومة البريطانيـة ارسـال بـاخرة بريطانية مسلحة الى البصرة لتكون على أهبة الاستعداد في حالة مهاجمة العشائر للأشـخاص الأوربيين وممتلكاتهم(١٠٩). وفيما عدا ما سبق، فان القنصل البريطاني العام في بغـداد تـدخّل مراراً لدى السلطات العثمانية في بغداد، كما اتصل بالسفير البريطاني في اسطنبول، لـضمان

وقد تشكى القنصل البريطاني في بغداد لوريمر في آب ١٩١١ بخصوص موقف السلطات العثمانية من مسألة تسجيل الرعايا البريطانيين الهنود في كربلاء والقيام باعتقالهم، رغم انهم مسجلين رعايـا بريطـانيين فـي سجلات القنصليات البريطانية في العراق. وأشار الى ان السلطات العثمانية في كربلاء تخلق صعوبات فـي موضوع الاعتراف برعوية هؤلاء واعتقالهم دون الرجوع الى نائب القنصل البريطاني هناك. وطلب لوريمر تدخّل حكومته لدى السلطات العثمانية المعنية في اسطنبول بهذا الصدد. أنظر:

I.O.R., L/P & S/10/188, Lorimer to Secretary to government of India in Forrign Department, 14-8-1911.

(١٠٧) أشار تقرير القنصل البريطاني في بغداد لشهر آذار – نيسان ١٩١٢ الى قيام القنصل البريطاني العـام بتعيين ٦ رؤساء للجاليات الهندية في بغداد و٤ في الكاظمية و٦ في كربلاء وواحد في النجف مـع احتمـال تعيين رئيس واحد لكل جالية من الجاليات الهندية في المسيب وطويريج (الهندية) وسامراء. وأشار القنـصل البريطاني العام الى ان هؤلاء الرؤساء أثبتوا فائدتهم، بوصفهم وسيلة اتصال بين تلك الجاليات والقنـصليات البريطانية في العراق، بما في ذلك دورهم في مسألة تسجيل أفراد تلك الجاليات فـي سـجلات القنـصليات. ينظر:

I.O.R. L/P & S/10/212, Summary of events Turkish Iraq, for the Month of March & April, 1912, p. 21.

وقد احتج والي بغداد على تعيين هؤلاء إلا ان القنصل العام رفض الاحتجاج. =

Bayur, Op. Cit, p. 370.

(١٠٨) ومن ذلك مثلاً ما ورد في يوميات زفوبودا حول وفاة إحدى الشخصيات الهندية المهمـة المقيمـة فـي العراق، وهو ملك أوده السابق النواب اقبال الدولة في نهاية سنة ١٨٧٨ ودفنه في داره في الكاظمية، حيـث قام القنصل البريطاني العام بختم أبواب الدار الى أن يتم تعيين لجنة للنظر في أمر تركته. والى أن يتم ذلك تم تعيين كاتب القنصلية ومترجمها انطوان مارين مسؤولاً عن الدار وخزائنها.

Makiya, Op. Cit, pp. 53-54.

وبخصوص أمثلة أخرى :

I.O.R. L/P & S/10/212, Summary of events in Turkish Iraq, August, 1913, p. 7.

(١٠٩) قزانجي ، المصدر السابق ، ص ٦٦.

مصالح الرعايا البريطانيين في العراق الذين استملكت السلطات العثمانية دورهـم أو قامـت بهدمها[١١٠]. وكفلت هذه التدخلات ضمان دفع تعويضات من جانب الحكومة العثمانية لأولئـك الرعايا[١١١]. الأمر الذي "ساعد على تعزيز هيبة بريطانيا" على حد قول القنصل البريطـاني العام في بغداد في كانون الثاني ١٩١٢[١١٢]. وكان القنصل البريطاني العام قـد ادعـى بـأن الغرض من تلك الاجراءات هو سياسي أصلاً للنيـل مـن كرامـة الأجانـب وبأنـه عمـل تعسفي[١١٣]. وفيما عدا ما سبق فمن ضمن المهام أيضاً، حماية الرعايا البريطانيين وممتلكاتهم ضد أي اعتداءات او تجاوزات قد يتعرض لها من جانب السلطات العثمانية فـي العـراق أو السكان المحليين. فعندما قامت انتفاضة النجف ضد العثمانيين في آب ١٨٥٢، اهتم القنـصل البريطاني رولنصون بضمان سلامة الرعايا البريطانيين الهنود فـي المدينـة[١١٤]. وعنـدما تعرض أحد الرعايا البريطانيين للسلب في سنة ١٨٦٥ على الطريق بين بعقوبة وشهربان تابع القنصل البريطاني العام كمبال المسألة مع السلطات العثمانية في بغداد ونجح في استرداد جزء من المنهوبات سنة ١٨٦٦[١١٥]. وعندما تعرضت الباخرة البريطانية (كشمير) الى هجوم مسلح في البصرة سنة ١٨٧٢ تدخّل كل من القنصل البريطاني العام في بغداد هربرت ونائبـه فـي البصرة (روبرتسون) بسرعة لدى السلطات العثمانية المعنية لـضمان اسـترداد المنهوبـات والحصول على تعويض للمتضررين. وقد تحقق ذلك سنة ١٨٧٣. وحظى الأثنـان بتقـدير حكومة الهند البريطانية[١١٦]. وفي سنة ١٨٨١ قُتل أحد العاملين في شركة ليـنج فـي بغـداد فتدخّل القنصل البريطاني العام بلودن على الفور وطلب من الوالي العثمـاني هنـاك اتخـاذ اجراءات فعالة واكتشاف واعتقال ومعاقبة الجاني. ولم يكتف بذلك، بل أبـرق الـى الـسفير البريطاني في اسطنبول طالباً تدخل الباب العالي في الموضوع. كما قام بلودن شخصياً بجمع

---

(١١٠) هناك تفاصيل كثيرة في الوثائق البريطانية بصدد الموضوع في سنة ١٩١٠ ـ ١٩١١. ينظر مثلاً :
I.O.R. L/P & S/10/188; Lorimer to the Wall of Baghdad, 15-9-1910.; Ibid, Same to same, 20.9.1910; Ibid; from British Ambassador (Istanbul) to Foreign Office, 29-9-1910.

(١١١) Ibid; From British Charge diffaires (Istanbul) to Foreign Office, 32-11-1910.; Ibid, Summary of events in Turkish-Iraq during the month of Decmber, 1911, p. 9.

(١١٢) Ibid, Summary of events.. Junary 1912, p. 6.

(١١٣) Ibid, From G. Lowther (Istanbul) to Sir E. Grey) London) 16.8.1910.

وكذلك نجاة عبدالقادر الجاسم ، التطور السياسي والاقتصادي في الكويت بين الحربين، (الكويـت، ١٩٧٣)، ص ٣٥.

(١١٤) Lorimer, Op. Cit, Historical, Vol, I, part 18, p. 1391.

(١١٥) Ibid, p. 1458.

(١١٦) Ibid. pp. 1458-1460.

المعلومات والأدلة عن الحادثة وتابعها في المحاكم لحين اعتقال الجناة والحكم عليهم[١١٧]. كما تدخل القنصل البريطاني في البصرة لدى السلطات العثمانية هناك عندما تعرضت مراكب شراعية هندية لهجمات في مياه شط العرب سنة ١٨٩٠[١١٨]. كما احتج القنصل هناك لدى والي البصرة حمدي باشا على اعتداء مماثل حصل قرب الفاو عام ١٨٩٥[١١٩]. القنصل البريطاني العام في بغداد قدم الرعاية للمدرسة الهندية التي تأسست في كربلاء سنة ١٩١٢، باعتبار ان طلابها أبناء رعايا البريطانيين[١٢٠].

ومن ضمن مهام الدبلوماسيين البريطانيين بهذا الخصوص أيضاً، الصلاحيات القضائية التي تمتعوا بها للنظر في القضايا التي تخص الرعايا البريطانيين في العراق. وترجع هذه الصلاحيات الى الاتفاقية الموقعة مع الدولة العثمانية في ٣١ آيار ١٨٣٩، وبموجبها منح القناصل البريطانيون صلاحية الفصل في المنازعات التي تحدث بين الرعايا البريطانيين المقيمين في مناطقهم[١٢١]. فضلاً عن رأيه في القضايا التي تنشأ بين الرعايا البريطانيين والسكان المحليين[١٢٢]. أما أول مرسوم بخصوص السلطات القضائية للقناصل البريطانيين في الدولة العثمانية، فقد صدر في ٢٤ آب ١٨٤٣. وتم تطبيق هذا المرسوم من خلال قوانين عديدة أهمها تلك التي صدرت ابان السنوات ١٨٧٣، ١٨٧٦، ١٨٨٢، ١٨٩٠، ١٨٩١،

---

(١١٧) Ibid. pp. 1557-1559.

(١١٨) القهواتي ، دور البصرة التجاري ، ص ص ١٨٩ ـ ١٩٠.

(١١٩) المصدر نفسه ، ص ١٩١.

(١٢٠) عبدالرزاق الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨ ـ ١٩١٧، (بغداد، ١٩٥٩)، ص ٢١٣.

(١٢١) في ثمانينيات القرن التاسع عشر طُرحت مسألة تحديد المناطق الداخلة ضمن سلطات القناصل البريطانيين في الدولة العثمانية اثر رفض الباب العالي الاعتراف بالحدود التي ادعتها السلطات البريطانية للمناطق القنصلية. وفي سنة ١٨٨٤ طلبت السفارة البريطانية في اسطنبول من قنصلياتها في الدولة العثمانية توضيحات بخصوص نقاط معينة. وقد أجاب القنصل البريطاني العام في بغداد بلودن بأن البراءة العثمانية الممنوحة له وتلك الممنوحة لنائب القنصل في البصرة ونظيره في الموصل هناك ذكر (بغداد مع البصرة) فقط. وأضاف بلودن بأن من الناحية العملية لم تضع السلطات العثمانية المحلية أية تقييدات لحصر سلطات القناصل على تلك المدن فقط. وأضاف بلودن بأن تلك السلطات لم تعترض على تدخله في شؤون البصرة والموصل. واقترح بلودن إذا ما سنحت الفرصة، تعديل البراءة الممنوحة للقنصل البريطاني العام في بغداد، بحيث يذكر صراحة ان منطقة صلاحيته تشمل كل ولاية بغداد وولايتي البصرة والموصل، وأن تشير براءة نائب القنصل البريطاني في البصرة ونظيره في الموصل الى ان دائرة صلاحيتها تشمل ولاية البصرة، وولاية الموصل على التوالي،

Lorimer, Op. Cit, pp. 1567-1568.

(١٢٢) صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، (القاهرة، د. ت)، ص ١٣٦.

١٨٩٨، ١٨٩٩[١٢٣]. وعلى وفق تلك الاتفاقيات والقوانين، فقد كـان للقنـصليات محاكمهـا القنصلية الخاصة التي تنظر في كافة القضايا المدنية والجنائية التي تخص رعايا الدولة التـي يمثلها القنصل، كما تشمل السلطة القضايا المدنية بين الأجانب من مختلف الجنسيات مع مـنح الخيار للأطراف ذات العلاقة باللجوء الى القضاء العثماني[١٢٤]. ولم يكن للمحـاكم القنـصلية صلاحية النظر في القضايا المدنية والجنائية بين الأجانب والرعايا العثمانيين. إذ كانت هذه من صلاحيات المحاكم المدنية والجنائية التركية التي تنظـر فيهـا بحـضور مبعـوث قنـصلي **(Consular Delegate)** يكون توقيعه ضرورياً لجعل الحكم نافذاً[١٢٥].

كان القنصل البريطاني العام في بغداد يتمتع بسلطات قضائية تـشمل جميـع الرعايـا البريطانيين في العراق، وكان في القنصلية البريطانية العامة ببغداد سجن يودع فيه المتهمـين من الرعايا البريطانيين ويتم النظر في القضايا من قبل محكمة القنصلية العامة التـي تـسمى "المحكمة الإقليمية لحكومة صاحب الجلالة البريطانية في بغـداد" **(His Brittannic Majestys Provinicial Court of Baghdad)**[١٢٦]. ويترأسها القنصل البريطاني العام. وفي تمـوز ١٩١٣ تم تعيين حاكم اضافي للمحكمة وهو الميجر نورمان سكوت طبيب القنصلية العامـة ونائـب القنصل فيها[١٢٧]. وعند اصدار حكم بالسجن لمدد طويلة من قبل المحكمة يتم ارسال المتهمين الى الهند لتنفيذ العقوبة ويجب أن تحظى أحكام هذه المحكمة بمصادقة المحكمـة البريطانيـة العليا في اسطنبول المعروفة باسم (المحكمة العليا لحكومة صاحب الجلالـة البريطانيـة فـي ممتلكات الباب العـالي العثمـاني) **(His Britannic, Majesty, Supreme Court, for the**

---

[١٢٣]Sousa; Op. Cit, pp. 63-64.

[١٢٤]Ibid; Op. Cit, pp. 78-79.

وانظر كذلك : الكسندر اداموف ، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، جـ ١، (البصرة، ١٩٨٢، ترجمـة هاشم صالح التكريتي)، ص ص ٨٣ ـ ٨٤.

[١٢٥]Ibid. pp. 80-84.

وانظر أيضا : جمال محمود محمد ، القوى الكبرى والشرق الأوسط في القرنين التاسـع عـشر والعـشرين، (الاسكندرية، ١٩٨٩)، ص ٧١.

[١٢٦] في سنة ١٩١٢ ، أبلغت ولاية بغداد وزارة الداخلية العثمانية بأن القنصل البريطاني العام في بغداد لـم يكتف بهذه المحكمة ، بل قام باضافة محكمة في الكاظمية برئاسة المترجم الثالث في القنصلية، وهـو محمـد حسين علي ميرزا الشوشتري، ومحكمة أخرى في النجف مع احتمال محكمة ثالثة في جانب الكرخ من بغداد، أنظر:

Bayur; Op. Cit, p. 371.

وكذلك : جريدة صدى بابل ، العدد ١٣٧ في ٣١ آيار ١٩١٢.

[١٢٧]L/P & S/10/212; Summary of event, in Turkish Iraq during July, 1913, p. 7.

وفي القضايا المهمة يحضر قاضـي مـن **(Dominions of the Sublime Ottoman Porte**، هذه المحكمة الى بغداد، كما حصل في آيار ١٩١٣، عندما توجـه كـاتور **(Cator)** قاضـي المحكمة البريطانية العليا في اسطنبول الى بغداد للنظر في قضية سرقات كبـرى قـام بهـا موظف بريطاني يدعى جوينـز **(Joynos)** كان يعمل لدى شركة بريطانية في بغداد[١٢٨].

الإشراف على الرعايا غير البريطانيين :

هناك حالات أخرى تورط فيها رعايا بريطانيون ، ولا سيما من الهنود ، مـع الـسكان المحليين في بغداد، الأمر الذي استوجب مثولهم أمام محاكم عثمانية، إلا ان القنصل البريطاني العام أقنع هؤلاء بمغادرة الأراضي العثمانية قبل أن تبـدأ الـسلطات العثمانيـة الاجـراءات القضائية بحقهم[١٢٩].

وفيما عدا الرعايا البريطانيين في العراق ، فان الدبلوماسيين البريطانيين وفروا الرعاية والحماية لرعايا آخرين أيضاً. فقد كانت القنصلية البريطانية العامة في بغداد تتولى الاشراف، بصفة غير رسمية وبموجب تكليف من الولايات المتحدة الأمريكية فـي ٣٠ كـانون الثـاني ١٨٨٢، على شؤون الرعايا الأمريكيين في العراق واستمر ذلك حتى سـنة ١٨٩٩، عنـدما أسست الولايات المتحدة قنصلية لها في بغداد، ثم بعد ذلك وكالة قنصلية في البصرة[١٣٠]. ومن الجدير بالذكر ان منصب وكيل القنصل الأمريكي في البصرة تولاه مواطنون بريطانيون أكثر من مرة في مطلع القرن العشرين[١٣١]. وعندما أعلنت الدولة العثمانية الحرب على اليونان في نيسان ١٨٩٧[١٣٢]. بعثت وزارة الخارجية البريطانية برقيات الى القنصل البريطاني العام في بغداد والقنصل البريطاني في البصرة تأمرهم فيها بتوفير الحمايـة للرعايـا اليونـانيين فـي

---

[١٢٨]Ibid; Pummary of events.. May 1913, p. 7, and Summary of events.. September1913, p. 7.

[١٢٩] ولمزيد من التفاصيل حول قضية السرقات راجع : قزانجي ، ص ص ٩٦ ـ ١٠٢.

أنظر على سبيل المثال :

I.O.R. L/P & S/10/212, Summary of events in Turkishing during July, 1913, p. 7.

[١٣٠] جاسم محمد حسن ، المصدر السابق ، ص ٤٠٨.

[١٣١] لمزيد من التفاصيل راجع : =

U.S.A National Archives, Consulate of U.S.A (Baghdad) to Assistant secretary of Stata (Washington) 14-8-1902, and same to same, 4-12-1902.

[١٣٢] كانت الدولة العثمانية قد أعلنت الحرب على اليونان في نيسان ١٨٩٧ بسبب تدخل الأخيرة في شـؤون جزيرة كريت التي كانت تحكم الحكم العثماني. لمزيد من التفاصيل راجع :

J. A.R. Marriett, The Eastern Question, AN Historical Study (Oxford-1967) pp. 380-385., Bidwell, op. Cit, Vol. I, Pary, I pp. 14-16.

مناطقهم، ولضمان تلك الحماية طلب القنصل البريطاني في البصرة الميجر فاغان من الـسفير البريطاني في اسطنبول في ٢٦ نيسان ١٨٩٨ ارسال سفينة حربية بريطانية الـى البـصرة. وبناء على ذلك صدرت الأوامر في بداية آيار ١٨٩٧ الى السفينة الحربية بيكـون (Pigeon) بالتوجه الى البصرة[١٣٣] .

وفي سياق السياسة البريطانية الهادفة الى تعزيز النفوذ البريطاني في الخلـيج العربـي ومواجهة المساعي العثمانية لإعادة السيطرة على الخليج العربي، ولاسيما منذ حملة مـدحت باشا على الاحساء ١٨٧١، بادر قناصل بريطانيا في البصرة الى إظهـار أنفـسهم بمظهـر المسؤول عن الاشراف على شؤون البحرانيين والكويتيين في البصرة ومتابعة مصالحهم، فمنذ سنة ١٨٧٣ أوعز القنصل البريطاني في البصرة الى البحرانيين المقيمين هناك بتقديم طلبـات الى القنصلية البريطانية كطالب الحماية البريطانية والتخلي عن التبعية العثمانية[١٣٤]. علماً بأن البحرين لم تكن قد دخلت تحت الحماية البريطانية يومذاك[١٣٥]. وتبنى القناصل البريطـانيون في البصرة قضايا شيخ الكويت والكويتيين في البصرة أيضاً، ويبدو هذا واضحاً علـى نحـو خاص بعد اتفاقية الحماية التي وقعتها بريطانيا مع الشيخ مبارك الصباح سنة ١٨٩٩[١٣٦].

وهناك أمثلة كثيرة بهذا الصدد لا يتسع المجال لذكرها ، ولذا سـنكتفي باشـارة الـى بعضها. ففي ايلول ١٩٠٢ ، اتصل القنصل البريطاني في البصرة راتسلو أكثر من مرة بوالي البصرة مصطفى نوري باشا بخصوص الكويتيين المعارضين للشيخ مبـارك فـي البـصرة

---

[١٣٣] Bidwell, Op. Cit, Vol. I, Part, I, pp. 14-16.

[١٣٤] مصطفى عبدالقادر النجار وآخرون ، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، (البصرة، ١٩٨٤)، ص ص ١٢٤ ـ ١٢٥.

[١٣٥] عقدت البحرين معاهدة سلام وصداقة مع بريطانية سنة ١٨٦١ ، اعترفت بريطانيا بالبحرين بلداً مستقلاً تحت حكم آل خليفة. وبعد حملة مدحت باشا سنة ١٨٧١ وضع الإنكليز خططهم لمنع الامتداد العثماني الـى البحرين فعقدوا معاهدة أخرى مع البحرين في ١٨٨٠، ثم معاهدة ١٨٩٢، اللتان وضعتا البحرين تحت الحماية البريطانية. ينظر: محمد الرميحي، البحرين، مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، (بيـروت، ١٩٧٦)، ص ص ٣٢ ـ ٢٤.

[١٣٦] كان بعض أفراد أسرة آل صباح قد طلبوا من القنصل البريطاني في البصرة تبني قضاياهم حتـى قبـل اتفاقية ١٨٩٩. ومن ذلك مثلاً ما حصل بعد استيلاء مبارك الصباح على السلطة بعد قتل أخويه محمد وجراح سنة ١٨٩٦، فقد اتصل أبناء القتيلين بالقنصل البريطاني في البصرة طالبين المساعدة ووعـدا بتنفيـذ جميـع المطاليب التي تريدها بريطانيا في الكويت عندما تعود اليهم الإمارة. فوعدهم القنـصل بالمـساعدة واتـصل بالسفير البريطاني في اسطنبول لعرض القضية على السلطات العثمانية وانصاف أبناء القتيلين، أنظر:
حسين خلف الشيخ غزل ، تاريخ الكويت السياسي، (بيروت، د. ت)، جـ ٣ ، ص ١٩.

وغاراتهم عليه انطلاقاً من الأراضي العثمانية(١٣٧). وفي نيسان ١٩٠٣ قابل نائـب القنـصل البريطاني في البصرة كراو الوالي العثماني بسبب تعرض زورق كويتي لهجـوم فـي شـط العرب ومقتل ستة من ركابه. وفي حزيران ١٩٠٣ نظرت المحاكم العثمانية في البصرة فـي مسألة قضائية تتعلق بشيخ الكويت، وقد رفض والي البصرة تدخّل الإنكليـز فيهـا واكتفـى باطلاع نائب القنصل البريطاني كراو على مجريات القضية(١٣٨). إلا ان كراو أكد بأن التحكيم يجب أن يتم تحت اشراف القنصلية البريطانية في البصرة وضرورة استشارتها في كل مراحل القضية وليس مجرد إعلامها بالأمر(١٣٩). وفيما عدا ما سبق، فان هناك وثيقة عثمانية تـذكر تدخل القنصل البريطاني في بغداد تايلر سنة ١٨٤٢ لصالح رعايا آخرين في العراق عنـدما طلب من والي بغداد محمد نجيب باشا تسهيل مهمة المبعوث الفارسي الملا عبدالعزيز الـذي جاء الى العراق لمناقشة أمور تتعلق بكربلاء كما طلب تايلر في الوثيقة نفـسها مـن الـوالي العثماني معاملة أهالي كربلاء، وفيهم عدد كبير من الفرس والهنود، بالحسنى(١٤٠).

٤ ـ ادارة وقف أوده Oudh (١٤١) :

كان وقف أوده وتوزيع وارداته من بين الوسائل التي اهتمت بريطانيا بها من أجل إدامة نفوذها ومكانتها في العراق بواسطته(١٤٢). فقد اعتاد ملوك وأمراء مملكة أوده علـى ارسـال

(١٣٧)Bidwell, Op. Cit, Vol. 2 Part, IV, pp. 110, 130.

(١٣٨)Ibid. , Vol, 2, p. V. pp. 30-31.

(١٣٩)Ibid. pp. 41-43.

(١٤٠) آرشيف رئاسة الوزارء (اسطنبول) ، الرقم 1831 ، اف ١٣ من القنصل الإنكليزي في بغداد الى الوالي الحاج محمد نجيب باشا ٢٦ ذي الحجة ١٢٥٨هـ.

(١٤١) نسبة الى مملكة أوده التي تقع في الجزء الشمالي من الهند وتتـاخم النيبـال. وكانـت مدينـة لوكنـو Lucknow عاصمة هذه المملكة. وتعود أصول الأسرة الحاكمة فيها الى مقامر من خراسان يـدعى سـعادة خان Sadat Khan، والذي عينه امبراطور الهند في سنة ١٧٢٠ حاكماً على مقاطعة أوده نظير خدمة حربية قدمها له، ومن ثم حصل خلفاؤه على لقب (نواب) من الامبراطور. ومنذ سنة ١٧٤٨، أصبح النواب وزيـراً للامبراطورية فصار يعرف (نواب وزير). وفي سنة ١٨١٩ اتخذوا لأنفسهم لقـب ملـك وأنهـوا تبعيـتهم لامبراطور الهند الذي صار الحاكم==البريطاني العام في الهند يتعامل معه بصفة ملك دلهـي فقـط. وكـان المسلمون ومعظمهم من الشيعة، يشكلون ٤٠% من سكان مملكة أوده يومـذاك، وفـي سـنة ١٨٥٦ احتـل البريطانيون مملكة أوده وألحقوها بأملاكهم الهندية.

John Pemble, The Raj, The Indian Mating and the Kingdom of Oadh 1801-1859 (Sussex-1977), pp. 4-7, Michael Edwards, British India 1772-1947 (London-1967), p. 31.

(١٤٢) ايرلند ، المصدر السابق ، ص ٢٣ ، نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ٣٠٠.

مبالغ من الأموال لانفاقها على أغراض خيرية في النجف وكربلاء منذ أواخر القرن الثـامن عشر[١٤٣]. وفي سياق هذا الاهتمام بالعتبات المقدسة في العراق أوقف ملك أوده غازي الـدين حيدر مبلغاً قدره ١٢١,٠٠٠ روبية هندية في السنة لتُصرف صدقات الى مستحقيها في النجف وكربلاء[١٤٤]. ويعود منشأ هذا الوقف الى سنة ١٨٢٥ عندما قدم ملك أوده قرضاً الى اللـورد امهرست (Amherst) الحاكم البريطاني العام للهند ابان الأزمة المالية التي حـصلت بـسبب الحرب في بورما في تلك السنة. وقد اشترط ملك أوده بدلاً من تسديد القرض اليـه أن تقـوم حكومة الهند بانفاق الربح المستحق عليه الى الأبد بنسبة ٥% على جهات عدة، منهـا بعـض المستحقين في النجف وكربلاء[١٤٥]. وكانت الهبات المرسلة من ملوك وأمراء أوده لأغـراض خيرية في النجف وكربلاء تتم من خلال الوكيل السياسي البريطاني في بغداد[١٤٦]. وعندما بدأ تطبيق وصية وقف أوده المشار اليها آنفاً رسمياً في سنة ١٨٤٩[١٤٧]. قررت حكومة الهند بعد مداولات استمرت بين ١٨٤٩ ـ ١٨٥٢، أن يتم انفاق أموال وقف أوده تحت اشراف القنصل البريطاني العام في بغداد[١٤٨]. وكان توزيع أموال الوقف على مستحقيه، ولاسيما فقراء الهنود المقيمين في العتبات المقدسة في العر اق، يتم حتى سنة ١٩٠٢، بالنسبة لفقراء الهنود المقيمين

---

(١٤٣)Juan R. 1 Cole;, Indian Money and the Shi'r Shrine cities of Iraq 1786-1650, M.E.S. Vol, 22, Vol, 4, October, 1986, pp. 463-468 .

(١٤٤) المس بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب، (بيروت ، ١٩٧١ ، ترجمة مظفر الخياط) ، ص ٩١.

(١٤٥) ويلسون ، بلاد ما بين النهرين بين ولاءين ، جـ ٢ ، ص ٣٢٦. ولأجل مزيد من التفاصيل عن توزيع فوائد قرض سنة ١٨٢٥، وما خصص منها للعتبات المقدسة في العراق يمكن مراجعة:

Lorimer, Op. Cit, pp. 1409-1411.

(١٤٦)Cole, Op. Cit, p. 471.

(١٤٧)Lorimer, Op. Cit, p. 1411.

(١٤٨) كان أمر توزيع أموال وقف أوده على مستحقيها قد أُسند سنة ١٨٤٩ الى القنصل البريطاني في بغـداد، الأمر الذي جعل المسؤولين العثمانيين يخشون من ذلك كل الخشية. وفي سنة ١٨٥٠ قررت حكومة الهند عدم دفع المبالغ في بغداد، وانه بدلاً من تحويلها الى المجتهدين في النجف وكربلاء يمكن لهؤلاء أن يوكلوا عـنهم من يسحب من حسابهم في خزينة بومبي. واستمر هذا الترتيب حتـى سـنة ١٨٥٢، عنـدما أثـار هنـري رولنصون القنصل البريطاني العام في بغداد قضية الوقف مرة أخرى، فقد وجد رولنصون ان الترتيب السابق يحتمل أن يسبب مشكلات أكثر مع السلطات العثمانية مما لو دفعت المبالغ مباشرة وعلانية عن طريق بغداد. كما اعتقد بأن المجتهدين قد يسيئون استعمال تلك الأموال لعدم وجود المراقبة اللازمة، وعلى هـذا قـررت حكومة الهند في تشرين الأول ١٨٥٢ أن يتم دفع المبالغ في بغداد وعهدت الى القنصل البريطاني العام مهمة الاشراف على كيفية انفاق تلك الأموال. أنظر:

Lorimer, Op. Cit, pp. 1411-1414.

نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ص ٣٠٠ ـ ٣٠١.

في كربلاء والنجف وأضيفت اليها الكاظمية منذ سنة ١٨٦٠، من خلال أحد كبار رجال الدين الشيعة (المجتهدين) في كل من كربلاء والنجف يعاونهما في ذلـك عـدد مـن المـساعدين (موزعين فرعيين Sub-disributers) يتم اختيارهم من قبل القنصل البريطـاني العـام فـي بغداد[١٤٩].

ومع استمرار توزيع أموال وقف أوده تحت اشراف القنصل البريطاني العام في بغداد، فإن عدة تغيرات طرأت على طريقة التوزيع فيما بعد. ففي مطلع هذا القرن صـارت أمـوال وقف أوده توزع بالتساوي بين مجتهدي كربلاء والنجف، وللقنصل البريطاني العـام مطلـق الحرية في اختيار أولئك المجتهدين الذين كانوا يتلقون منه المال مباشرة، أما توزيع المال فهو متروك لإرادة المجتهدين، الذين كانوا يتلقون بدورهم المال من الوقـف مـدى الحيـاة[١٥٠]. ويعزى هذا الترتيب الذي تم ابان السنوات ١٩٠٢ ـ ١٩٠٣ الى القنصل البريطاني العام في بغداد نيومارج[١٥١]، ومن الجدير بالذكر ان معظم المجتهدين الموزعين لأموال وقف أوده كانوا من الفرس والهنود أصلاً[١٥٢].

في سنة ١٩١٠ اقترح المقيم السياسي والقنصل البريطاني العام في بغداد لوريمر تغيراً آخر في ترتيبات توزيع أموال وقف أوده. وكان مبعث هذا الاقتراح هو عـدم رضـاه عـن الترتيب الذي كان قائماً في السابق، لأنه لا يمنح المقيم السياسي والقنصل البريطاني العام حق مساءلة التوزيع وطريقة انفاق أموال الوقف. فضلاً عن تذمر الهنود المقيمـين فـي كـربلاء والنجف وشكاواهم المستمرة بأنهم لا يستلمون مبالغ كافية من أموال الوقف. وبموجب الترتيب الجديد صار لزاماً على كل مجتهد موزع يتسلم أموالاً من وقف أوده انفاق ٥/٢ حصته مـن خلال لجنة مؤلفة منه ومن زملائه ولجنة أخرى تضم عدداً مـساوياً مـن الأعـضاء ويـتم اختيارهم من قبل المقيم السياسي والقنصل البريطاني العام في بغداد والذي يتـولى شخـصياً رئاسة تلك اللجنة. كما منح المقيم السياسي والقنصل البريطاني العام نفسه صلاحية منح أكثر من حصة واحدة من أموال وقف أوده لكل مجتهد موزع[١٥٣]. ولإظهار مزايا هـذا الترتيـب

---

[١٤٩] Lormer, Ibid, p. 1481.

[١٥٠] نظمي ، المصدر السابق ، ص ص ١٢٣ ـ ١٢٤.

Atiyyah, Op. Cit, p. 81.

[١٥١] راجع التفاصيل في :

Lorimer, Op. Cit, pp. 1612-1616.

[١٥٢] Ibid. 1616.

[١٥٣] بشأن الترتيب الجديد الذي تم سنة ١٩١٠ ، راجع : نظمي ، المصدر السابق ، ص ١٢٤. المس بيـل ، المصدر السابق، ص ٩٢.

Atiyyah, Op. Cit, p. 82.

الجديد كتب لوريمر ان "هذا التغيير سوف يزيد كثيراً من نفوذ المقيم (الـسياسي البريطـاني) ويقلل في الوقت ذاته من صعوباته إذا ما أدرك (الآخرون) بأن له صلاحية منح أكثـر مـن حصة واحدة للشخص"[١٥٤].

حظي الترتيب الجديد بمصادقة حكومة الهند في كانون الثـاني ١٩١٢ مـع تعـديلات طفيفة من ضمنها أن يترأس نائب القنصل البريطاني في كربلاء لجان التوزيع، وان ينفق كل مجتهد موزع ٢/١ المال الذي يتسلمه وليس ٥/٢ كما اقترح لوريمر[١٥٥]. ولمـا كـان هـذا الترتيب الجديد يثير شكوك السلطات العثمانية في بغداد، فان لوريمر استغل فرصـة مأدبـة أقامها والي بغداد للدبلوماسيين الأجانب في ٢٩ شباط ١٩١٢ لطرح الموضوع عليه وتطمينه. ولكن مبادرة لوريمر كانت متأخرة نوعاً ما، إذ سبق لوالي بغداد ارسال برقية الى اسـطنبول في ٢٧ شباط ١٩١٢ بخصوص الترتيب الجديد ولم يتسنى للوريمر معرفة فحواها[١٥٦]. وعلى أية حال فان الترتيب الجديد أثار معارضة واستياء ليس من جانب بعض المجتهدين فحـسب، بل السلطات العثمانية في العراق أيضاً وبدأت تلك السلطات باتخاذ اجراءات ضد عـدد مـن العاملين في توزيع وقف (أوده) من الرعايا العثمانيين والفرس[١٥٧].

وعلاوة على ذلك ، فان عدة مقالات ظهرت في صحف بغدادية تضمنت هجوماً عنيفـاً على وقف أوده، وفي ١١ تموز ١٩١٢ نُشر التماس وقعه عدد مـن المجتهـدين المـوزعين ووجهوه الى المفتي الأكبر في الدولة العثمانية والى والي بغداد يحتجون فيه على الترتيبـات الجديدة لوقف (أوده) في جريدة الزهور البغدادية[١٥٨]. وفي مطلع آذار ١٩١٣ نشرت الجريدة ذاتها مقالة تحمل توقيع (مسلم) فحواها ان الحكومة البريطانية تحصل على نفوذ كبيـر مـن المسلمين من خلال توزيع أموال ذلك الوقـف، واختتمـت المقالـة بـالقول: "... ان بعـض

---

[١٥٤] Atiyyah, Op. Cit, p. 82.

[١٥٥] I.O.R. L/P & S/10/212, Summary of events in Turkish Iraq, January, 1912, p. 11.

[١٥٦] Ibid, Summary of events.. February 1912, p. 11.

[١٥٧] من ذلك ان والي بغداد طلب من يهودي عثماني يدعى صالح ويعمل محاسباً للجنة وقف أوده أن يتـرك العمل لديها في تموز ١٩١٢. وفي الشهر ذاته قام الوالي بترحيل ابن الشيخ هادي، وهو مجتهد مـوزع فـي كربلاء فارسي الجنسية، وقد ذكر لوريمر ان اعتقاله يرجع الى كونه يمثل والده في أغلب الأحيان في لجنـة الوقف في كربلاء ولأنه على صلة وثيقة بنائب القنصل البريطاني هناك.

I.O.R. L/P & S/10/212, Summary of events in Turkish Iraq July, 1912, pp. 6-7.

[١٥٨] Ibid, p. 6.

وجريدة الزهور جريدة سياسية عربية - تركية أصدرها في بغداد في ٤ تشرين الثاني ١٩١٩ الـسيد رشـيد الصفار ونسيم يوسف. ينظر: عبدالرزاق الحسني ، تاريخ الصحافة العراقية، جـ ١ (بغـداد ، ١٩٥٧) ، ص ٥٥.

الأشخاص يقولون للفقراء في كربلاء والنجف أنظروا كيف ان الحكومة البريطانية توزع عليكم المال، بينما الحكومة التركية لا تعطيكم شيئاً بل تأخذ الضرائب منكم"(١٥٩). وفي ٢٣ آيار ١٩١٣ نشرت الجريدة المذكورة مقالة أخرى بالتوقيع نفسه دعت الى أن يكون للحكومة العثمانية نفس الحقوق التي للحكومة البريطانية في الاشراف على وقف (أوده)(١٦٠). وعادت الجريدة ذاتها ونشرت مقالاً في ٢ حزيران ١٩١٣ انتقدت فيه بشدة المجتهدين الموزعين(١٦١). أما جريدة (الرياض) البغدادية، فقد نشرت في ٢٥ آذار ١٩١٣ مقالاً أشارت فيه الى ان الترتيب الجديد لتوزيع أموال وقف أوده يعود الى بواعث سياسية صرفة(١٦٢).

عندما وضع الترتيب الجديد موضع التطبيق كان جميع المجتهدين الموزعين وأعضاء اللجنة التي شكلها لوريمر في كربلاء من الفرس والهنود فيما عدا واحد من رعايا الحكومة العثمانية. أما في النجف فكان بينهم اثنين من العرب وتركي واحد١٦٣. وقد اتفق لوريمر فيما بعد مع والي بغداد على استثناء الرعايا العثمانيين من المشاركة في توزيع أموال وقف أوده(١٦٤). أما أموال الوقف، فقد استمر توزيعها أساساً على الهنود والفرس في العتبات المقدسة وعدد قليل من العرب، فضلاً عن بعض المنح للمدرسة الهندية في كربلاء(١٦٥).

ان الاشراف على وقف أوده زاد من نفوذ ومكانة المقيم السياسي والقنصل البريطاني في بغداد ونائب القنصل البريطاني في كربلاء. وقد سعت الحكومة البريطانية الى استغلال أموال وقف أوده للضغط على المجتهدين المستفيدين. وكان القناصل البريطانيون في بغداد وكربلاء يعملون على قطع أموال الوقف عن العلماء والمجتهدين في كربلاء والنجف إذا ما

---

(١٥٩)I.O.R. L/P & S/10/212, Summqry of events in Turkish-Iraq March, 1913, p. 5.

(١٦٠)Ibid. Summary of events, May, 1913, p. 8.

(١٦١)Ibid; Summary of events.. June, 1913, p. 9.

(١٦٢)Ibid; Summary of events.. March & April, 1912, p. 21.

وجريدة الرياض جريدة سياسية عربية صدرت في بغداد في السابع من كانون الثاني ١٩١٠ ونشرت أبحاثاً قيمة عن الجزيرة العربية وإمارات الخليج والبصرة وحثت الحكومة العثمانية كثيراً على وجوب مساعدة الأمة العربية في النهوض من كبوتها. وكان صاحبها الأستاذ سليمان البقل، ص ٥٤ ـ ٥٥.

١٦٣Ibid. p. 19.

(١٦٤)I.O.R. L/P & S/10/212, Summary of events in Turkish-Iraq, November, 1912, p. 5.

(١٦٥)Ibid. Summary of events.. March-April, 1912, pp. 19-20.

ويمكن مراجعة بعض الأرقام عن أعداد الهنود والفرس المستفيدين من وقف أوده والمبالغ التي تسلموها في :

Summary of events.. October 1913, p. 10.

Summary of events.. May 1914, p. 4.

وقفوا موقفاً يفسر كونه معادي للمصالح البريطانية[١٦٦]. وقبيل دخول الدولة العثمانية الحـرب العالمية الأولى الى جانب دول الوسط كتب السفير البريطاني في اسطنبول لويس ماليـت (L. Mallet) في ٢٥ ايلول ١٩١٤ الى وزير الخارجية البريطانية ادوارد غـراي، بـأن نائـب القنصل البريطاني في كربلاء يجب أن يؤثر في المجتهدين لكسبهم الى صف بريطانيا وبـأن "مصلحتهم (أي المجتهدين) في وقف أوده يجب أن تعلمهم أين يكمن رزقهـم". والحقيقـة ان أغلب المجتهدين الموزعين لأموال وقف أوده لم يساهموا في حملة الجهاد ضـد البريطـانيين سنة ١٩١٤، بيد ان نفوذهم كان ضئيلاً، لأن أياً منهم لم يكن مجتهداً بارزاً[١٦٧]. أمـا موقـف المجتهدين البارزين الذين ظلوا بعيدين عن وقف أوده وبريطانيا، فقد كان إيجابياً ازاء الدولـة العثمانية والتهديدات التي تواجهها. ففي سنة ١٩١١ دعوا الى الجهاد ضد الغـزو الإيطـالي لليبيا[١٦٨]. وتبنى أولئك المجتهدون موقفاً مماثلاً عندما قامت القوات البريطانية بغزو العـراق ١٩١٤، حيث دعوا الى الجهاد ضدها، كما ساهم عدد منهم في الحرب ضد بريطانيا[١٦٩].

٥ ـ مراقبة النشاط الأجنبي :

كان العراق ميداناً من ميادين التنافس السياسي والاقتـصادي والثقـافي بـين الـدول الأوربية الكبرى في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. وكان ذلك التنافس محـصوراً بين بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية وألمانيا على نحو خاص. وفي سياق ذلك التنافس وقع على عاتق قناصل تلك الدول في العراق، وفي مقدمتهم قناصل بريطانيا مهمة مراقبة أنـشطة الدول المنافسة وابلاغ حكومتهم بتفاصيلها مع محاولة احباط تلك الأنشطة وعرقلتهـا حيثمـا ومتى ما كان ذلك ممكناً.

أ ـ مراقبة النشاط الفرنسي :

استهل القرن التاسع عشر بمنافسة بريطانية ـ فرنسية في العراق ، ومن المعروف ان علاقات فرنسا مع العراق تعود الى القرن التاسع عشر عندما بدأ توافد المبشرين الفرنـسيين الى العراق لنشر المذهب الكاثوليكي[١٧٠]. كما ان شركة الهند الشرقية الفرنسية، التي تأسست في سنة ١٦٠٤، أقامت علاقات تجارية محدودة مع ميناء البصرة منذ ذلك القرن أيضاً. ومنذ

---

[١٦٦] الداود ، المصدر السابق ، ص ١١.

[١٦٧] Atiyya, Op. Cit, p. 120.

[١٦٨] Ibid, p. 50.

[١٦٩] عبدا فهد النفيسي ، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ، (بيـروت ، ١٩٧٧) ، ص ص ٨٥ـ٨٦.

[١٧٠] الطائي ، المصدر السابق ، ص ١٠٥ ـ ١٠٧.

سنة ١٦٧٤ تعين رئيس الإرسالية التبشيرية الكرملية في البصرة قنصلاً لفرنسا هناك. وخلال الفترة ١٦٧٤ ـ ١٧٣٩ تعاقب على منصب القنصل الفرنسي في البصرة أحد عشر قنـصلاً كلهم من الآباء الكرمليين الى أن تم تعيين قنصل مدني هو مارتنفيل[١٧١]، كما عـين قنـصل فرنسي في بغداد سنة ١٧٤٠. أما في القرن التاسع عشر، فقد كان في العراق ثلاثـة مراكـز قنصلية فرنسية في بغداد والموصل والبصرة[١٧٢]. إلا ان درجات هـؤلاء القناصـل ظلـت عرضة للتحول والتبدل حسب ظروف واهتمامات الحكومة الفرنسية والاعتبارات المالية التي كانت تمنع تخصيص موارد مالية كافية لتلك القنصليات في أحيان كثيرة[١٧٣].

تابع البريطانيون النشاط الفرنسي في العراق عن كثب منذ القرن الثامن عشر على نحو خاص، وكان كل من الطرفين يراقب الطرف الآخر وتحركاته من خلال قناصله وممثليه فـي العراق[١٧٤]. وازداد اهتمام البريطانيين بمراقبة النشاط الفرنسي في العراق بشكل كبيـر منـذ الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨، وكان من مظاهر هذا الاهتمـام تأسـيس المقيميـة البريطانية في بغداد في السنة ذاتها، كما أسلفنا القول. وكانت التعليمات الممنوحة لأول مقـيم بريطاني في بغداد وهو هارفورد جونـز تتضمن "مراقبة نشاط الوكلاء الفرنسيين والابـلاغ عنها... وأن يعمل على التأثير في الباشا (أي والي بغداد وتحريضه ضد مخاطر غزو فرنسي وتشجيعه على مقاومة المخططات الفرنسية"[١٧٥]. وقد نجح جونـز في مهمتـه، حيـث قـام الوالي سليمان باشا الكبير (١٧٨٠ ـ ١٨٠٢) بحجز القنصل الفرنسي جان باتيست روسـو، وكل العاملين معه، عدا سكرتيره الذي تمكن من الفرار، ووضعوا جميعاً تحت الحراسة وتـم تفتيش الأوراق الشخصية في القنصلية الفرنسية[١٧٦]. ولم يشكل الفرنسيون تهديداً للبريطانيين في العراق عندما عين والي بغداد سليمان باشا الصغير (١٨٠٨ ـ ١٨١٠) والياً على بغـداد

---

[١٧١] مارتنفيل ـ اوتر ـ كوسيه ، النشاط الفرنسي في البصرة ١٧٣٩ ـ ١٧٤٥ ، (البـصرة ، ١٩٨٠، ت مركز دراسات الخليج العربي)، ص ١٠. كذلك صادق ياسين الحلو، البـصرة فـي الوثـائق الوطنيـة الفرنسية ووثائق وزارة الخارجية الفرنسية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مجلة الخليج العربي، مجلد ١٦، العدد (٣)، ١٩٨٨، ص ١٧.

[١٧٢] محمد طاهر العمري ، تاريخ مقدرات العراق السياسية ، المجلد الأول، (بغداد ، ١٩٢٥) ، ص ١٧.

[١٧٣] بيير دي فوصيل ، الحياة في العراق منذ قرن ١٨١٤ ـ ١٩١٤ ، (بغـداد ، ١٩٦٨ ، ترجمـة أكـرم فاضل)، ص ص ٩ ـ ٢١.

[١٧٤] العابد ، المصدر السابق ، ص ص ٥٧ ـ ٥٩.

[١٧٥] المصدر نفسه ن ص ١٠٠.

[١٧٦] جودت باشا ، تاريخ جودت (استانبول ، ١٣٠٢هـ) ، جـ ٨ ، ص ٢٠٤.

بدعم من السفير الفرنسي في اسطنبول الجنرال سباستياني[١٧٧]. إلا انه يبدو ان الوالي الجديد لم يذهب في علاقاته مع الفرنسيين الى أبعد مما ينبغي. وربما يعود ذلك الى ادراكه قوة مركز البريطانيين في المنطقة وتوقعه حسم المنافسة مع فرنسا لصالحهم، وكما أسلفنا القول، فان ذلك الحسم قد تحقق فعلاً منذ سنة ١٨١٠. ورغم تراجع النفوذ الفرنسي في العراق بعد سنة ١٨١٠ وتقدم النفوذ البريطاني باطراد فاننا نلاحظ استمرار دور قناصل الدولتين في العراق في مراقبة نشاط الطرف الآخر وعرقلة مساعيه. فعندما أراد والي بغداد داود باشا (١٨١٧ ـ ١٨٣١) تأسيس جيش حديث في عشرينيات القرن التاسع عشر، فانه اسند أمر تدريب ذلك الجيش وإعداده الى الفرنسي ديفو (Devaux). وقد بذل القنصل البريطاني في بغداد روبرت تايلر جهداً كبيراً في سبيل إسناد تلك المهمة الى ضابط بريطاني بدلاً من فرنسي لكنه أخفق في ذلك[١٧٨]، وفي ثلاثينيات القرن التاسع عشر كان كل من نائب القنصل الفرنسي فونتانيه الذي عمل في العراق بين سنة ١٨٣٦ ـ ١٨٣٨، والقنصل البريطاني تايلر يراقب نشاط الطرف الآخر ويسعى الى عرقلة أي مسعى يهدف الى زيادة نفوذه في العراق. فقد حرض فونتانيه بعض العشائر العربية ضد بعثة جزني التي كانت تقوم بعملية مسح نهر الفرات، كما حذر العراقيين من الامتيازات التجارية التي استأثر بها البريطانيون ومن النشاط التبشيري البروتستنتي الذي يرعاه البريطانيون[١٧٩]. ومن جهة أخرى كان فونتانيه يراقب تحركات البريطانيون في منطقة الخليج العربي.. وقد أبدى حذره من الاتصالات المباشرة الجارية بين القنصل البريطاني في ميناء بوشهر وبين شيوخ كعب في الأحواز. ولأجل تحجيم النفوذ البريطاني قام فونتانيه بتحريض والي بغداد علي رضا باشا اللاز على الاستيلاء على المحمرة.. وفي اجراء مضاد لذلك قام القنصل البريطاني في بغداد تايلر بتحريض عشائر العراق الجنوبي على الثورة ضد الوالي المذكور ومنع دخوله في أراضيهم أثناء حملة المحمرة[١٨٠]. وعلى أية حال، فان مجهودات فونتانيه لم تجد نفعاً في وقف النفوذ البريطاني

---

[١٧٧] المصدر نفسه ص ص ١٧٠ ـ ١٧٢ ، كذلك نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ١٩.

[١٧٨] نوار ، داود باشا ، ص ٢١٤.

[١٧٩] نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩. وانظر كذلك : الهام محمود الجادر، البصرة دراسة في أوضاعها الادارية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ١٢١٨ ـ ١٢٨٦هـ / ١٨٠٣ ـ ١٨٦٩م، (رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية الأولى ـ ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٠)،، ص ص ٢١١ ـ ٢١٢.

[١٨٠] مهدي جواد حبيب ، الصراع العثماني ـ الفارسي وأثره في العراق في أواخر القرن التاسع عشر ، في : نزار عبداللطيف الحديثي وآخرون ، الحدود الشرقية للوطن العربي دراسة تاريخية، (بغداد، ١٩٨١)، ص ١٠٦.

في العراق، سيما وانه غادر العراق بعد فترة وجيزة دون أن يخلفه قنصل فرنسي آخر علـى مقدرته، اضافة الى ان حكومة فرنسا ركزت اهتمامها على مـصر دون العـراق فـي تلـك المرحلة وعلى اعتبار ان مستقبل خطوط المواصلات العالمية سيكون لمصر لا للعراق(١٨١).

من جهة أخرى واصل القنصل البريطاني في العراق متابعة أي تحـرك فرنـسي فـي العراق ومواجهته بسرعة. وكمثال على ذلك تدخل القنصل البريطاني كميـال فـي سـتينيات القرن التاسع عشر لدى والي بغداد لاحباط مشروع إنشاء شركة ملاحية فرنسية في العـراق يمكن أن تؤدي الى تقوية نفوذ فرنسا في العراق. وقد نجح القنصل البريطاني فـي مـسعاه، الأمر الذي أثار غضب القنصل الفرنسي بينتك (١٨٥٧ ـ ١٨٦٦)(١٨٢).

ومنذ هزيمة فرنسا أمام بروسيا في حرب ١٨٧٠ ركزت الحكومة الفرنـسية جهودهـا الاستعمارية على شمال أفريقيا(١٨٣). أما في العراق فان دورها ونشاطها اقتصر على الميـدان التبشيري في المقام الأول، ولم تعد تشكل أي منافسة جدية لبريطانيا في الميـادين الأخـرى. والواقع ان التطورات التي كانت تمر بها أوربا وتـزايد قوة ألمانيا العسكرية والاقتصادية دفع كلاً من بريطانيا وفرنسا باتجاه التقارب الذي توج بعقد الاتفـاق الـودي سـنة ١٩٠٤(١٨٤). وتظهر لنا بعض الوثائق البريطانية التراجع التدريجي في النفوذ الفرنسي فـي العـراق قبـل الحرب العالمية الأولى، فقد كتب نائب القنصل البريطاني في الموصل في شباط ١٩١٣ قائلاً: "لقد كان الفرنسيون ولمدة طويلة الأمة الأكثر نفوذاً هنا بسبب بعثاتهم التبشيرية القديمـة هنـا ووجود عدد كبير من الروم الكاثوليك الذين يتطلعون الى فرنسا لحمايتهم. لكن الدلائل تـشير الى ان نفوذهم بدأ يتضاءل وبأنهم يركزون جهودهم على سوريا...؟(١٨٥).

ب ـ مراقبة النشاط الروسي :

---

(١٨١) نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ٢٨٩.

(١٨٢) صادق ياسين الحلو ، النشاط الفرنسي في بغداد في القرن التاسع عشر ، في : بغداد في التاريخ، (بغداد ، ١٩٩١)، ص ص ٥٢٢ ـ ٥٢٣.

(١٨٣) محمد عصفور سلمان ، العراق في عهد مدحت باشا (١٨٦٩ ـ ١٨٧٢) ، (رسالة ماجـستير ، كليـة الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩)، ص ١٧١ ـ ١٧٢.

(١٨٤) أزال الاتفاق العقبة التي كانت قائمة بوجه التقارب بين الدولتين ، حيث اعترفت فرنسا بمركز بريطانيـا ومصالحها في مصر مقابل اعتراف بريطانيا بأطماع فرنسا في المغرب ، للتفاصيل أنظر: محمد خير فارس، المسألة المغربية ١٩٠٠ ـ ١٩١٤ (بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٠) ، ص ص ١٦٦ ـ ٢٠٠.

(١٨٥) I.O.R. L/P & S/10/212, Summary of events in Turkish-Iraq for the Month of February 1913, p. 3.

أما بالنسبة لروسيا ، فقد لاحظنا في الفصل الأول ان بريطانيا بدأت تنظر بقلـق الـى احتمالات تنامي النفوذ الروسي في المنطقة بصورة عامة منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر. كما أشرنا الى اقتراح القنصل البريطاني في بغداد تايلر الإقامة في نقطة ما الى الشمال من بغداد ليتسنى له مراقبة النشاط الروسي في المنطقة. والواقع ان روسيا سعت بدورها الـى مقاومة النفوذ البريطاني في العراق وأثارت مخاوف الدولة العثمانية من بريطانيا. كما استغلت مشاركتها في لجان الحدود العثمانية - الفارسية في منتصف القـرن التاسـع عـشر للقيـام بدراسات عن العراق بهدف تأسيس نفوذ سياسي وتجاري فيه[١٨٦]. وكان الاهتمـام الروسـي منصباً على المناطق الكردية بشكل خاص وتدخلات في شؤون تلك المناطق وجمعت معلومات عنها عن طريق عملائها من الأرمن[١٨٧]. ناهيك عن المعلومات التي جمعها الرحالة الـروس عن العراق في القرن التاسع عشر[١٨٨]. كما أقام الروس علاقات تجارية مع ميناء البصرة منذ أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، كما تأسست (الـشركة الروسـية للملاحـة التجارية) في سنة ١٩٠١ للتجارة مع الخليج العربي والبصرة تعهـدت الحكومـة الروسـية بمساعدة هذه الشركة ليتسنى لها تسيير ثلاث بواخر في السنة من أوروبا الى البصرة. وازداد عدد بواخرها القادمة الى البصرة سنة ١٩١١ الى خمس بواخر[١٨٩]. أما على مستوى التمثيل الدبلوماسي الروسي في العراق، فقد أسس الروس قنصلية في بغداد سنة ١٨٨١ وأغلقوها بعد مدة ثم أعادوها سنة ١٨٨٩ ورفعوها سنة ١٩٠١ الى قنصلية عامة[١٩٠]. أما في الموصل فقد تأسست قنصلية روسية ١٨٨٣ احباطاً لدسائس البريطانيين وأحابيلهم في هذه المنطقـة التـي كانت روسيا تشعر بقلق من نشاط هؤلاء في ربوعها. ووفقاً لما ذكره القنصل الفرنـسي فـي الموصل نقولا سيوفي فان القنصل الروسي المعين وصل بصحبة شاب كان ضـابط هندسـة مهمته جمع معلومات ورسم الخرائط للمنطقة[١٩١]. أما في البصرة، فقد تأسست وكالة قنصلية روسية فيها منذ سنة ١٨٨٩[١٩٢].

---

[١٨٦] ن. آ. خالفين ، الصراع على كردستان ، (ترجمة عثمان أبو بكر ، بغداد ،١٩٦٩) ، ص ٦٤.

[١٨٧] لونكريك، العراق ١٩٠٠ - ١٩٥٠ ، جـ ١ ، ص ٢٣. جاسم محمد حسن ، المـصدر الـسابق ، ص ٤٠٠.

[١٨٨] لمزيد من التفاصيل ، راجع : دانتسغ ، المصدر السابق.

[١٨٩] القهواتي ، دور البصرة التجاري ، ص ٢٨٦.

[١٩٠] العمري ، المصدر السابق ، ص ٢١. لونكريك ، العراق ١٩٠٠ - ١٩٥٠ ، جـ ١ ، ص ٢٣.

[١٩١] فوصيل ، المصدر السابق ، ص ١٥٤.

[١٩٢] لونكريك ، العراق ١٩٠٠ - ١٩٥٠ ، جـ ١ ، ص ٢٣.

اهتم الدبلوماسيون البريطانيون في العراق منذ بداية القرن التاسـع عـشر باحتمـالات التهديد الروسي للمصالح البريطانية في العراق. ونبهوا حكومتهم الى التصدي لذلك من خلال تعزيز النفوذ البريطاني في العراق، بل وحتى السيطرة المباشرة على العراق ومـن هـؤلاء ريج[١٩٣]، وتايلر[١٩٤]. أما رولنصون، وهو واحد من أبرز قناصل بريطانيا في العراق، فقـد كان معروفاً بعدائه الشديد لروسيا[١٩٥]. وقد تـزايد النشاط الروسي في الخليج العربـي فـي نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين و ترددت السفن الروسية على موانئ المنطقة، بما في ذلك البصرة وزار بعض المواطنين الروس العراق والخليج العربي[١٩٦]. وقـد اهـتم الدبلوماسيون البريطانيون في العراق، ولا سيما قناصل البريطانيين في البصرة بمتابعة هـذه الأنشطة الروسية ليس في البصرة فحسب، بل الكويت أيضاً ورفعـوا تقـارير عديـدة الـى السلطات البريطانية العليا بهذا الصدد[١٩٧] . ولم يكتفِ الدبلوماسيون البريطانيون بـذلك، بـل سعوا الى عرقلة النشاط الروسي أيضاً. فعندما أرسل الروس السفينة الحربية جيلاك (Guilak) الى الخليج العربي سنة ١٩٠٠ تعزيزاً لمصالحهم في المنطقة، طاب القنصل البريطاني فـي البصرة من الوالي العثماني عرقلة استقبال تلك السفينة في البصرة والعمل على منع رفع العلم الروسي على المبنى الذي كان ينبغي أن يكون مقراً مؤقتاً للممثل الروسـي[١٩٨]. كمـا هـدد القنصل المذكور الأهالي الذين كانوا يجلبون المأكولات والمـواد الـضرورية الـى الـسفينة الروسية[١٩٩]. وفي سنة ١٩٠١ اقترح القنصل البريطاني في البصرة على تاجر هنـدي مـن التبعية البريطانية الغاء عقد ايجار المبنى الذي أجره للممثل الروسي[٢٠٠]. وتجدر الإشارة الى ان مخاوف البريطانيين من النشاط الروسي في العراق والمنطقة لم تكن بلا أساس. فقد كـان

---

[١٩٣] نوار ، داود باشا ، ص ٢١٦.

[١٩٤] Dodwell, Op. Cit, p. 131.

[١٩٥] Kumar, Op. Cit, p. 14.

[١٩٦] راجع تفاصيل ذلك النشاط في : ابراهيم ، السلام البريطاني ، ص ص ٧٧ ـ ١٠١. بدرالدين عبـاس الخصوصي، النشاط الروسي في الخليج العربي ١٨٨٧ ـ ١٩٠٧ ، مجلة دراسـات الخلـيج العربـي والجزيرة العربية، العدد ١٨ ، نيسان ١٩٧٩ ، ص ص ١١٣ ـ ١١٨.

[١٩٧] رفع القنصل البريطاني في البصرة راتسلو تقارير كثيرة عن النشاط الروسي في البصرة والكويت ابان تلك المرحلة ، راجع بعض تلك التقارير في :

Bidwell, Op. Cit, Vol, 2, Part, V, pp. 10-13.

[١٩٨] ي. ريزفان ، سفن روسية في الخليج العربي ١٨٩٩ ـ ١٩٠٣ ، (موسكو ، ١٩٩٠ ، ترجمـة سـليم توما)، ص ١١.

[١٩٩] المصدر نفسه ، ص ١٢.

[٢٠٠] المصدر نفسه ، ص ١٥.

الروس يسعون الى تحجيم النفوذ البريطاني في العراق حيثما أمكن ذلك. ومما يؤكد ذلك التقرير الذي بعثه السفير الروسي في اسطنبول الى القنصل الروسي في البصرة في ٣١ آب ١٩٠١، والذي جاء فيه: "ان من واجباتنا الأساسية مساندة الحالات التي تثير المتاعب البريطانية وتؤدي الى اضعاف موقفها..."[٢٠١].

وعلى أية حال ، فان حدة التنافس البريطاني ـ الروسي هدأت في السنوات القليلة التالية بسبب انشغال روسيا بحربها مع اليابان سنة ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ ، التي هزمت فيها روسيا، وكانت هذه الهزيمة من بين العوامل التي أدت الى توقيع المعاهدة البريطانية ـ الروسية في آب ١٩٠٧[٢٠٢]. والتي كانت نهاية مرحلة من التنافس بينهما.

جـ ـ مراقبة النشاط الألماني :

خلافاً لفرنسا وروسيا ، فان تغلغل الألمان في العراق تأخر الى أواخر القرن التاسع عشر، أي الى ما بعد قيام الوحدة الألمانية ١٨٧١، كما أسلفنا القول، وقد تمثّل التغلغل الألماني في مشاريع السكة الحديد في الدولة العثمانية، ولا سيما سكة حديد بغداد ـ برلين، وفي النشاط التجاري وبعثات التنقيب عن الآثار. وكان لألمانيا قنصل في بغداد منذ سنة ١٨٩٥ ونائب له في البصرة[٢٠٣]. كما عينت ألمانيا قنصلاً لها في الموصل سنة ١٩٠٦[٢٠٤]. وحث هؤلاء القناصل الحكومة الألمانية من خلال تقاريرهم ومراسلاتهم، على ضرورة توسيع النشاط ودعم النفوذ الألماني في العراق[٢٠٥]. لقد شعرت بريطانيا بقلق بالغ ازاء امتداد المصالح والنفوذ الألماني ليس الى العراق حسب، بل والى بلاد فارس والخليج العربي أيضاً[٢٠٦]. وقد تابع الدبلوماسيون البريطانيون في العراق كل تفاصيل الأنشطة والتحركات الألمانية في العراق،

---

[٢٠١] بونداريفسكي ، الدبلوماسية الروسية ومشكلة الكويت سنة ١٩٠١ ، ترجمة وتعليق نوري عبدالبخيت ، مجلة كلية الآداب ، جامعة البصرة ، العدد ١٢ ، ١٩٧٧ ، ص ١٢٣.

[٢٠٢] بشأن ظروف عقد المعاهدة وبنودها وردود الفعل تجاهها راجع : روز لويس كريفس، المعاهدة الإنكليزية الروسية ١٩٠٧ ـ ١٩١٤ (البصرة ، ١٩٨١ ، ترجمة محمد وصفي أبو مغلي) ، ص ص ٤ ـ ٢٥.

[٢٠٣] جواد محمد علي رضا ، العلاقات العراقية ـ الألمانية ١٨٧١ ـ ١٩١٤ (رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات القومية والإشتراكية الجامعة المستنصرية، ١٩٨٢) ، ص ص ٧٧ ـ ٧٨.

[٢٠٤] الطائي ، المصدر السابق ، ص ١١٨.

[٢٠٥] رضا ، المصدر السابق ، ص ٨٤.

[٢٠٦] بشأن النشاط الألماني في هذه المناطق الأخيرة أنظر : ابراهيم ، السلام البريطاني ، ص ص ١٢٩ ـ ١٤٢.

سواء منها ما يتعلق بخط سكة حديد بغداد ومحاولات الألمان إيصاله الـى الكويـت[٢٠٧]، أو الأنشطة التجارية الألمانية في العراق[٢٠٨]، والأنشطة التي تقوم بها البعثات الآثارية الألمانيـة في العراق. مع ملاحظة ان التقارير التي رفعوها كانت تشكك في نوايا الألمان. ففي التقريـر الذي رفعه في ١٠ آذار ١٩٠٦ القنصل البريطاني العام في بغـداد نيومـارج الـى الـسفير البريطاني في اسطنبول اوكونور والذي رفعه بدوره فيما بعد الى وزير الخارجية البريطانيـة ادوار غراي. أشار القنصل البريطاني العام الى التنقيبات الآثارية التي كانت تقوم بهـا بعثـة ألمانية في قلعة الشرقاط وفي بابل، وذكر بأن هدف تلك البعثة يتجاوز الأغراض العلمية بدليل انها جلبت كوادر علمية وتقنية وهندسية ذات كفاءة عالية في عمليات المسح، واستغرب مـن تأخر أعمال التنقيب وبرر ذلك بالرغبة في تدريب مزيد من الكوادر، التي يتم استبدالها دائماً. وتمكينهم من اتقان اللغة العربية وتعلم كيفية التعامل مع العاملين العرب. وبأن هـذه الكـوادر ستكون مفيدة لهم عندما يبدأون العمل ببناء سكة الحديد في العراق. واختتم القنصل البريطاني العام تقريره بالقول: "أعتقد بأن هذه الأماكن ليست مقصودة فقط لأهداف متعلقة بالآثار، بـل لتكون بمثابة مراكز لجمع المعلومات ونشر النفوذ الألماني"[٢٠٩]. وتجدر الإشارة أخيراً الى ان التنافس البريطاني مع القوى السابقة في العراق ورصد الدبلوماسيين البريطانيين لأنشطة تلـك القوى لا يعني ان علاقات الدبلوماسيين البريطانيين كانت متوترة دائماً مع دبلوماسـيي تلـك الدول في العراق، بل اننا نلاحظ العكس أحياناً. فقد ذكر فردريك روزن الذي عـين قنـصلاً لألمانيا في بغداد سنة ١٨٩٨ ان ألطف زملائه في بغداد القنصل البريطاني العام لـوج[٢١٠]، كما كان قناصل روسيا وألمانيا ودول أوروبية أخـرى يـستعينون بخـدمات دائـرة البريـد البريطانية في بغداد أيضاً[٢١١] .

---

[٢٠٧] أنظر الوثائق المنشورة في :

Didwell, Op. Cit, Vol, 2, Part II, pp. 1-10.

[٢٠٨] أنظر مثلاً :

I.O.R. L/P & S/10/188, from Consul Crow (Basrah) to Sir E. Grey 13-3-1912.

ويدور موضوع الوثيقة حول مشتريات الألمان من الحبوب في البصرة والعمارة في كانون الثـاني وشـباط ١٩١١ بأسعار عالية تكفي لمنع المنافسة.

[٢٠٩] I.O.R. L/P & S/10/56, from N.R. Oconer, (Istanbul) to E. Grey, 11-4-1906,Enclosure 1.

[٢١٠] نجدة فتحي صفوت ، العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب (بغداد ، ط ٢ ، ١٩٨٤) ، ص ٥٩.

[٢١١] I.O.R. L/P & S/10/2121, Summary of events in Turkish-Iraq for the Month of March & April, 1912, p. 23.

الفصل الرابع

العلاقات المحلية للدبلوماسيين البريطانيين في العراق

العلاقات مع السلطات العثمانية في العراق

ان موضوع علاقات الدبلوماسيين البريطانيين بالسلطات المحلية فيه قبل عـودة الحكـم العثماني المباشر سنة ١٨٣١ ، درس بالتفـصيل فـي العديـد مـن الدراسـات والأبحـاث الأكاديمية[١]. وقد أشارت تلك الدراسات والأبحاث الى ما تمتع به الدبلوماسيون البريطـانيون من هيبة ونفوذ في العراق، ودورهم في عزل ونصب بعض ولاة المماليك والنـزاع الـذي نشب بين آخر ولاة المماليك داود باشا والمقيم البريطاني ريج عندما حاول الأول الحـد مـن النفوذ البريطاني المتزايد في العراق. ومن المعروف أيضاً ان المماليك كانوا يـشكلون قـوة محلية تمتعت بقدر غير يسير من الاستقلال الذاتي عن اسطنبول فيمـا يخـص الاجـراءات والسياسات التي اتخذتها واتبعتها.

وبعد القضاء على حكم المماليك سنة ١٨٣١ ، وعودة الحكم العثماني المباشر انتهى ذلك الدور الذي تمتع خلاله الباشوات في العراق بالسلطة الفعلية، وأصبحت على اثر ذلـك كلمـة السلطان هي العليا. وعلى هذا فقد أصبحت الامتيازات البريطانية الصادرة من لدى الحكومـة العثمانية نافذة في العراق بغض النظر عن مشيئة الحاكم[٢]. وإذا ما بقي في استطاعة الباشـا القوي أن يقوم بما يزعج البريطانيين أحياناً، فانه لم يعد في استطاعته أن يسلك يوماً تجاههم، كما فعل داود باشا مثلاً، دون أن يعرض نفسه للعزل من منصبه على أقل تقدير[٣].

ويبدو ان السلطات البريطانية المعنية قد أخذت هذا التغيير الذي حصل في العراق بنظر الاعتبار أيضاً. ففي سنة ١٨٣١ و١٨٣٢ وضع مجلس المـدراء (Court of Directors) فـي شركة الهند الشرقية الإنكليزية جملة توجيهات ليعمل بموجبها ممثلها في بغداد روبرت تايلر. ومن ضمن ما ورد في تلك التوجيهات "تحذير الوكيل السياسي مـن اعتبـار الباشـا حاكمـاً مستقلاً"[٤].

---

[١] أنظر مثلاً : نوار ، داود باشا ، ص ص ١٨٩ ـ ٢١٩. نورس ، حكـم المماليـك فـي العـراق ، ص ص١٠٧ ـ ١١٣.

[٢] صالح ، المصدر السابق ، ص ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

[٣] المصدر نفسه ، ص ١٣٨.

[٤] Lorimer, Op. Cit, Historical Part-IB, p. 1338.

كانت الاتصالات بين الدبلوماسيين البريطانيين في العراق والسلطات العثمانية المحلية، ممثلة في شخص الوالي العثماني، تـتم مـن خـلال المتـرجمين العـاملين لـدى أولئـك الدبلوماسيين[٥]. وكان في سراي الوالي العثماني قسم يشرف عليه مدير مسؤول عـن تنظـيم رعايا الدول الأجنبية والعلاقة مع الدبلوماسيين الأجانب بـصورة عامـة[٦]، وكانـت هنـاك مراسلات ومكاتبات جارية بين الممثليات البريطانية في العراق والولاة العثمانيين فـي بغـداد والبصرة والموصل[٧]، أما الأمور المهمة جداً أو العاجلة، فان بحثها ومعالجتها تتم من خـلال لقاءات مباشرة بين الدبلوماسيين البريطانيين والولاة العثمانيين في العراق[٨]. كما كان كل من الدبلوماسيين البريطانيين والولاة العثمانيين يتبادلون زيارات مجاملة في المناسـبات الرسـمية البريطانية أو العثمانية[٩].

ان المتتبع للعلاقة بين الدبلوماسيين البريطانيين والسلطات المحلية في العراق يلاحظ ان تلك العلاقة كانت تتأثر بعدة عوامل يمكن إجمالها فيما يأتي:

أولاً : ما تمتع به الدبلوماسيون البريطانيون في العراق من (نفوذ محلي مهيمن)، علـى حد تعبير القنصل البريطاني العام في بغداد هنري رولنصون سـنة ١٨٥٢[١٠]. وقد استمر هذا النفوذ في النمو بشكل مستمر في القرن التاسـع عـشر ومطلـع القرن العشر ين. وقد نشأ هذا النفوذ عن تطور مصالح بريطانيا ودورهـا فـي العراق وعن مظاهر الأبهة والهيمنة التي أحاطت بالدبلوماسيين البريطانيين فـي

---

[٥] ولعل هذا ما دفع الرحالة بدج الى اطلاق صفة (السكرتير الشرقي) على مترجم القنصلية البريطانية العامة في بغداد يعقوب طاطيوس. بدج، المصدر السابق، ٢٠٠.

[٦] في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عينت نظارة الخارجية العثمانية موظفاً بدرجة مـدير للأمـور الأجنبية ليكون واسطة اتصال بين حكومة الولاية والقناصل الأجانب الموجودين في الولاية. ويتبـع هـذا المدير الوالي في تصرفاته وأوامره، وعليه تبليغ الوالي بالملاحظات الخاصة بالأحكام والقوانين الدوليـة الخاصة بالمصالح الأجنبية. ينظر: ياسين شهاب شكري، ولايـة بغـداد ١٨٧٢ - ١٩٠٩ دراسـة فـي أوضاعها الإدارية والاقتصادية (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصـل، ١٩٩٤)، ص ٣٤. وينظركذلك: محمد عصفور سلمان، العراق في عهد مدحت باشـا ١٨٦٩ - ١٨٧٢ (رسـالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩)، ص ١٦٧.

[٧] بخصوص نموذج من هذه المراسلات راجع : بدج ، المصدر السابق ، ص ٢٠٠.

[٨] أنظر مثلا :

I.O.R. L/P & S/10/212, Summary of events in Turkish-Iraq fof February 1912, p. 11, and for March & April 1912, p. 22.

[٩]Lorimer, Op. Cit, p. 1574.

[١٠]Foreign Office, Mesopotamia. P. 20.

العراق[11]. ولم يكن هنالك شعور بالارتياح لدى الولاة العثمانيين، بوجـه عـام لوجود أولئك الدبلوماسـيين الـذين كـانوا بمثابـة رقبـاء علـى سياسـاتهم واجراءاتهم[12]. وكانوا يكتبون عنها في التقارير التي يبعثون بها الـى الـسفير البريطاني في اسطنبول ويطلبون فيها تدخله لدى السلطات العثمانية في اسطنبول ضد تلك السياسات والاجراءات أحياناً. وعلى الرغم مـن ذلـك، فـان الـولاة العثمانيين في العراق كانوا يخصون الدبلوماسيين البريطانيين بمعاملة أفضل من بقية الدبلوماسيين الأجانب لما يتمتعون به من نفوذ وهيبة في العراق[13]. بل ان العديد من الولاة العثمانيين في العراق كانوا يبلغون القنصل البريطاني بـبعض الخطوات والاجراءات التي ينوون اتخاذها[14]، بل يستشيرونهم ويطلبون منهم النصح في العديد من القضايا[15]، ناهيك عن طلب توسطهم أحياناً لتهدئة أو فض بعض المشكلات التي كانت تنشأ بين العراقيين وبين السلطات العثمانية[16].

وكان الدبلوماسيون البريطانيون في العراق مدركين تماماً لمدى النفوذ الذي يتمتعون به في البلاد الى الحد الذي جعلهم لا يترددون في تقديم في الاقتراحات بخصوص تعيين الـولاة

---

(11) راجع التفاصيل في الفصلين الأول والثاني من الكتاب.

(12) Abdjer, Op. Cit, p. 189.

(13) فوصيل ، المصدر السابق ، ص ١٠٤. علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، جـ ٢، (بغداد، ١٩٧١)، ص ١١٣.

(١٤) قبل حملته ضد كربلاء ١٨٤٢ ، أبلغ والي بغداد نجيب باشا القنصل البريطاني تايلر بعزمه على ذلـك، وقد أيده تايلر وهنأه بعد الحملة وكان ذلك من أسباب عزل تايلر من منصبه.

Lorimer, Op. Cit, pp. 1356-1393.

(١٥) ينظر مثلاً : استشارة والي بغداد نامق باشا للقنصل البريطاني العام في بغداد كمبال وطلب نصيحته قبل القيام بحملته العسكرية ضد عشيرة الخزاعل في منطقة الشامية أواخر سنة ١٨٦٤.

Ibid, pp. 1434-1435.

(١٦) من ذلك مثلاً المظاهرات التي شهدتها بغداد في تشرين الأول ١٩٠٨ ضد جمعية الاتحاد والترقي وضد اليهود الذين كانوا يتحفزون للسيطرة على الوضع في ظل الدعم والحماية التي قـدمتها جمعيـة الاتحـاد والترقي. وقد زار وفد من جمعية الاتحاد والترقي القنصل البريطاني في بغداد وطلبـوا مـساعدته لحـل الأزمة. وفي مثال آخر استعانت سلطات ولاية بغداد في صيف ١٩١٠ بالقنصل البريطاني العام لتهدئـة الوضع وتخفيف حدة المعارضة العربية في بغداد ضد الوالي ناظم باشا. وقد أجرى القنـصل البريطـاني العام اتصالات لهذا الغرض مع السيد محمود أكبر أبناء نقيب بغداد في ٣ أيلول ١٩١٠. ينظـر، نجـدت فتحي صفوت، خواطر وأحاديث من التاريخ (بغداد، ١٩٨٣)، ص ص ٢٠ ـ ٢٤. محمد هليل الجابري، الحركة القومية العربية في العراق ١٩٠٨ ـ ١٩١٤ (رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعـة بغداد، ١٩٨٠)، ص ص ٤٦٤ ـ ٤٦٦، ٤٨٠.

والمتصرفين[(١٧)]، أو مطالبتهم السفير البريطاني اسطنبول بالسعي لدى الحكومة العثمانية لعزل بعض الولاة[(١٨)].

ثانياً : طبيعة العلاقات العثمانية – البريطانية والتي كانت تنعكس ، سلباً أو إيجاباً على العلاقات بين السلطات العثمانية في العراق والدبلوماسيين البريطانيين فيه.

فمنذ عودة الحكم العثماني المباشر الى العراق سنة ١٨٣١ ، كانت العلاقات ودية بين الدولتين. فقد اتبعت بريطانية سياسة خارجية ازاء الدولة العثمانية قائمة، بغض النظر عن دوافعها الحقيقية، على أساس الحفاظ على وحدة وسلامة تلك الدولة[(١٩)].

وانسجاماً مع هذه السياسة دعمت بريطانية السلطان العثماني في صراعه مع والي مصر محمد علي باشا في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، كما وقفت الى جانب الدولة العثمانية في حرب القرم ١٨٥٣ – ١٨٥٦ ضد روسيا القيصرية، كما انها أسرعت الى حرمان روسيا من ثمار النصر الذي أحرزته على الدولة العثمانية ابان حرب ١٨٧٧ – ١٨٧٨، ونتيجة لذلك ازداد النفوذ البريطاني في الدولة العثمانية بشكل كبير ، وصار السفير البريطاني في اسطنبول يتمتع بحظوة كبيرة لدى الحكومة العثمانية[(٢٠)]. ومن البديهي القول ان هذا انعكس على قوة

---

(١٧) في ١٧ حزيران ١٨٨١ بعث القنصل البريطاني العام في بغداد برقية الى السفير البريطاني في اسطنبول طلب فيها تدخل الحكومة البريطانية لإعادة تأسيس ولاية البصرة التي سبق وان ألغيت قبل سنة واحدة من ذلك التاريخ، كما طلب إعادة تعيين ناصر باشا السعدون والياً عليها على أساس ان ذلك سيهدئ الأوضاع في جنوب العراق اثر ثورة قبائل المنتفق، وبأن ناصر باشا يكن مشاعر ودية تجاه بريطانيا وبناء على ذلك اقترح السفير البريطاني في اسطنبول على وزير الخارجية العثمانية تعيين ناصر باشا والياً على البصرة، وإذا تعذر ذلك ان يعين ابنه فالح باشا متصرفاً على لواء المنتفق (الناصرية).

J.B. Saldanha, precis of Turkish Arabia 1801-1905, (London-1905), Part, 1, p. 75.

(١٨) يذكر سليمان الصائغ ان والي الموصل عمر وهبي باشا الذي شن حملات عسكرية عنيفة وقاسية ضد اليزيدية قد عزل من منصبه سنة ١٨٩١ لاثر تقرير كتبه القنصل البريطاني هناك. ينظر: القس سليمان صائغ الموصلي، تاريخ الموصل، جـ ١ (القاهرة، ١٩٢٣)، ص ٣١٩. كما بعث القنصل البريطاني العام في بغداد رامزي برقية الى السفير البريطاني في اسطنبول في ١٦ تشرين الأول ١٩٠٨، عقب المظاهرات التي شهدتها بغداد والمشار اليها في هامش سابق، اقترح فيها عزل الوالي ناظم باشا من ولاية بغداد. صفوت، المصدر السابق، ص ٢٥.

(١٩) لمزيد من التفاصيل عن السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، راجع:=

Elie Hedourie, England and Middle East (London, 1978), pp. 9-28.

(٢٠) برز من بين هؤلاء السفير البريطاني سترتفورد كاننك (S. Canning) (اللورد رد كليف) الذي تولى المنصب أكثر من مرة بين سنتي ١٨٤٢ – ١٨٥٨. وكان يعرف السلطان العثماني غير المتوج وقد أحرز

الدبلوماسيين البريطانيين ونفوذهم في العراق أيضاً. ومنذ بداية ثمانينيات القرن التاسع عـشر بدأت العلاقات العثمانية البريطانية تتخذ مساراً معاكساً مما كان له أثر سـلبي علـى علاقـة السلطات المحلية في العراق بالدبلوماسيين البريطانيين فيه. فقد أدى الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢ الى أزمة حادة في العلاقات بين الدولتين، وأخذ الـسلطان العثمـاني عبدالحميـد الثاني (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩) بمعارضة المصالح البريطانية حيثما استطاع ذلك[٢١]. كما أدى ذلك الحدث الى ردود فعل قوية ضد بريطانيا في كل البلاد الإسلامية. بما في ذلـك العـراق[٢٢]. وتبع ذلك اتخاذ بعض الاجراءات ضد المصالح البريطانية والدبلوماسـيين البريطـانيين فـي العراق. فقد طلبت السلطات العثمانية في سنة ١٨٨٢ اغلاق دوائر البريد البريطانية في بغداد والبصرة، وكررت مساعيها بهذا الصدد سنة ١٨٩٤[٢٣]. وفي أوائل سنة ١٨٨٣ استلم والـي بغداد أمراً من اسطنبول بشأن عدم السماح لأية سفينة أجنبية بالعمل في أنهار العراق، ونفـذ هذا الأمر اعتباراً من ٢٨ حزيران ١٨٨٣ و توقفت سفن شركة لينج عن الملاحة فـي نهـر دجلة. بيد ان المنع لم يستمر طويلاً تحت ضغط وزارة الخارجية البريطانية[٢٤]. واستمر نمو المصالح والنفوذ البريطاني في العراق[٢٥].

أما بالنسبة للدبلوماسيين البريطانيين في العراق ، فان الصدر الأعظم العثماني بعث سنة ١٨٨٤ مذكرة الى والي بغداد العثماني تضمنت انتقاداً حاداً للسياسة البريطانية وطلبت منه أن يتحفظ في التعامل مع الدبلوماسيين البريطانيين في بغداد[٢٦]. ووفقـاً لتقريـر مرفـوع مـن القنصلية الأمريكية في بغداد الى وزارة الخارجية الأمريكية فـي ١٢ تمـوز ١٨٩٤، فـان السلطات العثمانية في بغداد فرضت رقابة دقيقة على القنصل البريطاني العام في بغداد. وعند خروجه في جولة، وخاصة الى الصحراء، كان الجواسيس الأتـراك يراقبونـه عـن كثـب ويرفعون تقارير الى اسطنبول عن تحركاته. كما كانت السلطات العثمانية تراقب مراسـلات القنصل البريطاني العام، ولاسيما إذا كانت هناك انتفاضة من جانب أي من القبائل العربيـة. وبأن الاعتقاد السائد هو ان هذه الانتفاضة مدبرة من قبل القنصل البريطاني، والـشيء نفـسه

مكانة ممتازة عند السلطان عبدالمجيد الأول (١٨٣٩ ـ ١٨٦١) والصدر الأعظم رشيد باشا. أنظر : ابراهيم خليل أحمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦ ـ ١٩١٦ (الموصل، ١٩٨٦)، ص ٢٠٧.

(٢١) Kumar, Op. Cit, p. 124.

(٢٢) Issawi, Op. Cit, p. 149.

(٢٣) Saldanha, Op. Cit, Part, III, pp. 206-215.

(٢٤) Makiya, Op. Cit, p. 46, Issawi, op. Cit, p. 149.

(٢٥) Saldanha, Op. Cit, Part, III, p. 215.

(٢٦) Lorimer, Op. Cit, p. 1550.

ينطبق على القنصل الروسي في بغداد[٢٧]. ومن جهة أخرى، فـان الخلافـات العثمانيـة ـ البريطانية في الخليج العربي منذ حملة مدحت باشا على الاحساء سنة ١٨٧١[٢٨]، والنزاع بين الدولتين حول السيادة على المنطقة، والسياسة البريطانية تجاه الكويت، وخاصة منـذ توقيـع اتفاقية الحماية سنة ١٨٩٩، تركت آثاراً سلبية على العلاقات بين الدولتين، مثلما كانت سـبباً في ظهور خلافات وتوتر في العلاقات بين والي البصرة والقنصل البريطاني هناك[٢٩].

ثالثاً : فضلاً عن العاملين السابقين ، فان العلاقة بين الدبلوماسـيين البريطـانيين فـي العراق والسلطات العثمانية فيه كانت تتحدد أيضاً في ضوء مواقف كل منها من مصالح وسياسات الطرف الآخر، بغض النظر أحياناً عن الاتجاه العام لـسياسة

---

(٢٧) U.S.A. National Archives, Consulate of U.S.A. (Baghdad) to the Department of Stat(Washington), 12-7-1894.

(٢٨) وصف مدحت باشا بأنه من ألد أعداء السياسة البريطانية في الخليج العربي، كما عرف عنه تشدده فـي منع الأجانب من تجاوز الامتيازات المعطاة لهم، ينظر: سلمان، المصدر السابق، ص ص ١٦٧ ـ ١٧٠. عبدالعزيز محمد المنصور، الكويت وعلاقاتها بعربستان والبصرة ١٨٩٦ ـ ١٩١٥ (الكويـت، ط ٢، د. ت)، ص ١٠١.

(٢٩) مثال ذلك ان القنصل البريطاني في البصرة راتسلو بعث أكثر من برقية في أيلول ١٩٠٢ الـى الـسفير البريطاني أشار فيها الى مضاعفات علاقات بريطانيا مع مبارك الصباح شيخ الكويت على علاقاته مع والـي البصرة مصطفى نوري باشا. فقد أشار في برقية مؤرخة في ٩ أيلول ١٩٠٢ الى تـساهل الـوالي المـذكور وعدم اهتمامه بقيام أعداء الشيخ مبارك بالإغارة عليه انطلاقاً من الأراضي العثمانية، ويضيف راتـسلو انـه تحدث مع الوالي بشدة وحزم = حول ذلك. وفي برقية أخرى مؤرخة في ٣٠ أيلول ١٩٠٢ تحدث القنـصل البريطاني في البصرة عن اجتماع له مع الوالي مصطفى نوري باشا بخصوص يوسف الإبراهيم، وهو مـن أعداء الشيخ مبارك، وذكر القنصل ان الوالي استقبل ملاحظاته بطريقة عدائية ودافع عن يوسف الإبـراهيم ورد حجج القنصل، وبأن الوالي أبلغه بأنه لن يستمع الى أية شكوى يقدمها (أي القنصل) ما لم تكن مكتوبـة. ينظر :

Bidwell, Op. Cit, Vol. 2, Part, IV, pp. 110-130.

ومن الجدير بالذكر ان يوسف الإبراهيم كان قد بعث ١٥٠ مقاتلاً في نهاية شهر آب ١٩٠٢ الى الكويت مـن أجل اقتحام الكويت وقتل الشيخ مبارك. وكان المفروض أن يشارك في العملية ٢٠ شخصاً من حرس الـشيخ مبارك. ولكن في اللحظة الأخيرة أفشي سر العملية وتمكن الشيخ مبارك من قتل المتآمرين داخـل الكويـت. ينظر: بونداريفسكي، التوغل البريطاني في جنوب وادي الرافدين ومحاولات احتلال الكويت فـي بدايـة القرن العشرين، ترجمة د. نوري السامرائي، مجلة الخليج العربي، العـدد ٣، ١٩٧٥، ص ص ٤٥ ـ ٤٦. ويتحدث لوريمر عن موقف عدائي لبريطانيا والبريطانيين من جانب السلطات العثمانية في البـصرة وبغـداد سنة ١٩٠٥ واحتمال كون ذلك بمثابة نتيجة من نتائج الزيارة التي قام بها نائب الملك في الهند اللورد كـرزن Lord Curzon الى الخليج العربي سنة ١٩٠٣، والتي زار خلالها الكويت أيضاً.

Lorimer, Op. Cit, p. 1554.

دولتيهما. ويمكن إيراد أكثر من مثال على ذلك. فقد كانت علاقة تـايلر بـوالي بغداد علي رضا باشا اللاز علاقة ودية، وكان هذا الوالي قد أعلن بعد القـضاء على حكم المماليك سنة ١٨٣١ التزامه بالاتفاقيات والامتيازات الممنوحة للإنكليز في العراق، كما شهد عهده بداية وضع أسس الامتيازات البريطانية في الأنهـار العراقية(٣٠). من جهته وضع تايلر يخته تحت تصرف الوالي، بناء علـى طلـب الأخير أثناء ثورة عشيرة العقيل في الجانب الغربي من بغداد سـنة ١٨٣٤(٣١). وقدم في مناسبة أخرى قرضاً للوالي العثماني المذكور لسد نفقاته الضرورية(٣٢). كما انه نقل طلبات من علي رضا باشا اللاز الى السلطات البريطانية في الهنـد لتزويده بأسلحة وذخائر حربية، وشجع مشروع الوالي المذكور لإنشاء أسـطول تجاري في نهر دجلة. وكان ذلك سبباً دفع السلطات البريطانية المعنية في الهنـد الى عزله من منصبه(٣٣)، وقد بقيت علاقات علي رضا باشا اللاز ودية مع تايلر طوال مدة ولايته في بغداد، ولم تحدث بينهما أية مشكلة. وقد رفع علـي رضـا باشا اللاز مذكرة الى اسطنبول في ٣ ربيع الأول ١٢٥٧هـ ـ/ ١٨٤١م اقتـرح فيها على الحكومة العثمانية تكريم القنصل البريطاني تايلر بوسام عثماني لحسن تعامله. كما رفع في الوقت نفسه مذكرة أخرى بخصوص تكريم المدعو خاجيـك رئيس مترجمي القنصلية البريطانية في بغداد بوسام عثماني أيـضاً(٣٤). وهنـاك حالات أخرى كانت العلاقات ودية بين الولاة العثمانيين والقناصل البريطـانيين في العراق(٣٥)، إلا انها لم تبلغ مبلغ العلاقة بين تايلر وعلي رضا باشا اللاز(٣٦).

---

(٣٠)Al-Bustani, Op. Cit, p. 298.

جاسم محمد هادي ، أحوال العراق الاقتصادية والاجتماعية ١٨٣١ ـ ١٨٦٩ (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٥)، ص ١٣.

(٣١) فريزر ، المصدر السابق ، ص ١٨٢. نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ٦٦.

(٣٢) سليمان فائق بك ، تاريخ بغداد (بغداد ، ١٩٦٢ ، ترجمة موسى كاظم نورس) ، ص ٣٣.

(٣٣)Lorimer, Op. Cit, p. 1393.

(٣٤)Al-Bustani, Op. Cit, p. 518.

(٣٥)Op. Cit, p. 518.

(٣٦) أنظر في سبيل المثال لا الحصر :

= علاقة القنصل البريطاني في البصرة مع الوالي محسن باشا سنة ١٩٠٠.

I.O.R. L/P & S/10/70, Archival Edition, Vol, 6, p. 40.

وفي مقابل ما سبق ذكره ، فان هناك حالات كثيرة ، كانت العلاقات فيها بين الـسلطات العثمانية المحلية والدبلوماسيين البريطانيين غير ودية وتشوبها مشاكل عديدة. ويمكـن إيـراد الأمثلة الآتية في سبيل المثال لا الحصر.

أ- العلاقة السيئة بين والي الموصل محمد باشا اينجـه بيرقـدار (١٨٣٥ - ١٨٤٤) ونائب القنصل البريطاني كريستيان رسام، فقد قدم الوالي المذكور عدة طلبات الى الحكومة العثمانية في سنة ١٨٤١ و١٨٤٢ يطلب فيها وضع النساطرة ومنـاطقهم تحت اشرافه، وتخويله الصلاحية لايقاف بناء القلعة التي كان قد أمر بنائها المبشر الأمريكي غرانت **(Grant)** في مناطق النساطرة التي كانت سبباً لحدوث مشاكل ومصادمات بين الأكراد والنساطرة. وقد شعر والي الموصل ان وجود رسام يمكن أن يشكل عائقاً لاجراءاته بصورة عامة، لذا كتب عدة شكاوى الى اسطنبول ضـد نائب القنصل رسام على أمل ازاحته من منصبه في الموصل[٣٧]. وعندما تعرض النساطرة الى مذابح على يد بعض الأكراد سنة ١٨٤٣ تدخل السفير البريطاني في اسطنبول لدى الحكومة العثمانية لوقفها واطلاق سراح الأسرى النـساطرة. وقـد سعى نائب القنصل رسام الى تنفيذ تعليمات السفير البريطاني بحماسة وضغط على السلطات المحلية في الموصل من أجل التدخل في الأمر. إلا ان الوالي محمد باشا رفض التدخل على أساس ان الأكراد يعملون وفقاً لأوامر من والي أرضروم. وقد استمرت مساعي رسام واستمر اهمال الوالي محمد باشا لتلك المساعي[٣٨].

ب- العلاقة بين والي بغداد نجيب باشا والقنصل البريطاني العام رولنـصون ، الـذي كتب مراراً الى السفير البريطاني في اسطنبول سنة ١٨٤٨ بخـصوص سياسـات نجيب باشا وكرهه للأوربيين وموقفه السلبي من المصالح البريطانية[٣٩].

وعلاقة القنصل البريطاني العام في بغداد لوريمر مع محمد فاضل باشا قائـد الجـيش أو الفيلـق العثمـاني السادس، والذي أبلغ القنصل بأنه يعتبر بريطانيا صديقاً لتركيا، وذلك في لقاء جرى بينهمـا فـي حزيـران ١٩١٣.

I.O.R. L/P & S/10/212, Summary of events in Turkish-Iraq during June, 1913, p. 10.

ولقاء لوريمر أيضاً مع والي بغداد جمال بك (١٩١١ - ١٩١٢) في ١٤ شباط ١٩١٢ والذي خرج بانطبـاع جيد عن الوالي المذكور.

I.O.R., l/P & S/10/212, Summary of events in Turkish-Iraq during February 1912, p. 10.

[٣٧] Badger, Op. Cit, pp. 188-189.

[٣٨] Ibid, pp. 275-276.

[٣٩] Lorimer, Op. Cit, pp. 1405-1406.

ج- النـزاع بين والي بغداد رديف باشـا (١٨٧٢ ـ ١٨٧٥) والقنـصل البريطـاني هربرت بخصوص مسائل عديدة من بينها مسألة حرية ملاحة الباخرة (كوميت) في الأنهار العراقية ومسألة حماية السلطات البريطانية لمواطني البحرين الساكنين في الدولة العثمانية. وقد وجدت الحكومة البريطانية ان المصلحة تقتضي نقل هربرت الى مكان آخر، ووافقت حكومة الهند على ذلك واتخذت الترتيبات اللازمة للنقل في سنة ١٨٧٤. وفي نفس الوقت عبرت حكومة الهند عن رغبتها في عـزل رديـف باشا من ولاية بغداد بسبب لهجته المتشددة وغير الودية تجاه القنصل البريطـاني العام، ولأن من غير المحتمل أن يؤدي عزل هربرت الى تغيير في موقفه[٤٠].

د- العلاقات بين والي بغداد ناظم باشـا (١٩١٠ ـ ١٩١٢) والقنـصل البريطـاني لوريمر، بسبب قيام الأول باستملاك وهدم ممتلكات العديد من الرعايا البريطـانيين وشركة لينج وجزء من دار المقيمية البريطانية في بغداد لفتح شارع جديد (شـارع النهر حالياً) في سنة ١٩١٠[٤١]. وقد أدى ذلك الى كره البريطانيين له[٤٢].

يتضح مما سبق ان علاقة الدبلوماسيين البريطانيين بالسلطات المحلية العثمانية لم تكـن تسير على وتيرة واحدة، بل كانت عرضة للتغيير في ضوء العوامل الثلاثة التي أشرنا اليها.

٢ ـ العلاقات مع العشائر العربية :

شكلت العشائر والاتحادات القبلية العربية قوة مهمة في المجتمع العراقي ابـان العهـد العثماني، حيث كانت العشائر تشكل أغلبية سكان البلاد. وكانت هذه العشائر موطن القوة تارة للسلطات العثمانية في العراق عندما تتعاون معها ضد أي خطر خارجي وموطن ضعفها تارة أخرى بسبب تعدد ثوراتها. وقد ملأت أحداث هذه العشائر أسماع الشرق الأدنى، ثم بدأت هذه الأحداث في القرن التاسع عشر تثير انتباه أوربا، ذلك ان هذه العشائر أصبحت تسيطر علـى أحد طرق التجارة والبريد والمواصلات، وكانت طرق المواصلات بين الشرق والغرب عبـر العراق قد دخلت ميدان التنافس الدولي مع أوسع أبوابه[٤٣].

ان المتمعن لخارطة العراق العشائرية والقبلية في القرن التاسع عشر وبـدايات القـرن العشرين سيلاحظ وجود عدد من الاتحادات القبلية القوية وعدد كبير من العشائر العربية لكـل

---

[٤٠] Lorimer, Op. Cit, p. 1472.

[٤١] راجع الفصل الثالث من الكتاب.

[٤٢] خيري العمري ، حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث (القاهرة ، ١٩٦٩) ، ص ٢٦.

[٤٣] نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ١٤١.

منها ديارها ومناطقها التي تخضع لسيطرتها الفعلية. وكانت هناك ثلاثة اتحادات قبلية قوية في جنوب ووسط العراق لعبت دوراً مهماً في أحداث هذه المرحلة، وأول هذه الاتحادات هو اتحاد قبائل المنتفق. وقد نشأ هذا الاتحاد بزعامة آل شبيب، الذين ادعوا النسب الهاشمي، من مجموعة اتحادات قبلية هي الأجود وبني مالك وبني سعيد. وتمتد ديار المنتفق بين السماوة والبصرة، وقد قدرت مساحة ديار قبائله بعشرة آلاف ميل مربع، كما قدر نفوسها بمائتي ألف نسمة. أما الاتحاد الآخر، فهو اتحاد قبائل الخزاعل، والخزاعل بيت مشيخة مهمة أصلها من نجد وانحدرت من قبيلة خزاعة واتصلت اتصالاً وثيقاً بسكان العراق أكثر من آل سعدون شيوخ المنتفق، وقد تبعتها عشائر الفرات الأوسط جميعها. وقد كان الخزاعل حكاماً منفردين في الفرات الأوسط طيلة الحكم العثماني حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر حين قامت السلطات العثمانية بمحاولات متواصلة لتقليص نفوذهم. وتمثل الاتحاد القبلي الثالث في اتحاد بني لام ومؤسس هذا الاتحاد حافظ اللامي بن براك بن مفرج أحد أحفاد لام بن حارثة. وقد هاجر جد هذا الى العراق من الجزيرة العربية واشتبك مع أمير الحويزة وشيوخ ربيعة ونجح في فرض سيطرة واسعة على المنطقة الواقعة بين القرنة والكوت على نهر دجلة. وكانت لقبائل هذا الاتحاد قوة ذات شأن كبير على الطريق بين بغداد والبصرة أشغلت الولاة العثمانيين طويلاً. كما ان اتصال تخوم ديارها بديار المنتفق أشعل نار النزاع بينهما، حتى انتهى بطرد المنتفق واطلاق يد بني لام في أراضي العمارة جميعها[٤٤].

فضلاً عن الاتحادات القبلية القوية ، كانت هناك عشائر كثيرة تنتشر على مساحات واسعة من أرض العراق من شماله الى جنوبه، ولعل أهمها الزبيد على الضفة اليمنى لنهر دجلة الى الجنوب من مصب نهر ديالى فيه والضفة اليسرى للفرات شمال الحلة وجنوبها. ومن زبيد عشيرة ألبو محمد صعبة المراس والتي كانت تسيطر على المنطقة من شمال القرنة وعلى ضفاف دجلة حتى نهر الحي. وهناك عشيرة الدليم على جانبي القسم الأعلى من الفرات الأوسط بين عنه وهيت بشكل خاص. وعشيرة العبيد في القسم الأعلى من دجلة الأوسط. وطي الى الشمال من الموصل، وشمر الجربا بين بغداد والموصل ومنطقة الجزيرة، والجبور بين الموصل والخابور وعلى دجلة عند سامراء ومناطق أخرى، وشمر طوقا على دجلة جنوب بغداد وغيرها من العشائر العربية[٤٥].

---

[٤٤] الجواهري ، المصدر السابق ، ص ص ٦١ ـ ٦٢.

[٤٥] نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ص ١٤٩ ـ ١٦٢. كذلك منتشاشفيلي ، العراق في سنوات الانتداب البريطاني (بغداد، ١٩٥٨، ت: هاشم التكريتي)، ص ص ٣٩ ـ ٤٥. وانظر أيضاً: حنا بطاطو، العراق، الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، (بيروت، ١٩٩٠، ترجمة

لقد بذلت السلطات العثمانية في العراق مساعي متواصلة بين سنة ١٨٣١ و١٩١٤ لبسط السيطرة المباشرة على هذه الاتحادات القبلية والعشائرية وعملت على إضعافها. وقد تراوحت مساعي تلك السلطات ما بين محاولة توطين تلك القبائل والعشائر، كما في عهد مدحت باشـا ١٨٦٩ ـ ١٨٧٢، وما بين ضرب القبائل والعشائر بعضها ببعض من خلال منح التزام جباية الضرائب في ديرة قبلية أو عشيرة ما لشيخ من قبيلة أو عشيرة أخرى، كما حـصل عنـدما منحت التـزام جباية الضرائب من بني لام لشيخ من اتحاد المنتفق مما أدى الى ثورة بني لام ١٨٤٩، كما ثارت قبائل الهندية ضد الشيخ وادي شيخ زبيد بسبب جباية الضرائب بأسـاليب خالية من الرحمة وابـتزازه الأموال[٤٦]. كما لجأت السلطات العثمانية الى اضعاف الـشيوخ من خلال خلق المنافسات والانشقاقات داخل القبيلة أو العشيرة ذاتها، ومن ذلك الانشقاقات في مشيخة آل السعدون التي كان وراءها والي بغداد نامق باشا والانشقاقات التي حصلت اثر وفاة الشيخ فيصل بن خليفة شيخ بني لام ١٨٥٥، حيث دعمت السلطات العثمانية في العراق ابنـه شباع بن فيصل ضد عمه ومنافسة منشد بن خليفة وضمنت له المشيخة. أما الأسلوب الأخيـر الذي اعتمدته السلطات العثمانية في العراق، وهو الأكثر شيوعاً، فقد تمثل في تجريد الحملات العسكرية ضد تلك الاتحادات القبلية والعشائر، ومن بينها الحملات العـسكرية العديـدة ضـد الخزاعل وبني لام وغيرها في أكثر من مناسبة[٤٧]. وقد ترتب على هذه الـسياسة العثمانيـة حدوث العديد من الانتفاضات العشائرية ضدها ومن وقت الى آخر[٤٨].

اهتم الدبلوماسيون البريطانيون في العراق بمتابعة أحوال العشائر العربية في العـراق، وتابعوا بدقة تفاصيل علاقاتها مع السلطات العثمانية. ولم يكن هذا أمراً مستغرباً فـي ضـوء كون تلك العشائر تمثل قوة مهمة في البلاد بامكانها التأثير على المصالح البريطانيـة فيهـا. والواقع ان هذا الاعتبار كان وراء اهتمام أولئك الدبلوماسيين باقامـة علاقـات مـع شـيوخ الاتحادات القبلية والعشائر القوية المتنفذة لأجل ضمان عدم تجاوزهم على المصالح البريطانية أو عرقلتها. وقد أكد الدبلوماسيون البريطانيون هذا الأمر مراراً. وقد كان القنصل البريطـاني العام في بغداد رولنصون يعلق أهمية كبيرة على إقامة علاقات جيدة مـع القبائـل والعـشائر

عفيف الرزاز)، الكتاب الأول، صص ٩٢ ـ ٩٣ (يتضمن هذا المصدر في ص ٩٢ خارطة مفيـدة عـن الاتحادات القبلية والعشائر في العراق في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر).

[٤٦] اونكريك ، أربعة قرون ، ص ٢٩٤.

[٤٧] الجواهري ، المصدر السابق ، ص ص ٦٢ ـ ٧٥.

[٤٨] لمزيد من التفاصيل عن علاقة العشائر بالسلطة العثمانية في العراق راجع : محمد أحمد محمود، أحـوال العشائر العراقية العربية وعلاقاتها بالحكومة ١٨٧٢ ـ ١٩١٨ (رسالة ماجستير غير منـشورة، كليـة الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٠).

العراقية[٤٩]، ليس في جنوب العراق حسب، بل وفي شماله، وعلى وفق ما ذكره لوريمر، فان رولنصون كاف فليكس جونـز في سنة ١٨٤٦ بقيادة الباخرة (نيتوكريس) في دجلة والتوجـه بها الى الموصل، إلا ان المهمة فشلت لأسباب تتعلق بعدم صلاحية نهر دجلة لـذلك شـمال تكريت. وبأن رولنصون كان يأمل أن يستغل تلك الرحلة لإقامة علاقات وديـة مـع عـشائر العبيد والعزة و طي وشمر من خلال تقديم هدايا الى شيوخها[٥٠]. أما القنصل البريطاني العام كمبال، فقد أقام اتصالات مباشرة مع زعماء المنتفق الذين كانوا في حالة ثورة ضد العثمانيين سنة ١٨٦٤، وذلك لأجل فتح الطريق أمام مد خطوط البرق البريطانية[٥١]. وعنـدما وقعـت اضطرابات في ديار المنتفق في سنة ١٨٨١ وهددت بصورة غير مباشرة المصالح التجاريـة والملاحية في نهري دجلة والفرات اقترح القنصل البريطاني العام في بغداد بلودن على السفير البريطاني في اسطنبول التدخل في الأمر. وقد أشار بلودن الى ان نفوذ المنتفق يمكن أن يكون أمراً ذا قيمة كبيرة جداً للمصالح البريطانية وأضاف بأن صداقتهم أمر يـستحق بـذل الجهـد لضمانه[٥٢]. وكان من ضمن ما اقترحه بلودن اعادة ولاية البصرة التي ألغيـت سـنة ١٨٨٠ واسناد ولايتها الى ناصر باشا السعدون، الذي وصفه بأنه صديق للمصالح البريطانية وكـان هذا التقييم من جانب القنصل البريطاني لموقف ناصر باشا من المصالح البريطانيـة، يـستند بطبيعة الحال، الى شواهد سابقة. ففي سبيل المثال عندما تعرضت الباخرة البريطانية (كشمير) في صيف سنة ١٨٧٢ بعدما غادرت البصرة متجهة الى بغداد، لهجوم قامت بـه مجموعـة مختلطة، منهم أفراد من عشائر المنتفق، حيث قتلوا عدداً من بحارتها واستولوا علـى مبـالغ كبيرة من النقود، قام ناصر باشا السعدون بالتعاون مع شيخ المحمرة والقنصل البريطاني العام بالقبض على عدد من المهاجمين الذين أُحيلوا الى المحكمة التركية في البصرة والتي أصدرت أحكاماً بالاعدام على عدد منهم. وقد ثمن البريطانيون دور ناصر باشا في تلك القضية وقـام نائب القنصل البريطاني في البصرة بتسليمه هدية (عبارة عن خيمة بعمـودين) نيابـة عـن حكومة الهند البريطانية[٥٣]. وفي مثال آخر اقترح نائب القنصل البريطاني العام فـي بغـداد رامزي في ٢٥ آب ١٩٠٦ اجراء اتصالات مع العشائر القاطنة بين البصرة وبغداد لاقناعهـا بأهمية مشروع سكة الحديد، كما كان مؤمناً بضرورة التعامل معها كقوة سياسية فعالة[٥٤].

---

[٤٩]Lorimer, Op. Cit, p. 1390.

[٥٠]Lorimer, Op. Cit, p. 1401.

[٥١] نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ١٨٢.

[٥٢]Lorimer, Op. Cit, p. 1549.

[٥٣] محمود ، المصدر السابق ، ص ٤٧. القهواتي ، دور البصرة التجاري ، ص ص ١٨٢ ـ ١٨٤.

[٥٤] محمود ، المصدر السابق ، ص ١٢٥.

وهناك رأي مفاده ان حملة مدحت باشا ضد الاحساء سنة ١٨٧١ والتي شاركت فيهـا أعداد كبيرة من أفراد عشيرة الخزاعل والمنتفق وعنـزة، نبهت حكومة الهند البريطانية الـى خطورة تعاون العشائر العربية مع الدولة العثمانية، فبادرت منذ ذلك الحين وبكل خبرتها على خلق الظروف المناسبة لإضعاف ولاء تلك العشائر للدولة العثمانية وخلـق النفـرة بينهمـا، وأوعزت الى ممثلها في البصرة روبرتسون لتعزيز علاقته مع شيخ الكويت وشيوخ المنتفـق وشيوخ الزبير ووجهاء مدينة البصرة، وهذا ما حصل في الحقبة اللاحقة فعلاً[٥٥]. وقد مارس بعض من تولوا مهام التمثيل الدبلوماسي البريطاني في البصرة نفوذاً كبيـراً وخطيـراً بـين العشائر العربية في المنطقة حتى لُقّب أحدهم وهو كارتر بالشيخ الأبيض[٥٦].

وانسجاماً مع الرأي السابق ، فان المؤرخين السوفيت يؤكدون اعتماداً على محتويـات آرشيف السياسة الخارجية لروسيا القيصرية، بأن النشاط السياسي البريطـاني، مـن خـلال القناصل في بغداد والبصرة كان وراء العديد من الاضطرابات الموجهة ضد السلطة العثمانية في المناطق العشائرية[٥٧]. ومما له دلالته ان العديد من تلك الاضطرابات كان يتـزامن مـع الخلافات التي كانت تنشأ بين السلطات العثمانية والبريطانية[٥٨].

ومثلما أدرك الدبلوماسيون البريطانيون في العراق أهمية إقامة الـصلات مـع القبائـل والعشائر العربية وتوثيقها، فان العديد من الزعامات القبلية والعشائرية في العـراق، والتـي كانت علاقاتها سيئة مع السلطات العثمانية بصورة عامة، أدركت بـدورها أهميـة الاتـصال بأولئك الدبلوماسيين بعد ان أدركت ما لهم من باع في تعيين وعزل الولاة من خلال الكتابـة الى اسطنبول[٥٩]. ولا يحتاج أي باحث لتاريخ العراق في القرن التاسع عشر الى جهد كبيـر

---

[٥٥] القهواتي ، المصدر السابق ، ص ١١٢.

[٥٦] المصدر نفسه ، ص ٢٢٠.

[٥٧] بونداريفسكي ، التوغل البريطاني في جنوب وادي الرافدين ، ص ص ٥٠ _ ٥١. منتشاشفلي ، المصدر السابق، ص ١٠٦.

[٥٨] منها في سبيل المثال ، المصادمات بين القبائل العربية في المناطق العثمانية والفارسية على ضفتي شـط العرب سنة ١٨٩٦، بتدبير من الإنكليز اثر رفض العثمانيين فتح قنصلية بريطانية في الفاو. وقـد أكـد ولاة بغداد والبصرة = = في تصريحاتهم ان الوكلاء والعملاء الإنكليز في المدة ١٨٩٨ _ ١٨٩٩ أثاروا الخلافات التركية الفارسية وشجعوا حركة المقاومة للسلطة العثمانية في صفوف القبائل العربية. كما وجه الاتهـام فـي مناسبة أخرى الى القنصل البريطاني في البصرة بتدبير اضطرابات في منطقـة قبائـل المنتفـق، أنظـر: بونداريفسكي، المصدر السابق، ص ص ٤٤_٤٥ ٥٠_٥١. وفي مثال آخر يؤكد أحـد البـاحثين ان ثـورة عشائر ألبو محمد كانت تأتي دائماً مؤقتة مع ضغط السلطات العثمانية على شركة لينچ. أنظـر: القهـواتي، المصدر السابق، ص ١٤٢.

[٥٩] عبدالفتاح ابراهيم ، على طريق الهند (بغداد ، ١٩٣٥) ، ص ٣٩.

لإيراد أمثلة عديدة على محاولة تلك الزعامات القبلية والعشائرية الإستعانة بأولئك الدبلوماسيين في أكثر من مناسبة للتوسط بينهم وبين السلطات العثمانية لحل بعض الخلافات الناشئة معها أو ضمان الحصول على التزام الضرائب من ديارهم. فعندما قاد علي رضا باشا اللاز حملة عسكرية ضد المحمرة سنة ١٨٣٧ اعترضت عشائر جنوب العراق الكبرى على مرور القوات العثمانية عبر ديارها. ولقد اتصلت عشائر كعب والمنتفق بالقنصل البريطاني في بغداد تايلر فعلاً ووسطته لدى علي رضا باشا اللاز لاقناع الأخير بالعدول عن ارسال الحملة مقابل أن يدفعا لخزينة بغداد ما قيمته ٣٠٠,٠٠٠ قرش[٦٠]. ولكن علي رضا باشا اللاز أصر على أن يذهب على رأس الحملة لأن المسألة لم تكن متعلقة بخزينة بغداد، وإنما بمستقبل الحكم العثماني المباشر في جنوب العراق والبصرة[٦١].

وعندما تدهورت العلاقة بين والي بغداد نجيب باشا وبين الشيخ صفوق شيخ شمر الجربا وقام الأول بتأييد مطالب آخر بمشيخة شمر الجربا، بادر الشيخ صفوق الى قتل منافسه وسعى في الوقت نفسه لدى القنصل البريطاني في بغداد تايلر أواخر سنة ١٨٤٣ ليتوسط له عند نجيب باشا[٦٢].

وفي أواسط ستينيات القرن التاسع عشر طلب شيوخ المنتفق والخزاعل، الذين ثاروا ضد السلطة العثمانية، من القنصل البريطاني العام في بغداد كمبال أن يكون واسطة بينهم وبين والي بغداد نامق باشا. وطلب شيخ المنتفق منصور وشيخ الخزاعل مطلق آل كريدي من كمبال أن يضمن سلامتهما لما اتفق على أن يذهبا لمقابلة نامق باشا لتسوية الخلافات مع السلطة العثمانية[٦٣]. وفي سنة ١٨٧٧ طلب شيخ آخر متمرد على السلطة العثمانية من شيوخ شمر يدعى سمير من القنصل البريطاني العام في بغداد نيكسون بذل مساعيه الحميدة والتوسط بينه وبين السلطة العثمانية وكانت السلطات العثمانية قد اتهمته بقتل بعض جنودها ابان ولاية مدحت باشا[٦٤]. وثمة اشارات أخرى الى تدخل الدبلوماسيين بين العشائر والسلطة العثمانية في العراق في مسألة الضرائب والالتزام. ففي سنة ١٩٠٥ امتنعت عشائر الهندية عن اداء الضراء الحكومية واستخدمت السلطات العثمانية القوة العسكرية ضدها، ونتيجة تدخل نائب

---

[٦٠] عملة فضية عثمانية.

[٦١] نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ٧٦.

Al-Bustani, Op. Cit, p. 260.

[٦٢] نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ٧٦.

[٦٣] المصدر نفسه ، ص ص ١٨٢ - ١٨٣.

Lorimer, Op. Cit, pp. 1428-1435.

[٦٤] Ibid, p. 1548, Blunt, Op. Cit, Vol, I, pp. 273-274.

القنصل البريطاني في كربلاء تم التوصل الى اتفاق بين الطرفين كان مـن ضـمن شـروطه اجراء تخفيض في نسبة الضرائب[٦٥]. وفي مثال آخر كتب السفير العثماني في لنـدن حقـي باشا مذكرة الى وزارة الخارجية العثمانية في ٤ نيسان ١٩١٣، أشار فيها الى اجتمـاع عقـد بينه وبين مسؤول في وزارة الخارجية البريطانية هو لويس ماليت (L. Mallet) ، وبأنه فهـم من الأخير ان معلومات وردت من القنصل البريطاني العام في بغداد مفادها ان بعض ملتزمي الضرائب والرسوم في بغداد قد اتصلوا به (أي بالقنصل العام) طالبين منه التـدخل لـضمان رسو مزايدة التزام الضرائب هناك بعهدتهم. وأشار حقي باشا الى انه أبلغ المسؤول في وزارة الخارجية البريطانية برفضه مثل هذا الأمر وعده تدخلاً في الشؤون الداخلية العثمانيـة. وقـد بعثت الحكومة العثمانية مذكرة جوابية الى سفيرها في لندن بتاريخ ١٧ نيسان ١٩١٣، أشارت فيها ان القنصل البريطاني العام في بغداد، وهو يومئذ لوريمر يحاول دق اسفين بين الـسلطة العثمانية والعشائر العراقية. ومضت المذكرة الى القول بأن القنصل البريطاني العام، الذي كان عائداً من زيارة للهند، قد توجه من البصرة الى بغداد عن طريق دجلة بواسطة الباخرة الهندية للقنصلية البريطانية العامة في بغداد، وبأنه توقف في العمارة، حيث التقى برؤسـاء العـشائر ليستطلع الأخبار منهم، وبأنه استغل بعض أجوبة الملتزمين عن أسئلته ليظهر الأمـر وكأنـه طلب مقدم منهم اليه للتدخل. ونفت المذكرة صحة ما يدعيه القنصل البريطاني، لأنه "ليس بين أهل العراق من يتصل بالقنصلية مباشرة للتوسط، لأن أهل العراق معروفين بـصلابة ديـنهم وان رابطتهم بالحكومة العثمانية قوية". على حد ما ورد في مذكرة الخارجيـة العثمانيـة[٦٦]. وعلى أية حال فان المعلومات المتوفرة لا تؤيد ما ذهبت اليه هذه المذكرة، بل تؤكـد وجـود اتصالات سرية من هذا القبيل بين الشيخ غضبان البنية، شيخ مشايخ بني لام وأخيه الشيخ فالح وبين الدبلوماسيين البريطانيين في بغداد والبصرة أكثر من مـرة فـي آذار وايـار وتمـوز ١٩١٣[٦٧].

ومنذ أواخر القرن التاسع عشر برز تطور آخر في العلاقات بـين بعـض الزعامـات القبلية والعشائرية وبين الدبلوماسيين البريطانيين فـي العـراق تمثّـل فـي طلـب الحمايـة

---

(٦٥) محمود ، المصدر السابق ، ص ١٢٢.

(٦٦)Bayur, Op. Cit. pp. 370-372.

(٦٧)I.O.R. L/P & S/10/212 Summary of events in Turkish-Iraq for the Month of May, 1913, p. 6, and for the Month of July 1913, p. 6, Atiyyah, Op. Cit, pp. 40-41.

البريطانية[٦٨]. ومع ان لونكريك يربط ذلك بادراك أولئك الشيوخ وغيرهم لمـستقبل النفـوذ البريطاني في العراق[٦٩]. إلا اننا نعتقد ان ذلك كان وثيق الصلة بمعاهدات (الحمايـة) التـي عقدتها بريطانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مـع مـشايخ الـساحل القطـري والبحرين والكويت، والدعم القوي الذي قدمته لشيوخ الكويت والمحمرة على نحـو خـاص. وفضلاً عن ذلك، فقد كان وراء هذا التطور أيضاً استمرار تـوتر وتـدهور علاقـة بعـض الزعامات القبلية والعشائرية في العراق بالسلطات العثمانية. وقد حاولت تلـك الزعامـات أن تستخدم البريطانيين ضد الأتراك لمصلحتها الخاصة. فقد أدركت تلك الزعامات ان لبريطانيـا مصالح مهمة في المنطقة وبأن بريطانيا التي دعمت شيوخ الكويت والمحمرة سوف تـدعمهم ضد السلطات العثمانية. والأكثر من هذا، فان مخاوف المسؤولين العثمانيين من عواقب تغلغل النفوذ البريطاني في المناطق العشائرية جعلت الشيوخ يبتـزون الأتراك[٧٠]. ويؤيد ذلك حقيقة ان تلك الزعامات العشائرية وقفت، بصورة عامة الى جانـب الأتـراك واسـتجابت لـدعوة (الجهاد) عندما بدأ الاحتلال البريطاني للعراق منذ أواخر سنة ١٩١٤[٧١].

لقد قُدمت طلبات الحماية الى الدبلوماسيين البريطانيين في العراق في أكثر من مناسـبة ابان السنوات: ١٨٩٩، ١٩٠٢، ١٩١١، ١٩١٣، من قبل بعض شـيوخ المنتفـق وبنـي لام وغيرهم عندما كانت علاقاتهم سيئة مع السلطات العثمانية[٧٢]. وعلى أية حـال، فـان تلـك الدعوات لم تجد استجابة من لدن الدبلوماسيين البريطانيين في العراق والذين كانوا يـصرفون

---

(٦٨) يذكر جزني ان بعض العشائر العربية في العراق طلبت الحماية منذ منتصف ثلاثينيات القـرن التاسـع عشر، إلا اننا نستبعد ذلك، إذ ان مسألة طلب (الحماية) البريطانية لم يتضح إلا بعد عقـد معاهـدات حمايـة بريطانية مع مشايخ الخليج العربي:

F.R. Chesney, Expedition for the survey of the rivers Euphrats and Tigris (London-1850), Vol, 2, pp. 600-603.

(٦٩) يقول لونكريك في كتابه أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ص ٢٨٥: "ولم تفتأ بعض اسـتنجادات القبائل بالحماية البريطانية تزعج الباشا (والي بغداد) أشد الازعاج. ولم يكن يغيب عن بال الجميع في العراق من الشيوخ = = والأفندية وقسم من الموظفين البريطانيين ان مستقبل بريطانيا العظمى في العراق سائر الـى الأهمية لا محالة وربما ليصبح شيئاً أعظم".

(٧٠) Atiyyah, Op. Cit, p. 40.

(٧١) لعل أبرز مثال على ذلك هو وقوف عشائر المنتفق ضد الإنكليز سنة ١٩١٤ تلبية لدعوة الجهاد، بـرغم الصلات السابقة بين عدد من شيوخها والدبلوماسيين البريطانيين في العراق. أنظـر: عبـدالجليل الطـاهر، العشائر العراقية (بغداد، ١٩٧٢)، جـ ١، ص ٨٤.

(٧٢) محمود ، المصدر السابق ، ص ص ٧٤ ـ ٧٥ ، ١٨٤. وكذلك :

Lorimer, Op. Cit, p. 1551, Atiyyah, Op. Cit, p. 41.

أولئك الشيوخ بالتي هي أحسن[٧٣]. ويعزى ذلك الى عدم رغبة الحكومة البريطانية في اضافة عامل توتر الى العلاقات مع الدولة العثمانية كما يبدو. ومن جهة أخرى فان تلـك الحكومـة كانت تفضل التعامل مع السلطة العثمانية بدلاً من الزعماء المحليين[٧٤]، علمـاً بـأن بعـض المسؤولين البريطانيين في وزارة الحربية ووزارة الخارجية والسفارة البريطانية في اسطنبول قد أكدوا على الأهمية المستقبلية لكسب تلك الزعامات المحلية وصداقتها وما يمكن أن يترتـب من آثار سلبية على اهمالها[٧٥].

يبدو لنا مما سبق ان علاقات العشائر بالدبلوماسيين البريطانيين تركـزت فـي ولايـة البصرة[٧٦]. وان العلاقات كانت أضعف في مناطق أخرى[٧٧]. ويعلل ذلك أحد البـاحثين[٧٨]، بأن فرص الاتصال بين الزعماء العشائريين والدبلوماسيين البريطانيين في البـصرة كانـت أفضل من المناطق الأخرى لثلاثة أسباب هي :

١) قُرب البصرة من المناطق التي تزرعها العشائر.

٢) ان البريطانيين تمتعوا بنفوذ كبير في البصرة أكثر من أية مدينة عراقية أخرى، وكان بامكانهم أن يتصلوا من خلال شيوخ المحمرة والكويت بزعماء قبائل بني لام وألبـو محمد والمنتفق وغيرها.

---

[٧٣] انستاس ماري الكرملي ، خلاصة تاريخ العراق منذ نشوئه الى يومنا هـذا ، (البـصرة ، ١٩١٩) ، ص ٢٠٩.

[٧٤] Cohen, Op. Cit, p. 266.

[٧٥] Ibid, pp. 267, 269.

[٧٦] كانت الوية (سناجق) المنتفق (الناصرية والعمارة مع ما يتبعها من أقضية ونواحي يقعان ضـمن ولايـة البصرة) في أواخر العهد العثماني. اداموف، المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٨.

[٧٧] تجدر الإشارة هنا الى رواية مفادها ان رجلين أحدهما إنكليزي والآخر هندي زارا شيخ شـمر الجربـا فرحان باشا (توفي سنة ١٨٩١)، وبعد ان قام بواجب الضيافة تجاههما لعدة أيام سألاه أن يعدهما بأن يـصبح صديقاً لبريطانيا ومخلصاً لها، إلا انه رفض ذلك معللًا ذلك بكونه رجل بـدوي لا يـستطيع أن يتفـق مـع الإنكليز، لا بالفكرة ولا بالعادات. جريدة الاتحاد، العدد ١١٣ في ٦ آذار ١٩٨٩.

ويرى غسان عطية ان علاقات عشائر الفرات الأوسط أيضاً كانت ضعيفة مع الإنكليز. ويعلل ذلك بأن شيوخ المناطق كانوا يزورون النجف والحلة أكثر من بغداد، وان نشاطاتهم التجارية كانت تتم مـن خـلال تجـار محليين، = = لاسيما من اليهود. وان بعد مناطقهم نسبياً جعلهم لا يتوقعون دعماً مادياً من الإنكليز. ويـضيف ان شيوخ تلك المنطقة كانوا يتجنبون الدبلوماسيين البريطانيين، وخاصة عندما تـسوء العلاقـات البريطانيـة العثمانية.

Atiyyah, Op. Cit, p. 4.

[٧٨] Ibid, pp. 41-42.

٣) ان الأنشطة التجارية البريطانية ، ولا سيما الملاحة في نهر دجلة جعلتهم على اتصال مباشر مع عشائر المنطقة.

٣ ـ العلاقات مع الأكراد :

عندما أعاد العثمانيون حكمهم المباشر على بغداد سنة ١٨٣١ والموصل سـنة ١٨٣٤، فان ذلك كان مقدمة لإعادة الحكم العثماني المباشر على العراق كله من أقصى شـماله الـى جنوبه. وكانت القوى المحلية في كردستان العراق ممثلة في ثلاث إمارات، هي: السورانية في راوندوز، والبابانية في السليمانية، والبهدينانية في العمادية، وفـي العديـد مـن الزعامـات العشائرية الكردية. وقد سبق الإشارة الى قضاء العثمانيين على الإمـارات الـثلاث وبـسط سيطرتهم مجدداً على المنطقة، وإن استمروا في مواجهة الصعاب في ممارسة سيطرة فعالـة على العديد من عشائر المنطقة، سيما وان المنطقة كانت مجاورة لبلاد فـارس، حيـث كـان بامكان العشائر التي تثور ضد العثمانيين اللجوء اليها إذا دعت الضرورة.

ولقد شهد القرن التاسع عشر أيضاً تنافساً من أجل النفوذ بين الكرد من لدن كـل مـن بريطانيا وروسيا القيصرية على نحوٍ خاص. وقد بدأت الأوساط الحاكمة البريطانية منذ الثلث الأول من ذلك القرن تولي اهتماماً كبيراً لكردستان التي تحتل موقعـاً ذا أهميـة اسـتراتيجية استثنائية على تقاطع حدود تركيا وبلاد فارس وروسيا القيصرية(٧٩). وكان من مظاهر ذلـك الاهتمام الجولات العديدة التي قام بها دبلوماسيون وضباط ورحالة بريطانيون فـي ربوعهـا للدعاية لبريطانيا من جهة وجمع المعلومات عن المنطقة من جهة أخرى(٨٠). وقد تمكن هؤلاء من مسح المنطقة بشكل كامل تقريباً وجمع معلومات وافية عن مـسالكها ومـدنها وسـكانها ومواردها(٨١). وكان من قام بتلك الجولات اثنين من أبـرز الدبلوماسـيين البريطـانيين فـي العراق، وهما ريج ورولنصون، وقد سبقت الإشارة الى ذلك.

وكان من البديهي ، في سياق ذلك الاهتمام البريطاني بالمنطقة ، ان يوليها الدبلوماسيون البريطانيون في العراق اهتمامهم ويسعوا الى تقوية النفوذ البريطاني فيها مـن خـلال اقامـة علاقات مع القوى المتنفذة فيها. وكان المقيم البريطاني في بغداد ريج أول دبلوماسي بريطاني في العراق يبدي اهتماماً خاصاً بالمنطقة. فقد قام ابان السنوات ١٨٢٠ ـ ١٨٢١ بجولة فـي

---

(٧٩) ن. أ. خالفين ، الصراع على كردستان (بغداد ، ١٩٦٩ ، ترجمة أحمد عثمان أبو بكر) ، ص ٢٧.

(٨٠) Suleyman Kocabas; Turkiye re Ingiltere (Istanbul-1985), p. 210.

(٨١) بخصوص أهم تلك الجولات ودوافعها والمناطق التي شملتها، ينظر: خالفين ، المصدر السابق ، ص ص ٢٨ ـ ٣٠. وكذلك:

C.J. Edmonds, Kurds, Turks and Arabs (London-1957), pp. 22-26.

ربوع السليمانية بدعوة من حاكم السليمانية محمود باشا البابانى. وكان من نتائج تلك الجولـة اقامة صلة عن كثب مع بعض الزعماء الكرد، ولاسيما في منطقة السليمانية[٨٢].

أما روبرت تايلر الذي خاف ريج في منصبه ، فقد سعى الى إقامة علاقات مـع أميـر سوران محمد باشا الملقب بـ (ميركور) في سنة ١٨٣٣ مستغلاً الدعوة التـي تـسلمها مـن الأمير المذكور بخصوص ارسال طبيب المقيمية البريطانية الى راوندوز لمعالجة والده المير مصطفى، وقد استجاب تايلر للطلب وبعث الدكتور روس طبيب المقيمية الى راوندوز[٨٣]. بيد اننا لا نمتلك معلومات عن علاقة أخرى بين تايلر و(ميركور)، سيما وان الأخير لم يستمر في إمارته طويلاً، إذ استسلم للقوات العثمانية المهاجمة سنة ١٨٣٦.

وبعد سقوط الإمارة السورانية عين والي بغداد علي رضا باشا اللاز كتخداه، أي نائبـه حاكماً على راوندوز لعله يستطيع فرض الحكم العثماني المباشر فيها، وكان فرض هذا النوع من الحكم يحتاج الى اخضاع كامل للعصبيات المحلية والى ادخال الـنظم الإداريـة الكفيلـة بتثبيت هذا الحكم. ولم يكن هذا متوفراً لعلي رضا باشا اللاز وكتخداه في ذلك الوقـت، ولـذا أسند والي بغداد حكم راوندوز الى رسول بك أخ ميركور. وعندما حاول رسول بك أن يستعيد ما كان لأخيه من استقلال ذاتي تصدى له والي بغداد نجيب باشا بقوة واضطر رسول بك الى الفرار الى بلاد فارس سنة ١٨٤٦، ومن هناك أخذ يثير المشاكل في وجه حكام راوندوز مـن قبل نجيب باشا. ولكن دون أن يصل الى نتيجة. وعندما دب اليأس في نفس رسول بك عمـد الى التفاهم مع نجيب باشا على أساس أن يعيش في بغداد، وعفا ا عما سلف. وقد تـم ذلـك التفاهم في أيلول سنة ١٨٤٦ بو اسطة القنصل البريطاني العام في بغداد هنري رولنصون[٨٤].

وكان رولنصون من بين الدبلوماسيين البريطـانيين الـذين أبـدوا اهتمامـاً واضـحاً بكردستان، وقام بأكثر من جولة فيها ابان العقدين الرابع والخامس من القرن التاسع عشر، كما سبقت الإشارة. ومثل سلفه ريج أظهر رولنصون تعاطفاً كبيراً مع أحد أمراء بابان، وهو أحمد الذي تولى حكم الإمارة البابانية سنة ١٨٣٨. وكان أحمد قد واجه منافسين له على الإمـارة، هما عمه محمود وابن عمه علي ابن محمود الذي قدم الفرس دعماً عسكرياً له لتسهيل وصوله الى حكم الامارة البابانية في السليمانية، ووضعها تحت السيادة الفارسية. ورداً على ذلك شـن أحمد عمليات عسكرية ضد مراكز تجمع قوات علي عبر الحدود الفارسية، وذلك فـي وقـت

---

[٨٢] يمكن مراجعة تفاصيل جولته :

Rich, Op. Cit, 2, Vols.

[٨٣] فريزر ، المصدر السابق ، ص ١٤.

[٨٤] نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ١٠٩.

كانت الظروف الدولية، تستدعي توطيد الأمن والاستقرار على طـول الحـدود الفارسـية ـ العثمانية حتى تتمكن لجنة الحدود الرباعية[٨٥] من وضع خط للحدود تعترف به الدولتان، ولما كان معظم نشاط أحمد بابان العسكري عبر الحدود الفارسية دون علم السلطات العثمانية، فقـد قرر والي بغداد نجيب باشا عزله لأجل تهدئة الأمور على الحدود وتمهيـداً لالغـاء الحكـم البابانى وحكم السليمانية حكماً مباشراً، وقد صدر قرار عزله فعلاً في آذار ١٨٤٢ بحجة انـه تعدى على أرض خارج نطاق حكمه. وقد أرسل نجيب باشا جيشاً بقيادة عبدا ـ وهو أخـو أحمد ـ لطرده من السليمانية. وقد لجأ أحمد الى بلاد فارس محاولاً الحصول علـى دعمهـا لاسترداد حكمه في السليمانية، إلا ان مساعيه أخفقت. وكانت الـسياسة البريطانيـة يومـذاك تهدف الى استتباب الأمن على الحدود بين الدولتين العثمانية والفارسية. أما الدولة العثمانيـة، فقد نظرت الى محاو لة أحمد بابان بالقيام بهجوم مفاجئ على كردستان بأنه غـزو فارسـي للأراضي العثمانية. وفي غضون هذه الأحداث كان القنصل البريطـاني العـام فـي بغـداد رولنصون يميل الى أحمد بابان ويدعو حكومته الى الأخذ بيده واعادته الى حكم الـسليمانية. وكان رولنصون ميالاً الى أن تكون كردستان بعيدة عن أيدي العثمانيين بشكل ما من خـلال تثبيت الأسرة البابانية في الحكم وتقويتها حتى تستطيع أن تحافظ على نفـسها بـين الـدولتين العثمانية والفارسية. وقد قام أحمد بابان بمحاولات مستميتة لانتزاع الحكم من أخيه في سـنتي ١٨٤٥ ـ ١٨٤٦، ولكن دون جدوى. وكان رولنصون يعطف عليه في هذه المحاولـة، وكـان يقول ان أحمد لو نجح في أحد محاولاته في استرداد السليمانية فستنشب ثورة كرديـة عامـة تنتهي باستقلال كردستان عن الدولة. ونظراً لميل رولنصون الى أحمد بابان، فانه كان يكتـب التقارير بما يخفف من وقع أعماله لدى الحكومة البريطانية، التي تعاملت مع حوادث مماثلـة على انها عدوان خطير على الحدود. وقد ظل موقف رولنصون مؤيداً لأحمد بابان وكان يرى في عودته الى الحكم خدمة للمصالح البريطانية وخاصة خلال حرب القرم[٨٦]. لكن مساعيه لم تثمر لأن السياسة البريطانية كانت مع الحفاظ على الاستقرار علـى الحـدود بـين الـدولتين العثمانية والفارسية، كما ان سياسة العثمانيين في إعادة حكمهم المباشر الى ربـوع العـراق كانت سياسة لا رجعة عنها.

وخلافاً لموقف رولنصون من أحمد بابان ، فان القنصلية البريطانية في الموصل وقفت موقفاً مناوئاً من الحركة الكردية المسلحة التي قادها يزدان شير سنة ١٨٥٥، أي ابان حـرب القرم. وكانت تلك الحركة قد اندلعت في حكاري وبوتان ونجح القائمون بها في السيطرة على

---

(٨٥) ضمنت اللجنة ممثلين عن الدولة العثمانية وبلاد فارس وبريطانيا وروسيا القيصرية.

(٨٦) نوار ، تاريخ العراق ، ص ص ١١٥ ـ ١١٩.

مناطق واسعة بين وان وبغداد. ولا شك ان اتصالات زعماء تلك الحركة بروسيا القيـصرية كانت من العوامل المهمة وراء هذا الموقف البريطاني منها. وقد انتهت الحركـة باستـسلام يزدان شير الى العثمانيين وارساله الى اسطنبول اثر وعد كاذب منحـه لـه نمـرود رسـام جاسوس القنصلية البريطانية[٨٧].

ليست لدينا معلومات كثيرة عن موقف الدبلوماسيين البريطانيين في العراق أو علاقاتهم مع الأكراد بعد ما سبق باستثناء حالتين - الحالة الأولى، الموقـف الـذي اتخـذه القنـصل البريطاني في بغداد هربرت في سنة ١٨٧١ عندما طلب من الوزير البريطاني المفوض فـي طهران اليسون (Alison) استخدام نفوذه لدى السلطات الفارسية بتسليم مجموعة مـن أفـراد عشيرة هماوند[٨٨] الكردية، سبق وان لجأت الى بلاد فارس، الى السلطات العثمانيـة. إلا ان اليسون رأى انه من غير اللائق التدخل في هذه المسألة، لأن المحادثات كانت جاريـة بـين الدولة العثمانية وبلاد فارس لحل خلافاتهما الحدودية[٨٩].

أما الحالة الأخرى ، فهي الجولة التي قام بها القنصل البريطاني في الموصـل ولكـي (Welky) في أنحاء كردستان سنة ١٩٠٩، فقد توجه من كركوك الى السليمانية عبر جم جمال ومنها الى أطراف بانه وسردشت، ثم عاد من هناك الى منطقة بهدينان ثم الموصل. وخلافـاً للأصول المتبعة فان (ولكي) لم يقدم معلومات مسبقة الى السلطات العثمانية المعنية في العراق بخصوص تلك الجولة. وقد اتهمته السلطات العثمانية في العراق باجراء اتصالات مع عشيرة

---

[٨٧] ف. ف. مينورسكي ، الأكراد ، ملاحظات وانطباعات (بغداد ، ١٩٦٨ ، ترجمة معروف خزندار)، ص ص ٢٦ - ٢٧. عبدالرحمن قاسملو، كردستان والأكراد (د. م، ١٩٦٨، ترجمة ثابت منصور)، ص ٣٣. عبد ربه = = سكران الوائلي، أكراد العراق ١٨٥١ - ١٩١٤، دراسة فـي التـاريخ الاقتـصادي والاجتمـاعي والسياسي (رسالة دكتور اه غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٧)، ص ص ٢٦١ - ٢٦٢.
أما نيكتين، فيذكر بأن استسلام يزدان شير جاء على اثر ذكر رسام عن قوة الأتراك الكبيرة فـي الموصـل، فأخذ ذلك القول محمل الجد وسلّم نفسه، باسيل نيكيتين، الأكراد (بيروت، د. ت)، ص ١٩٦.

[٨٨] الهماوند من العشائر الكردية المعروفة وتضم عدداً من الفروع والأفخاذ ، أما مواطنها فهي جـم جمـال وبازيان، وكانوا يعدون من عشائر كردستان الصغيرة، إلا انهم كانوا يشكلون حتى سنة ١٩٢٥ أشهر عشيرة كردية محاربة. والواقع ان تاريخ هذه العشيرة حافل بالحروب والانتفاضات ضد الحكم العثماني. وقـد نفـت السلطات العثمانية مجموعة من أفرادها الى طرابلس الغرب (ليبيا) ومجموعة أخرى الى مدينة ادنـه، وقـد عادوا جميعاً الى بازيان في نهاية القرن التاسع عشر. لمزيد من التفاصيل راجع: فؤاد حمه خورشيد، العشائر الكردية (بغداد، ١٩٧٩)، ص ص ٦٥ـ ٦٩.

[٨٩] Lorimer, Op. Cit, p. 1423.

الهماوند التي كانت في حالة تمرد ضد تلك السلطات[٩٠]. كما اتهمته باجراء اتـصالات مـع الشيخ عبدالسلام البارزاني الذي كان في حالة تمرد ضد السلطات العثمانيـة أيـضاً. وبعـد مراسلات عديدة جرت بين الـسلطات العثمانيـة والعـراق ونظـارات (وزارات) الداخليـة والخارجية العثمانية والسفارة البريطانية في اسطنبول أصدرت الحكومة البريطانية قراراً بنقل ولكي من منصبه في الموصل وتعيين كريك بدلاً منه في مطلع ١٩١٠[٩١].

٤ ـ العلاقات مع الأقليات الدينية :

أظهر الدبلوماسيون الأجانب في العراق ، ولا سيما البريطانيون والفرنسيون اهتماماً في الأقليات الدينية ، بل انهم فاقوا تطلعات حكوماتهم الاستعمارية في هذا الشأن[٩٢]. فقد جاء هذا الاهتمام في سياق السعي من أجل توطيد النفوذ الأجنبي في العراق في تلـك المـدة. ومـن المعروف أيضاً ان مسألة الأقلية الدينية كانت إحدى المسائل المهمة في العلاقات بين الدولـة العثمانية والقوى الأوربية الاستعمارية منذ القرن التاسع عشر. وكانت الأقليات الدينيـة فـي العراق تتمثل بالمسيحيين واليهود واليزيدية والصابئة. ان مسيحيي العراق وطنيون من سكانه القدامى، دانوا بالمسيحية بعد منتصف القرن الأول للميلاد وانتشرت كنائسهم في كل ناحية من العراق والجزيرة بين ديار بكر والموصل، وكان لهم في عهد الخلافة العباسية دور مهم فـي مختلف المجالات الحضارية. وبعد سقوط الخلافة العباسية سنة ١٢٥٨، غـادروا مراكـزهم المدنية ولجأوا الى أماكن أكثر أمناً وأوفر عزلة نتيجة لعدم الاستقرار السياسي والصراع على العراق من قبل القوى الأجنبية من مغول وتركمان وفرس يومئذ. فانتقل كرسي بطريركية بابل القديم من مركزه بغداد الى أربيل، وكرمليس (قرب الموصل)، وجزيرة ابن عمر، والقـوش. وهكذا تحول مركز الثقل المسيحي من وسط العراق الى شماله ومن مدنه الرئيسة الى أريافـه وقراه. وكان الولاء الديني لمسيحيي العراق منقسماً بـين الكنيـستين الـشرقيتين القـديمتين: السريانية النسطورية والسريانية اليعقوبية (الآرثدوكسية)، بيد ان هذا الولاء أخذ بالاهتزاز منذ أوائل القرن السابع عشر عندما انطلقت الارساليات الفرنسية تحت رعايـة (مجمـع التبـشير

---

[٩٠] ثارت عشيرة الهماوند ضد العثمانيين اثر مقتل الشيخ سعيد البرزنجي (والد الشيخ محمود الحفيـد) فـي الموصل سنة ١٩٠٨. وكان الشيخ سعيد قد استمال الهماوند الى جانبه منذ سنة ١٨٨١. وقـد اسـتمر تمـرد الهماوند في السليمانية وأطرافها عدة أشهر قبل أن تنسحب الى بلاد فارس بعد ارسال قوات عثمانية ضـدها. وبعد سنتين من تلك الحوادث صدرت الأوامر السلطانية بالسماح لعشيرة الهماوند بالعودة الى ديارها.

أنظر : خورشيد ، المصدر السابق ، ص ص ١٠٢ ـ ١٠٥.

[٩١] راجع تفاصيل الجولة والمراسلات المتعلقة بها في :

Musul-kerkuk-Arsiv Belgeleri, pp. 313-317.

[٩٢] سهيل قاشا ، تاريخ ابرشية الموصل للسريان الكاثوليك ، (بغداد ، ١٩٨٥) ، ص ٢٤.

والإيمان) في روما الى العراق بهدف نشر المذهب الكاثوليكي فيـه[٩٣]. وقـد تمكنـت تلـك الارساليات من تكوين أول نواة كاثوليكية في مدينة الموصل من النساطرة الذين أطلق علـيهم فيما بعد تسمية (الكلدان). بيد ان نساطرة آخرين، ولاسيما في المناطق الجبلية النائية، ظلـوا على مذهبهم فأطلقت عليهم الارساليات الكاثوليكية تـسمية (الهراطقـة) تمييـزاً لهـم عـن (المهتدين)، أي النساطرة الذين اعتنقوا الكاثوليكية[٩٤]. أما اليعاقبة، فقد شرعوا في التقرب من الكنيسة الكاثوليكية حتى تم لهم اختيار بطريرك كاثوليكي من بين ظهرانيهم[٩٥].

بالرغم من تمركز المسيحيين في شمال العراق ، لا سيما في الموصل والنواحي والقرى القريبة منها، فان أعداداً غير قليلة منهم انتشرت في مدن العـراق وأطرافهـا، مثـل بغـداد وكركوك وأربيل والبصرة، بضمنهم عدد من الأرمن. وقد اختلفت التقـديرات بـشأن أعـداد المسيحيين في العراق ابان القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين[٩٦]، وكما ذكرنـا فـان اهتمام بريطانيا بمسيحيي العراق كان مبعثه تقوية النفوذ البريطاني في العراق فـي مواجهـة نفوذ الدول الأوربية الأخرى، ولاسيما فرنسا التي عززت نفوذها عـن طريـق الارسـاليات التبشيرية الكاثوليكية[٩٧]. ولقد قاومت بريطانيا في القرن التاسع عشر النفـوذ الفرنـسي فـي العراق، وبالتالي قاومت انتشار المذهب الكاثوليكي بالطرق الدبلوماسـية بواسـطة قناصـلها السياسيين أولاً. ولما كان هذا النوع من المقاومة غير مؤثر لجأت الى سلاح آخر هو محاربة

---

[٩٣] عماد عبدالسلام ، رؤوف العطار ، الحياة الاجتماعية في العراق ابان عهـد المماليـك ١٧٤٩ ـ ١٨٣١ (رسالة دكتوراه غير منشورة) ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٦، ص ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧. ولمزيد مـن التفاصيل = = عن الطوائف المسيحية في العراق والارساليات التبشيرية، راجع: الكسندر ادامـوف، ولايـة البصرة في ماضيها وحاضرها (البصرة، ١٩٨٢، ترجمة الدكتور هاشم التكريتي)، جـ ١، ص ص ١٩٠ ـ ٢٣٢.

[٩٤] سعد ابراهيم الأعظمي ، من أساليب التغلغل الأجنبي في العراق (بغداد ، ١٩٨٥) ، ص ص ٩٤ ـ ٩٦.

[٩٥] العطار ، المصدر السابق ، ص ٣٥٩.

[٩٦] بشأن تلك التقديرات راجع : العطار ، المصدر السابق ، ص ص ٣٧١ ـ ٣٧٤. في حين ان تقـديرات وزارة الخارجية البريطانية عن سكان العراق سنة ١٩١٨، ذكرت بأن عدد المسيحيين السريان ٦٠,٠٠٠ ألف وعدد الأرمن ٥٧,٠٠٠ ألف.

Foreign Office, Historical Section, Op. P. 8.

وتجدر الملاحظة ان أغلب الأرمن كانوا ممن لجأوا أو جلبتهم السلطات البريطانية الى العراق ابان الحـرب العالمية الأولى.

[٩٧] المصدر نفسه.

النفوذ التبشيري الفرنسي بنفوذ تبشيري بروتستانتي لغرض السيطرة علـى المـسيحيين فـي العراق[٩٨].

وكان المبشرون ، والى جانبهم القناصل والسلطات البريطانية عمومـاً فـي العـراق، يثيرون مخاوف الحكومة البريطانية لاحتمال سيطرة الفرنسيين على الشرق. وان على الإنكليز أن ينشطوا في سبيل عقد أواصر الصداقة مع مسيحيي العراق قبل ان يسبقهم الفرنسيون فـي هذا المضمار[٩٩]. وقد أشرنا في الفصل الأول من الرسالة الـى جهـود بعـض المبـشرين البروتستانت، ومنهم جروفز وصموئيل، وكذلك نشاط ارسالية أسقف كانتربيري بين النساطرة الجبليين في شمال العراق.

والواقع ان الدبلوماسيين البريطانيين في العراق ركزوا اهتمامهم منذ أربعينيات القـرن التاسع عشر على النساطرة الجبليين الذين لم يتحولوا الى المذهب الكاثوليكي، سيما وان الباب العالي لم يعترف بوضعها طائفة مستقلة (ملّة)، كما انهم لم يكونوا يتمتعون بالحماية الأجنبيـة التي كان يتمتع بها الكلدان من لدن السفير الفرنسي في اسطنبول والقناصل الفرنـسيين فـي بغداد والموصل[١٠٠]. وفي ضوء ذلك، فان الدبلوماسيين البريطانيين في الموصل وبغداد تبنوا قضية هؤلاء النساطرة ابان توتر العلاقة بينهم وبين بعض الزعماء الأكراد ١٨٤١ – ١٨٤٢، ثم المذابح التي تعرضوا لها سنة ١٨٤٣. فقد وقف نائب القنصل البريطاني في الموصل رسام الى جانبهم بقوة ونجح في اطلاق سراح الأسرى النساطرة وعددهم (٤٥) شخصاً جلبوا الـى القنصلية البريطانية في الموصل، حيث كان ينتظرهم أقاربهم[١٠١]. وقبل تلك المـذابح كـان بطريرك النساطرة قد سلّم رسالة الى مبشر بروتستانتي أمريكي كان يعمل في المنطقة وهـو غرانت (A. Grant) لايصالها الى القنصل البريطاني في بغداد. وقد طالـب البطريـرك فـي رسالته تلك تدخلاً أجنبياً لحماية النساطرة. وقد استلم غرانت بعد ذلك رسـالة جوابيـة مـن القنصل البريطاني في بغداد مؤرخة في ١٠ شباط ١٨٤٢ وعد فيها النساطرة ببذل كل ما في وسعه لمساعدتهم، ونصح النساطرة بتوجيه رسالة الى ملكة بريطانيا مـن خـلال القنـصلية البريطانية في بغداد ودون الاعلان عن ذلك[١٠٢]. وهذا ما قام به بطريرك النساطرة فيما بعـد فعلاً[١٠٣]. وقد واصل البريطانيون اهتمامهم بالنساطرة. فعندما هرب بطريرك النساطرة مـن

---

[٩٨] الأعظمي ، المصدر السابق ، ص ٨٨.

[٩٩] نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ٣٠٧.

[١٠٠] ادامون ، المصدر السابق ، ص ٢١٢.

[١٠١]Badger, Op. Cit, pp. 257-277.

[١٠٢]John Joseh, The Nestorions and Their Muslim Neighbors)Princetor-1961), p. 57.

ايشو مالك خليل جوارد ، الآشوريون في التاريخ(بيروت، ١٩٦٢، ترجمة سليم واكيم)، ص ١٦١.

الموصل الى أورمية سنة ١٨٤٧ ألحت عليه الحكومة البريطانية بالعودة الى الدولة العثمانية. كما سعت الحكومة البريطانية الى اقناع الحكومة العثمانية بمساعدة بطريرك النساطرة، وإلا فانهم سيبقون بلا قائد أو زعيم وسيضعون أنفسهم تحت حماية فرنسا ككاثوليك[١٠٤]. ووجهت وزارة الخارجية البريطانية رسالة الى السفير البريطاني في اسطنبول سنة ١٨٥٧ دعته فيها الى الاهتمام بالنساطرة. وتجدر الاشارة الى ان المراسلات المتعلقة بالنساطرة خلال السنوات ١٨٤٠ ـ ١٨٧٦ تملأ خمس ملفات ضخمة من وثائق الخارجية البريطانية[١٠٥].

وثمة عامل آخر وراء اهتمام بريطانيا بالنساطرة وهو الخوف من طلبهم المساعدة من روسيا القيصرية ووقوعهم تحت نفوذها، سيما وان المار شمعون بطريرك النساطرة كان قد بعث رسالة الى قيصر روسيا من خلال حاكم القفقاس في سنة ١٨٦٨ شرح فيها معاناة النساطرة من الأكراد والأتراك وطلب منه المساعدة[١٠٦].

وفيما عدا ما سبق ، فان الدبلوماسيين البريطانيين لعبوا دوراً في الوساطة بين الطوائف المسيحية من جهة، وبينهم وبين السلطات العثمانية في العراق، من جهة أخرى. فعندما نشأت خلافات المسيحيين في الموصل وأطرافها بخصوص تقسيم الكنائس وبساتين الزيتون وغيرها من الممتلكات الكنسية[١٠٧]، طلب السفير البريطاني في اسطنبول هنري لايارد من القنصل البريطاني العام، وكان يومئذ مايلز، التدخل في الموضوع، كما وقد قام مايلز بزيارة الى كركوك والموصل بين كانون الأول ١٨٧٩ ونيسان ١٨٨٠، وقد أمضى شهرين منها في الموصل في تنفيذ مهمته، وهي دراسة أسباب الخلافات ومحاولة التحكيم بين الطوائف المسيحية. وقد أجرى اتصالات لهذا الغرض مع والي الموصل والقنصل الفرنسي وزعماء الطوائف المسيحية وقبل مغادرته الموصل بحث تقريراً مفصلاً عن الموضوع الى السفارة البريطانية في اسطنبول[١٠٨].

---

[١٠٣]Joseph, Op. Cit, p. 96.

[١٠٤] ايشو مالك ، المصدر السابق ، ص ١٥٣.

Ibid, p. 5.

ومن الجدير بالذكر ان نساطرة الموصل كانوا من الكاثو ليك خلافاً لنساطرة الجبال الذين بقوا على مذهبهم وكانوا يتبعون زعيمهم المار شمعون في قوجانس.

[١٠٥]Ibid, p. 96.

[١٠٦]Ibid; p. 99.

ويمكن مراجعة نص الرسالة في : ايشو مالك ، المصدر السابق ، ص ص ١٥٥ ـ ١٥٦.

[١٠٧] ولمزيد من التفاصيل عن هذه الخلافات راجع : قاشا ، المصدر السابق ، ص ص ٦٦ ـ ٦٨.

[١٠٨]Miles, Op. Cit. p. 579.

وخلال السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى جـرت بعـض الاتـصالات بـين النساطرة والدبلوماسيين البريطانيين في العراق والتي كشفت عن موقـف مختلـف لأولئـك الدبلوماسيين من النساطرة، ففي نيسان وايار سنة ١٩١٠، قام القنصل البريطاني العـام فـي بغداد بزيارة الى الموصل، وقد بين في تقريره الشهري المرفوع الى حكومته قـائلاً: "خـلال اقامتي في الموصل أيضاً زارني وكلاء نساطرة ومعهم التماسين طلبوا فيها مني التوسط بـين النساطرة والسلطات التركية لازالة بعض الصعوبات والمشاكل بينهما. وبعد ان أبرقـت الـى السفير (البريطاني) في العاصمة بخصوص الأمر، أعدت الالتماسين بواسطة مترجم القنصلية في الموصل مع رسالة مفادها انني لا أستطيع اتخاذ أي خطوة في هذا الـسبيل. لا شـك ان عملي هذا أوضح للمعنيين بأن موقف الحكومة البريطانية هو الحياد التام وعدم التدخل"[١٠٩].

ولعل ما ورد في التقرير الذي بعثه نائب القنصل البريطاني في الموصل هوني (Hony) الى القنصل البريطاني العام في بغداد من ٢٨ آذار ١٩١٣ ما يفسر هذا الموقف المختلف. فقد ورد فيه: "... انهم (أي النساطرة) لا يريدون تعليماً، بل يريدون الحماية والمـال... ان مـار شمعون رئيس الطائفة يحاول أن يلعب بالروس وبالإنكليز ليحقق الفائدة من الطرفين". وفـي تعليقه على ما ورد في التقرير، كتب القنصل البريطاني العام في بغداد قائلاً: "ان هـذا يؤكـد الرأي الذي عبرت عنه بعد زيارتي الى الموصل في سنة ١٩١٠ بأن النساطرة هـم عمـلاء (Clients) غير مرغوب فيهم"[١١٠].

وخلافاً للمسيحيين الذين هم من سكان البلاد القدامى ، فان معظم يهود العراق هم مـن بقايا السبي أو الأسر البابلي (Babylonian Captivity)[١١١]. وكان يهود العراق منتشرين في أنحاء متفرقة من العراق، وتركز القسم الأكبر منهم في بغداد والبصرة والموصـل، فكـانوا يعيشون بشكل منعزل تماماً عن المسلمين والمسيحيين في أحياء مغلقة خاصة بهم (غيتو). وقد اعترفت الدولة العثمانية بوضع اليهود العثمانيين بوصفهم طائفة أو (ملّة) قائمة بذاتها يترأسها (حاخام باشي) ومساعدين له يمثلون صلة الوصل بين أبناء الطائفة والسلطات العثمانية. ولـم تكن الحقوق والامتيازات التي يتمتعون بها في الدولة العثمانية تقل عن تلـك التـي منحـت للمسيحيين. وبمقدار ما كان وضع المسيحيين يتحسن بسبب ضغط الدول الأوربية على الدولة

---

[١٠٩] I.O.R, L/P & S/10/188, Summary of event, in Turkish-Iraq, during April, May, 1910, pp. 2-3.

[١١٠] I.O.R, L/P & S/10/188, Summary of events in Turkish-Iraq, for the month of April, 1913, pp. 5-6.

[١١١] ادامو ف ، المصدر السابق ، ص ٢٣٤. خلدون ناجي معروف ، الأقلية اليهودية في العـراق (بغـداد، ١٩٧٥)، جـ ١، ص ٢١.

العثمانية، فان وضع اليهود يتحسن هو الآخر. فالبيانات الاصلاحية العثمانية، خـط شـريف كلخانه سنة ١٨٣٩، وخط همايون سنة ١٨٥٦، كانت تخص اليهود سـوية مـع المـسيحيين وتمنح هؤلاء وأولئك مشاركة أوسع في الادارة، وتحدد لدرجة معينة فقط سـلطة رؤسـائهم الدينيين[١١٢].

وتختلف التقديرات بشأن عدد يهود العراق في القرن التاسـع عـشر ومطلـع القـرن العشرين ، وتركز المصادر على أعدادهم في مدن العراق الرئيسة في المقام الأول[١١٣]. وقـد كان مركزهم الرئيسي في بغداد ثم البصرة وبقية مدن العراق.

ومثل أبناء جلدتهم في أوربا عمل يهود العراق بالتجارة والربا والسمسرة ووفقـاً لمـا ذكره القنصل الروسي في البصرة الكسندر اداموف، فقد "كان اليهود المحليون، قبل أن يفتـتح البنك العثماني فروعاً له في العراق الجنوبي يهيمنون على جميع الشؤون المـصرفية تقريبـاً بحيث نجد بينهم حتى الآن الى جانب الفقراء الشديدي الفقر مليونيريين حقيقيين مثل الاخـوان ساسون الذين أصلهم من بغداد، حيث أصبح واحداً من أبر أصحاب المصانع في بريطانيا في حين صار الآخر رئيساً لشركة هندية واسعة الثراء"[١١٤]، أما دورهم في النـشاط التجـاري، فكان واضحاً جداً، ولاسيما في التجارة الخارجية، فقد أشار تقرير للقنصل البريطاني العام في بغداد نيكسون مؤرخ في ١٢ حزيران ١٨٧٩ الى تمركز الكثير من عمليـات بيـع وشـراء البضائع الإنكليزية في بغداد في أيديهم. وأشار تقرير آخر في سنة ١٩١٠ الـى ان "اليهـود

---

[١١٢] اداموف ، المصدر السابق ، ص ص ٢٣٢ ـ ٢٣٤.

[١١٣] الواقع ان هناك تضارباً في المصادر بشأن عدد اليهود في العراق في القرن التاسع عشر ومطلع القـرن العشرين، فقد ذكر اداموف ان عددهم في مطلع القرن العشرين بلغ ٤٠,٠٠٠ نسمة في بغداد وما لا يقل عـن ٥,٠٠٠ نسمة في البصرة. أما لوريمر فقد ذكر ان عددهم في ولايتي بغداد والبصرة قبيل الحـرب العالميـة الأولى كان ٦١,٠٠٠ نسمة، منهم ٥٥,٠٠٠ نسمة في مدينة بغداد و٢,٠٠٠ نسمة في البصرة. فـي حـين ان خلدون ناجي معروف ذكر ان عدد اليهود في بغداد في مطلع القرن التاسع عشر بلغ ٢٥,٠٠٠ أسـرة، وفـي السليمانية بنحو = = ٣٠٠ أسرة، أي ما بين ١٥٠٠ و١٨٠٠ نسمة، وفي الموصل ١٠٠٠ نسمة. وقدر عددهم في الموصل وحدها في ثلاثينيات القرن التاسع عشر بـ ١,٥٠٠ نسمة. أما الرحالة بكنغهام ويوسف رزق ا غنيمة، فقد قدر عددهم في البصرة في النصف الأول من القرن التاسع عشر ما بين ٥٠ و١٠٠ بيتاً. في حين قدرت وزارة الخارجية البريطانية عدد يهود العراق بـ ٦٠,٠٠٠ نسمة في سنة ١٩١٨، منهم ٥٠,٠٠٠ نسمة في بغداد وحدها. راجع وقارن: اداموف ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢. يوسـف رزق ا غنيمـة ، نزهـة المشتاق في تاريخ يهود العراق (بغداد، ١٩٢٤)، ص ١٧٣. معروف، المصدر الـسابق، ص ٦١. العطـار، المصدر السابق، ص ٣٧٨.

Chesney, Op. Cit, Vol, 2, p. 673, Lorimer, Op. Cit, Vol. 2, p. 2381. Foreign Office, Mesopotamia, pp. 8, 11.

[١١٤] اداموف ، المصدر السابق ، ص ٢٣٤.

احتكروا التجارة المحلية بكل معنى الكلمة...". وقد كان تزايد الدور التجاري لليهود مترافقاً مع نمو المصالح البريطانية في العراق في القرن التاسع عشر[١١٥]. فاليهود الذين كانوا غير قادرين على المتاجرة لحسابهم بالبضائع البريطانية والهندية، نظراً لاحتكار شركة الهند الشرقية الإنكليزية، كثيراً ما عملوا وكلاء للتجار البريطانيين، وهكذا استفادوا من كل الامتيازات الناجمة عن الوضع الملازم للذين يتمتعون بالحماية البريطانية. ومنذ الغاء احتكار الشركة المذكورة في سنة ١٨١٣ هاجر العديد من اليهود الى الهند ثم عادوا الى العراق وكلاء لأبناء دينهم الذين بقوا هناك، ويبدو ان هؤلاء قد تمتعوا بالمنزلة نفسها[١١٦]. ومع بداية القرن الحالي صار لكل تاجر يهودي بغدادي مهم تقريباً بيوت تجارية خاصة به في الهند وانكلترا[١١٧].

ولم يقتصر دور اليهود على التجارة والشؤون المالية حسب ، بل كان منهم من يصل الى البرلمان العثماني (مجلس المبعوثان) ضمن النواب الممثلين لولاية بغداد، فقد انتخب مناحيم دانيال أفندي في انتخابات ١٨٧٧[١١٨]، وساسون حسقيل في الانتخابات التي جرت بعد انقلاب الاتحاد والترقي سنة ١٩٠٨[١١٩].

وكان يهود العراق هدفاً للتنافس البريطاني ـ الفرنسي السياسي والتبشيري على السواء. وكان اليهود يرحبون بأن يكونوا تحت حماية دولة أوروبية حتى يحصلوا على امتيازات أكثر وحتى تكون أمامهم فرصاً أوسع للثراء، خاصة وانهم على دراية بأمور العراق وأهله[١٢٠]. وفي ضوء هذه الرغبة المتبادلة، فان اليهود وقفوا الى جانب ريج في نزاعه مع داود باشا سنة ١٨٢١، وكانوا عوناً للأول في أعماله الرامية الى بسط نفوذ بريطانيا على العراق[١٢١]. وبعد عزل ريج وتعيين روبرت تايلر محله دخل هذا في منافسة مع القنصل الفرنسي فونتانييه من أجل الحماية على أكبر عدد ممكن من اليهود، وقد هدأ هذا التنافس اثر رحيل فونتانييه من العراق في نهاية ثلاثينيات القرن التاسع عشر[١٢٢].

---

(١١٥) بطاطو ، المصدر السابق ، ص ٢٨١.

(١١٦) المصدر نفسه ، ص ٢٨٦.

(١١٧) المصدر نفسه ، ص ٢٨٩.

(١١٨) عصمت برهان عبدالقاهر ، دور النواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني ١٩٠٨ ـ ١٩١٤ (رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٨٩) ، ص ص ٣٩ ـ ٤٩.

(١١٩) المصدر نفسه ، ص ١٠٩ ، غنيمة ، المصدر السابق ، ص ١٨٠.

(١٢٠) نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ص ٣١٦ ـ ٣١٧.

(١٢١) المصدر نفسه ، ص ٣٠. والعطار ، المصدر السابق ، ص ٣٨٠.

(١٢٢) نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ص ٣١٦ ـ ٣١٧.

وعندما فرض والي بغداد في سنة ١٨٤١ على بضاعة عدد من التجار اليهود (ضرائب ظالمة متكررة)، على حد قول تايلر احتج تايلر ان هؤلاء التجار كانوا يهـوداً تحـت حمايـة القنصلية البريطانية لأنهم أقاموا سنوات طويلة في الهند وكل أملاكهم هناك حتى ذلك الوقـت. وأضاف ان حاكم الهند العام قد أوصاه بهم خصيصاً عند عودتهم الى بغداد[١٢٣]. ومن الجدير بالذكر ان الدبلوماسية البريطانية استطاعت أن تحصل في سنة ١٨٤١ أيضاً علـى اعتـراف شبه ر سمي بحق بريطانيا في نوع خاص من الوصاية على اليهـود القـاطنين فـي الدولـة العثمانية[١٢٤].

لقد استمرت رعاية الدبلوماسيين البريطانيين لليهود خدمة للمصالح البريطانية. فقد وجه القنصل البريطاني العام في بغداد نيكسون (١٨٧٤ ـ ١٨٧٩) ان اليهود قوة يمكن الاعتمـاد عليها في تثبيت المصالح البريطانية، وهذا ما دفعه في استغلال عائلة ساسون لخدمة المصالح التجارية البريطانية[١٢٥]. وعندما تولى ولاية بغداد عاصم باشـا (١٨٨٧ ـ ١٨٩٠)، وكـان معروفاً بتشدده مع اليهود نصب القنصل البريطاني العام في بغداد نفسه حامياً لليهود[١٢٦].

ومنذ سنة ١٩٠٦ ، قدمت القنصلية البريطانية العامة مساعدات مالية الى مدرسة يهودية في بغداد لقاء قيامها بتعليم اللغة الإنكليزية[١٢٧]. وبعد سنتين من ذلك التاريخ شـهدت بغـداد اضطرابات موجهة ضد جمعية الاتحاد والترقي وضد اليهود في أواخر سنة ١٩٠٨، فما كان من القنصل البريطاني العام رامزي، إلا ان قابل والي بغداد وأوضح له قائلاً: "لما كان اليهود يسندون التجارة البريطانية بشكل واسع، فان أي هجوم عليهم يمس مصالحنا"[١٢٨]. ولعل هـذا أبلغ توضيح عن العلاقات البريطانية مع يهود العراق.

اضافة الى المسيحيين واليهود ، كانت هنـاك أقليـات دينيـة فـي العـراق، أهمهـا الصابئة[١٢٩]. في جنوب العراق واليزيدية[١٣٠] في شمال العراق. وقد كان الصابئة أيضاً مجالاً

---

(١٢٣) بطاطو ، المصدر نفسه ، ص ٢٨٦.

(١٢٤) بونداريفسكي ، سياستان ازاء العالم العربي (موسكو ، ١٩٧٥ ، ترجمة خيري الضامن) ، ص ٢٠.

(١٢٥) نوار ، المصالح البريطانية في أنهار العراق ، ص ١٣٤.

(١٢٦) جاسم محمد حسن ، المصدر السابق ، ص ٣٥١.

(١٢٧) صالح ، مقدمة في تاريخ العراق المعاصر ، ص ٩.

Atiyyah, Op. Cit, p. 75.

(١٢٨) صفوت ، خواطر وأحاديث من التاريخ ، ص ٢٤.

(١٢٩) للتفاصيل عن الصابئة يمكن مراجعة : الليدي دراورد ، الصابئة المندائيون (بغداد ، ١٩٦٩ ، ترجمـة نعيم بدوي).

(١٣٠) للتفاصيل عن اليزيدية يمكن مراجعة : صديق الدملوجي ، اليزيدية (الموصل ، ١٩٤٩).

للتنافس البريطاني الفرنسي، وخاصة عند مجيء بعثة جزني التي نبهت أذهـان أوربـا الـى الصابئة[١٣١]. بيد اننا لا نمتلك سوى معلومات يسيرة عن علاقة الدبلوماسـيين البريطـانيين معهم. فقد اهتم القنصل البريطاني في بغداد تايلر خلال عقد الثلاثينيات من القرن التاسع عشر بدراسة أحوالهم الاجتماعية ولغتهم، كما درس تاريخهم[١٣٢]. كما كانت له علاقة مـع الـشيخ يحيى (ت: ١٨٨٥)، شيخ الصابئة والذي تعلّم التحدث والكتابة باللغة أنكليزية على يـد تـايلر ابان السنوات ١٨٣٨ ـ ١٨٤٠[١٣٣]. وفيما عدا هذا يذكر لايارد ان الصابئة كتبوا له شـاكين طالبين من ملكة بريطانيا حمايتهم مما ينزل بهم من عذاب. وقد قدمت هذه الشكوى التي كانت بايعاز من لايارد، كما يبدو الى السفير البريطاني في اسطنبول سترانفورد كاننك الذي رفعهـا بدوره الى حكومته. وبعد ذلك بسنوات استصدر فرماناً بحمايتهم[١٣٤].

أما بالنسبة لليزيديين ، فقد أبدى لايارد اهتماماً بهم وبأحوالهم، كما ان بدج زار مناطق اليزيدية في سنجار وغيرها في سنة ١٨٩١ وتحدث عن المعاملة السيئة التي عوملوا بها مـن جانب العثمانيين. وقد سعى الى ابلاغ السفارة البريطانية في اسطنبول بـذلك. لكـن الـسفير البريطاني في اسطنبول وليم وايت (W. White) بعث اليه برقية بواسطة القنصل البريطـاني العام في بغداد، جاء فيها "ان انكلترا دولة موالية لتركيا وتركيا دولة موالية لانكلترا، وعلى من يخدم دولة موالية ان لا يعمد الى مهاجمة سياستها ازاء اليزيدية[١٣٦].

الموقف من الحركة العربية في العراق:

كان للانقلاب الذي نفذته جمعية الاتحاد والترقي في تموز ١٩٠٨ ضد حكـم الـسلطان عبدالحميد الثاني اصداء واسعة في انحاء الدولة العثمانية، وبـضمنها العـراق. فقـد توقـع الكثيرون ان يكون ذلك الانقلاب بداية عهد جديد من الحرية والعدالة ومـن المـساواة بـين الاتراك وغيرهم من شعوب الدولة العثمانية. وقد تمسك الاتحاديون بعض الوقت بالـشعارات التي رفعوها بخصوص الحرية والعدالة والمساواة، بيد انهم تخلوا عنها سريعا لصالح سياسـة عنصرية تقوم على أساس تتريك الشعوب العثمانية وقد ادت تلك الـسياسة الـى ردود فعـل عربية كان من ابرز مظاهرها تأسيس احزاب وجمعيات سياسية علنية وسـرية سـعت الـى تحقيق المطالب القومية العربية الاستقلالية. وضمن هذا السياق شهدت السنوات القليلـة التـي

---

[١٣١] نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ٣١٨.

[١٣٢] المصدر نفسه.

[١٣٣] Makiya, Op. Cit, p. 53.

[١٣٤] نوار ، تاريخ العراق الحديث ، ص ٣١٩.

[١٣٦] بدج، المصدر السابق ص ١٠٨ ـ ١١٠.

سبقت الحرب العالمية الاولى ظهور احزاب وجمعيات سياسية عديدة متباينة الاتجاهات في العراق[١٣٧]. وقد تجمعت المعارضة الوطنية العربية للاتحاديين في مراحلها الاولى حول (حزب الحرية والائتلاف) الذي تأسس في اسطنبول في تشرين الثاني ١٩١١ بوصفه حزبا معارضا للاتحاديين، وفتح له فروعا في بغداد والبصرة بعد وقت قصير[١٣٨]. وقد صاحب ذلك تزايد المشاعر المناوئة للاتحاديين في العراق بشكل لفت الانظار حيث كتب القنصل البريطاني العام في بغداد لوريمر قائلا: "لقد اندهشت كثيرا مؤخرا للحرية المتزايدة والتي يتم فيها هنا التعبير عن المشاعر المناوئة لجمعية الاتحاد والترقي والاتراك"[١٣٩].

ان فترة التطابق بين المنظمات السياسية العراقية والتركية لم تستمر طويلا، ذلك ان خيبة الامل المتعاظمة مهدت الطريق امام ظهور تجمعات عراقية مرتبطة بمنظمات عربية[١٤٠]. ومن تلك المنظمات (حزب اللامركزية الادارية العثماني) الذي تأسس في القاهرة سنة ١٩١٢ على ايدي بعض المثقفين السوريين. وقد اكد الحزب على وحدة الدولة العثمانية، وضرورة الادارة المركزية التي يتمتع فيها العرب بكامل حقوقهم. وقد دعا هذا الحزب الى مؤتمر عربي لبحث القضية العربية وطرح المطالب العربية، وقد عقد المؤتمر في باريس خلال المدة ١٨-٢٣ حزيران ١٩١٣ وكانت اول محاولة من نوعها. وقد اثر هذا الحزب سياسيا وفكريا على الحركة القومية الناشئة في العراق التي تمثلت بشكلها الجنيني في (النادي الوطني) في بغداد و (الجمعية الاصلاحية) في البصرة. وقد تبنى هذان التنظيمان البرنامج السياسي لحزب اللامركزية الادارية وكانا على اتصال دائم بقيادته في مصر[١٤١]. والى جانب هذين التنظيمين كان هناك تنظيم سري اقتصرت عضويته على الضباط العرب الذين كان اكثريتهم من العراقيين وهذا التنظيم هو جمعية (العهد) السرية التي تأسست في اسطنبول في اواخر سنة ١٩١٣ وتأسست لها فروع في بغداد والبصرة والموصل في ١٩١٣-١٩١٤. وكان هدف الجمعية تحقيق استقلال ذاتي للعرب ضمن الدولة العثمانية[١٤٢].

---

(١٣٧) يمكن مراجعة مزيد من التفاصيل عن هذه الجمعيات والاحزاب في، عبدالجبار حسن الجبوري، الاحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي ١٩٠٨-١٩٥٨ (بغداد ١٩٧٧) ص ١٧-٣٧. وكذلك: Atiyyah, op. Cit, pp. 53-61.

(١٣٨) Atiyyah; op. Cit, pp. 57-58.

(١٣٩) Op. Cit, p. 57-58.

(١٤٠) نظمي، المصدر السابق، ص١١.

(١٤١) المصدر نفسه، ص ص ٩٢-٩٤.

(١٤٢) Atiyyah, op. Cit, pp. 60-61.

تابع الدبلوماسيون البريطانيون في العراق باهتمام، التطورات السياسية فيه منذ وصول الاتحاديين الى السلطة سنة ١٩٠٨. وكرسوا جزءا غير يسير من هذا الاهتمام لرصد الاتجاهات السياسية والعلاقات بين العراقيين من جهة والسلطة العثمانية من جهة اخرى. كما جرت بعض اللقاءات بين اولئك الدبلوماسيين وبعض العاملين في الحركة العربية في العراق، بيد ان الدبلوماسيين البريطانيين لم يلزموا انفسهم بشيء تجاه تلك الحركة. وقد كتب القنصل البريطاني العام في بغداد في نيسان ١٩١٣ قائلا: "ان موقف القوميين المحليين من بريطانيا هو انهم يتوقعون الدعم (منها)، ولكن الشعور بأي تعاطف تجاه أفكارهم الغامضة قد يكون جريمة أو نوعاً من الحماقة..."[١٤٣]

وقد عبر القنصل العام ذاته عن موقف مماثل من الحركة العربية في العراق في حزيران ١٩١٣ عندما حاول عبداللطيف ثنيان محرر جريدة (الرقيب) مقابلته في ١٥ حزيران لامر له علاقة باعتقال يوسف السويدي[١٤٤] من قبل السلطات العثمانية. فقد رفض القنصل العام في بغداد استقباله وكتب الى حكومته قائلا "ليس هناك سبب على الاطلاق لاسترضاء القوميين العرب بينما هم ما يزالون في المعارضة. اما اذا وصلوا الى السلطة، وهو امر لا يبدو محتملا، فأن الوقت سيكون كافيا للتوصل الى تفاهم معهم بخصوص المصالح البريطانية[١٤٥].

وفي البصرة كان موقف القنصل البريطاني مختلفا الى حد ما فعندما اسس طالب النقيب، الشخصية البصرية المعروفة، فرعا لحزب الحرية والائتلاف هناك سنة ١٩١١ كان القنصل البريطاني من بين من حضروا مهرجان الحزب ووفقا لرواية سلمان فيضي فان

---

[١٤٣] I.O.R. L/P & S/10/212, Summary of events in Turkish Iraq for the Month of April, 1913, p. 2.

[١٤٤] هو يوسف بن نعمان العباسي الشهير بالسويدي، ولد في بغداد سنة ١٨٥١ وتوفي فيها سنة ١٩٢٩. وهو رئيس عائلة السويدي الكبيرة النفوذ ويعد الروح الموجهة للحركة القومية في بغداد. وقد عرف بمناوئته الشديدة لحكومة الاتحاديين مما جر عليه غضبهم. وعندما اغتيل رئيس الوزراء الوالي للاتحاديين محمود شوكت في حزيران ١٩١٣ استغل الاتحاديون الفرصة لوضع حد للمعارضة واعتقلوا اشخاصا عديدين كان من بينهم يوسف السويدي. وقد اطلق سراحه في ايلول ١٩١٣ وواصل سياسته المناوئة للاتحاديين. وفي سنة ١٩١٥ اعتقل مرة اخرى بأمر جمال باشا (السفاح) ومثل امام المحكمة العليا ثم نفي ولم يسمح له بالعودة الا بعد الهدنة.

نظمي المصدر السابق، ص ١٠٠. توفيق السويدي، وجوه عراقية عبر التأريخ (لندن، ١٩٨٧) ص ص ٢٨-٢٩.

[١٤٥] I.O.R. L/P & S/10/212, Summary of events in Turkish-Iraq during June, 1913, p. 9.

القنصل المذكور عاد بعد بضعة ايام واختلى بطالب النقيب وعرض عليه اسـتعداد بريطانيـا لتقديم كل المساعدات الممكنة للحزب، كما عرض عليه ان يدعو احد قطع الاسطول البريطاني للرسو في ميناء شط العرب خشية ان تتخذ حكومة الاتحاديين اجراءات معادية للحزب. وقـد استغرب طالب النقيب هذا العرض من الانكليز بدون اية مقدمات سابقة ورد علـى القنـصل بعدم وجود حاجة لمثل هذه الحماية كما ذكر له ان الحزب غني بحماسة منتسبيه وبـأموالهم، وانه سيعمل لمصلحة العرب وحدهم وليس لمصلحة دولة اخرى، وان كفاحـه فـي الوقـت الحاضر يعد كفاحا داخليا لا يتناول الناحية الدولية[١٤٦]. وربما اتخذ القنصل البريطاني ذلـك الموقف ادراكا منه لأهمية شخصية طالب النقيب ونفوذه الكبير ودوره المؤثر في البصرة ولم يتردد طالب النقيب، وهو المعروف بطموحه الجامح للسلطة في البـصرة[١٤٧] فـي محاولـة الاستفادة من البريطانيين لاحقا، ففي سنة ١٩١٢ زار طالب النقيب مصر والتقـى بالمنـدوب السامي البريطاني هناك اللورد كتشنر **Kitchner** ثم توجه من هناك الى الهند حاملا رسائل تعريف من القنصل البريطاني في البصرة كراو وقابل نائب الملك اللورد هاردنك **Harding**. وقد اعطته تلك اللقاءات انطباعات بامكانية الاعتماد على الدعم البريطاني[١٤٨].

وعندما عاد حزب الاتحاد والترقي الى الحكم في بداية سنة ١٩١٣ بعد فتـرة فاصـلة تولى فيها حزب الحرية والائتلاف مقاليد الحكم، بادر طالب النقيـب الـى زيـارة القنـصل البريطاني في البصرة حيث اوضح له بأن العرب فـي ولايـة البـصرة يعارضـون عـودة الاتحاديين الى السلطة. والمح الى انهم يريدون حكما ذاتيا محدودا وبدعم اجنبي كما هي الحال في مصر. وطلب طالب النقيب من القنصل عرض وجهة نظره تلك على الحكومة البريطانية والسعي لضمان استجابتها لها. الا ان البريطانيين رفضوا العرض الذي تقدم به طالب النقيـب لانهم لم يكونوا يثقون فيه وفي نواياه، كما ان البريطانيين لم يكونوا راغبين في زيـادة شـقة

---

[١٤٦] سليمان فيضي، في غمرة النضال (بغداد، ١٩٥٢) ص ص ٩٧-٩٨. توفيق علي برو، العرب والتـرك في العهد الدستوري ١٩٠٨ـ١٩١٤ (القاهرة، ١٩٦٠) ص ٢٠٣. وتتناقض هذه الرواية مع ما ورد في تقرير بعثة القنصل البريطاني في البصرة كراو لحكومته في كانون الثاني ١٩١٤ اشار فيه الى ان طالب النقيب اتصل به مرارا طالبا مساعدة الحكومة البريطانية الا ان كراو ابلغه انه لا يستطيع التـدخل فـي الشؤون = = الداخلية العثمانية، انظر: مكي شبيكة، العرب والسياسة البريطانية في الحـرب العالميـة الاولى (بيروت، ١٩٧٠) ج١، ص ٥٢.

[١٤٧] نظمي، المصدر السابق، ص ١٠٥. بطاطو، المصدر السابق، ص٢٠٢.

[١٤٨] نظمي، المصدر السابق، ص١٠٤.

الخلاف بينهم وبين الاتراك، سيما وانهم كانوا موضع اتهام بأن لديهم خططا اسـتعمارية فـي البصرة[١٤٩].

وعلى اية حال فان القنصل البريطاني في البصرة واصل اهتمامه ومتابعته لنشاط طالب النقيب السياسي هناك. فعندما اسس الاخير الجمعية الاصلاحية في البصرة سنة ١٩١٣ بـادر القنصل كراو الى رفع تقرير الى حكومته ضمنه برنامج تلك الجمعية مع بيان رأيه بـأن "... الشعور العام ليس ضد تطور العراق تحت رعاية اجنبية..."[١٥٠] وعبر كـراو ايـضا عـن شكوكه في طالب النقيب اذ قال عنه "كانت حجته في اثناء المناقشات هي ان العـرب بعـون بريطانيا وحدها يستطيعون تحرير انفسهم. ويحتمل ان يقـول مثـل هـذا القـول للقنـصل الروسي..."[١٥١].

ومع دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولـى الـى جانـب دول الوسـط دارت مباحثات بين طالب النقيب والبريطانيين لعب فيها الشيخ خزعل دور الوسيط وقد بدأت في ٥ تشرين الاول ١٩١٤ بزيارة طالب النقيب للقنصل البريطاني في البصرة وتعبيره عن رغبتـه التفاوض بخصوص موقفه في حالة بدء الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية. وقد اسـتقبلت ملاحظته هذه بالحذر لدى السفير البريطاني في اسطنبول ووزارة الخارجية البريطانية فبينمـا راوغ الاول تحفظت الثانية في جوابها تاركة الصلات بدون تحديد آني ثابت[١٥٢].

ومن البديهي القول ان مواقف الدبلوماسيين البريطانيين في العراق ازاء الحركة العربية فيه كانت منسجمة مع موقف الحكومة البريطانية التي رغم ادراكها لنمـو الحركـة العربيـة المعارضة للسيطرة العثمانية في العراق، لم تشأ ان تلزم نفسها بشيء ازاء الحركة العربيـة. فالحفاظ على الاستقرار كان مهما من زاوية المـصالح البريطانيـة فـي العـراق، كمـا ان الاعتبارات الدبلوماسية منعت البريطانيين من التحريض على ثورة عربية في العـراق، وقـد كانت بريطانيا ترى ان الحفاظ على وحدة الممتلكات التركية الاسيوية يمكن وحـده ان يمنـع ويجنب تكالبا اوربيا على المنطقة، ووفقا لقول مسؤول بريطاني كبير في آيار سنة ١٩١٤ فان النقطة الاساسية في السياسة البريطانية كانت "منع او في الاقل تأجيل أي شيء يمكن ان يولد

---

[١٤٩] Atiyyah, op. Cit, pp.53-66.

[١٥٠] راجع نص مذكرة القنصل كراو المؤرخة في ٢٨ آب ١٩١٣ في الجابري، المصدر الـسابق، ص ص ٢١٦-٢١٧.

[١٥١] شبيكة، المصدر السابق، ص٥٣.

[١٥٢] التميمي، المصدر السابق، ص١١٢.

انتفاضة عربية ويعرض، بالتالي، للخطر سيادة الممتلكات التركية في آسيا"[١٥٣]. بيد ان هـذا الموقف لم يستمر طويلا فمع نشوب الحرب العالمية الاولى تحركت الدبلوماسية البريطانية في اتجاه مغاير تماما كانت حصيلته الثورة العربية الكبرى في الحجاز سنة ١٩١٦ بقيادة الشريف حسين بن علي.

---

(١٥٣) Cohen, op. Cit, p. 266.

الخاتمة

في ضوء المعلومات الواردة في الكتاب يمكن ايراد بعض الاستنتاجات او الملاحظـات الختامية التي تم التوصل اليها من خلال دراسة الموضوع. وهذه الاستنتاجات او الملاحظـات الختامية هي:

١) نشأة التمثيل الدبلوماسي البريطاني في العراق وتطوره منذ القرن التاسع عشر يرجـع الى نمو وتشعب المصالح البريطانية السياسية والاستراتيجية والاقتـصادية والثقافيـة فيه.

٢) تمتع الدبلوماسيون البريطانيون في العراق بنفوذ كبير مقارنة باقرانهم من الدبلوماسيين الاجانب العاملين في العراق. وكان هذا النفوذ مستمدا من مظاهر الابهة والقوة التـي احاطوا انفسهم بها من جهة ومما كان لبريطانيا من دور ونفـوذ قـوي فـي الدولـة العثمانية والمناطق المجاورة للعراق مثل الخليج العربي وبلاد فارس من جهة اخرى.

٣) ان الاعراف والقوانين الدبلوماسية حددت مهام القناصل ونواب القناصل في امـرين: هما رعاية المصالح الاقتصادية والاشراف على شؤون رعايا دولهم في المناطق التي يخدمون فيها. الا ان الدبلوماسيين البريطانيين في العراق تجاوزوا هذه المهـام مـن خلال الانشطة الاستخبارية التي قاموا بها، ودعوتهم الى احتلال العراق في اكثر مـن مناسبة الامر الذي يعد خرقا لسيادة الدولة التي عملوا فيها، أي الدولة العثمانية.

٤) اختلفت طبيعة علاقة الدبلوماسيين البريطانيين بالسلطات العثمانية في العراق من وقت لآخر تبعا لعوامل عديدة، منها طبيعة العلاقات العثمانية - البريطانية عموما وموقف الدبلوماسيين البريطانيين والولاة العثمانيين ازاء مصالح وسياسات الطـرف الآخـر، وشعور بعض الولاة العثمانيين بأن وجود اولئك الدبلوماسـيين يـشكل قيـدا علـى سياساتهم. ولم يتردد الدبلوماسيون البريطانيون في استخدام نفوذهم لعزل بعض الولاة العثمانيين في العراق وكان هذا خرقا آخر للاعراف والقوانين الدبلوماسية.

٥) ان السلطات العثمانية كانت، بوجه عام، عاجزة عن الحد مـن نفـوذ الدبلوماسـيين البريطانيين او نمو المصالح البريطانية في العراق.

٦) اهتم الدبلوماسيون البريطانيون في العراق باقامة صلات مع القوى المحلية فيه مـن عشائر واتحادات قبلية عربية وامارات كردية واقليات دينية بما يخدم تعزيـز النفـوذ البريطاني ويضمن المصالح البريطانية في العراق. وقد ادركت تلك القـوى المحليـة مدى نفوذ الدبلوماسيين البريطانيين وتأثيرهم ولذا سعت الى الاستفادة من العلاقة معهم

في مواجهة السلطات العثمانية، وخاصة عندما تتدهور العلاقة بين تلك السلطات والقوى المحلية، وفي مقدمتها العشائر والاتحادات القبلية العربية. اما فيما يخص الحركة العربية في العراق بين ١٩٠٨ـ١٩١٤ فان الدبلوماسيين البريطانيين في العراق اكتفوا بمتابعة تطوراتها. وباستثناء بعض الاتصالات غير المثمرة بين القنصل البريطاني في البصرة والسيد طالب النقيب، لم تكن هناك صلات اخرى بين الدبلوماسيين البريطانيين ورجالات الحركة العربية في العراق. وكان موقف الدبلوماسيين البريطانيين هذا منسجما مع موقف مراجعهم العليا في الهند ولندن.

٧) لم يكن جميع الدبلوماسيين البريطانيين في العراق على نفس المستوى من القدرة والمهارة. وقد تعرض بعضهم الى انتقادات من لدن السلطات البريطانية العليا في لندن، في حين كانت هناك اسماء اخرى بارزة مثل ريج وتايلر ورولنصون ولوريمر.

٨) ربما كانت الخدمة الوحيدة غير المقصودة التي قدمها اولئك الدبلوماسيون لتاريخ العراق الحديث تتمثل في مراسلاتهم وتقاريرهم التفصيلية التي تشكل اليوم مصدرا مهما لدراسة تاريخ العراق السياسي والاقتصادي والاجتماعي الحديث.

المصادر والمراجع

وثائق غير منشورة:

١. الوثائق البريطانية:

- دائرة سجلات وزارة الهند (لندن)

الملفات المرقمة:

-- **India Office Records**

- L/P S/10/117
- L/P S/10/188
- L/P S/10/212

تتضمن هذه الملفات العديد من المراسلات بين الدبلوماسيين البريطانيين فـي العـراق ومراجعهم العليا في الهنـد ولنـدن والـسفير البريطـاني فـي اسـطنبول ابـان الـسنوات ١٩٠٤ـ١٩١٤، كما تتضمن التقارير الشهرية التي كانوا يرسلونها عن خلاصة الحوادث في العراق التركي.

Summary of Events in Turkish Iraq.

وقد اعتمدنا على التقارير الشهرية للسنوات ١٩١٠ـ١٩١٤.

(نسخ مصورة في مكتبة مركز دراسات الخليج العربي ـ جامعة البصرة).

٢. الوثائق الامريكية:

وثائق الارشيف القومي (واشنطن) **U. S. National Archive**

3. **Consulate of U.S.A. (Baghdad) to the Department of state (Washington). 12.7. 1894.**
4. **Consulate of U.S.A. (Baghdad) to the Department of state (Washington). 14.8. 1902.**
5. **Consulate of U.S.A. (Baghdad) to the Department of state (Washington). 4.12. 1902.**

(هذه الوثائق مصورة على ميكروفيلم حسب تسلسل السنوات في مكتبة المعهد العالي في الجامعة المستنصرية).

٣ـ الوثائق العثمانية:

١) ارشيف رئاسة الوزراء (اسطنبول) **Basbankanlik Arsivi**

٢) الرقم 1831/ اف (١٥): من والي بغداد محمد نجيب باشا الى القنصل الانكليـزي في بغداد، ١٢٥٨ هـ/١٨٤٢م.

٣) الرقم 1831/ اف (13): من القنصل الانكليزي في بغداد الى الوالي محمد نجيـب باشا، ٢٦ ذي الحجة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م.

٤) الرقم 1831/ اف (18): من والي بغداد محمد نجيب باشا الى القنصل الانكليـزي في بغداد ١٢٥٨هـ ١٨٤٢م.

٥) الرقم : 13448 اف (7) مذكرة القنصل الانكليزي في بغداد رولنصون الى السفير البريطاني في اسطنبول ١٢٦٧هـ/١٨٥١م.

٦) الرقم 22357 : كتاب القنصل الانكليزي في بغداد تايلر الى والي سيواس محمـد رشيد باشا، ٤ جمادى الاولى ١٢٥١هـ/٢٧ ايلول ١٨٣٥.

٧) (نسخ مصورة في مكتبة الجامعة المستنصرية).

وثائق منشـورة:

٨) الدولة العثمانية، الدستور، المجلد ٢ (بيروت، ١٣٠١هـ، ترجمة نوفل افندي نعمة ا نوفل).

٩) قزانجي، فؤاد، العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥ ـ ١٩٣٠ (بغداد، ١٩٨٩).

10) 14.Great Britain. Foreign Office Confidential Prints, The Affairs of Kuwait 1896-1905(London-1971)2 vols.

11) 15. P.G.A.R. Archive Edition (London-1986).

12) 16. Saladanha, J,A. Precis of Turkish Arabia 1801-1905 (London-1905).

13) 17. Turk cumhuriyeti. Basbakanlik Devlet Arsivleri Genel Műdűrlűğu. Osmanli Arsiv Daresi Başkanligi: Musul-Krkuk ile ilgili Arşiv Belgeleri 1525-1919 (Ankara-1993).

مطبوعات رسمية:

١٤) سالنامة بغداد، ١٣٢٩هـ.

١٥) سالنامة ولايت بصره، ٥ دفعه، ١٣٢٠هـ.

١٦) موصل ولايتي سالنامه سي، ١٣١٢هـ.

١٧) موصل ولايتي سالنامه سي، ١٣٢٥هـ.

١٨) موصل ولايتي سالنامه سي، ١٣٣٠هـ.

19) 23. Great Britain. Admirality, Intelligence Department, A handbook of Mesopotamia (Second Edition-1918).

20) 24. Great Britain. Foreiegn Office, Histrocal Section, Mesopotamia (London-1920).

الكتب العربية:

١) الارحيم، فيصل محمود، تطور العراق تحـت حكـم الاتحـاديين ١٩٠٨ـ ـ ١٩١٤ (الموصل، ١٩٧٥).

٢) الاشعب، خالص، بغداد، نموها، بيئتها، تخطيطها (بغداد، ١٩٨٢).

٣) الاعظمي، سعد ابراهيم، من اساليب التغلغل الاجنبي في العراق (بغداد، ١٩٨٥).

٤) ابراهيم، جابر خليل، (الانشطة الآثارية) في موسوعة الموصل الحضارية (الموصل، ١٩٩٢).

٥) ابراهيم عبدالعزيز الغني، حكومة الهند البريطانيـة والادارة فـي الخلـيج العربـي (الرياض، ١٩٨١)

٦) ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ، السلام البريطاني في الخليج العربي ١٨٩٩ـ ـ ١٩٤٧ (الريـاض، ١٩٨٠).

٧) ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ، سياسة الامـن لحكومـة الهنـد فـي الخلـيج العربـي ١٨٥٨ـ ١٩١٤، دراسة وثائقية (الرياض، ١٩٨٠).

٨) ابو ياسين، سمير محمـدعلي، العلاقـات العمانيـة ـ البريطانيـة ١٧٩٨ـ ـ ١٨٥٦ (البصرة، ١٩٨١).

٩) احمد، ابراهيم خليل، تاريخ الوطن العربي الحديث فـي العهـد العثمـاني ١٥١٦ ـ ١٩١٦ (الموصل، ط٢، ١٩٨٦).

١٠) احمد، ابراهيم خليل وخليل علي مراد، دراسات في تاريخ ايران وتركيـا الحـديث والمعاصر (الموصل، ١٩٩٢).

١١) احمد، كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحـديث والمعاصـر (بغـداد ١٩٨٥).

١٢) احمد، كمال مظهر، كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى (بغداد ١٩٧٧).

١٣) اداموف، الكسندر، ولاية البصرة في ماضـيها وحاضـرها (البـصرة، ١٩٨٢ و ١٩٨٩ ترجمة هاشم صالح التكريتي) ٢ جـ.

١٤) اسحق، روفائيل بابو، تاريخ نصارى العراق (بغداد، ١٩٤٨).

١٥) امين، جلال احمد، المشرف العربي والغرب (بيروت، ط٣، ١٩٨١).

١٦) امين، عبدالامير محمد، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثـامن عـشر (بغداد، ١٩٦٦).

١٧) ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ، المصالح البريطانية في الخليج العربي ١٧٤٧ـ ـ١٧٧٨ (بغداد، ١٩٧٧، ترجمة مكي حبيب المؤمن).

١٨) امين، عبدالامير محمد ومـصطفى عبـدالقادر النجـار، دور الـسجلات الهنديـة ومحفوظاتها من وثائق العراق وبقية اقطار الخليج العربي والجزيرة العربية (بغـداد ١٩٧٨).

١٩) انطونيوس، جورج، يقظة العرب (بيروت، ط٥ ١٩٧٨، ترجمة ناصرالدين الاسـد واحسان عباس).

٢٠) ايرلند، فيليب ويلارد، العراق، دراسة في تطوره السياسي (بيروت، ١٩٤٩، ترجمة جعفر خياط).

٢١) بايك، روبستن. اي، قصة الآثار الآشورية (بغداد، ١٩٧٢، ترجمـة يوسـف داود عبدالقادر).

٢٢) البحراوي، محمد عبداللطيف، حركة الاصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني ١٨٠٨ـ١٨٣٩ (القاهرة، ١٩٧٨).

٢٣) بدج، واليس، رحلات الى العراق (بغداد، ١٩٦٨، ترجمة فؤاد جميل).

٤٨ ـ برو، توفيق علي، العرب والترك في العهـد الدسـتوري ١٩٠٨ـ ـ١٩١٤ (القـاهرة ١٩٦٠).

٢٤) البزاز، عبدالرحمن، محاضرات في تاريخ العراق من الاحتلال حتـى الاسـتقلال (القاهرة، ط٢، ١٩٦٠).

٢٥) بسيسو، سعدي، محاضرات في القانون الدولي العام (بغداد، ١٩٤٩).

٢٦) بطاطو، حنا، العراق ـ الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثمـاني حتى قيام الجمهورية ـ الكتاب الاول (بيروت، ١٩٩٠، ترجمة عفيف الرزاز).

٢٧) بولارد، ريدر، بريطانيا والشرق الاوسط (بغداد، ١٩٥٦، ترجمـة حـسن احمـد سلمان).

٢٨) بونداريفسكي، سياستان ازاء العالم العربـي (موسـكو، ١٩٧٥، ترجمـة خيـري الضامن).

٢٩) بيل، المس، فصول من تاريخ العراق القريب (بيـروت، ١٩٧١، ترجمـة جعفـر خياط).

٣٠) التميمي، حميد احمد حمدان، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤ ـ ١٩٢١ (بغداد، ١٩٧٩).

٣١) التميمي، عبدالملك خاف، التبشير في منطقة الخليج العربي (الكويت، ١٩٨٢).

٣٢) الجاسم، نجاة عبدالقادر، التطور السياسي والاقتـصادي للكويـت بـين الحـربين ١٩١٤ـ١٩٣٩ (القاهرة،١٩٧٤).

٣٣) الجبوري، عبدالجبار حسن، الاحزاب والجمعيات السياسية فـي القطـر العراقـي ١٩٠٨ـ١٩٥٨ (بغداد، ١٩٧٧).

٣٤) الجميل، سيار كوكب، (الموصل من نهاية الحكم الجليلـي الـى الادارة المباشـرة ١٨٣٤ـ١٨٦٩) في موسوعة الموصل الحضارية (الموصل، ١٩٩٢).

٣٥) جوارد، ايشو مالك خليل، الآشوريين في التاريخ (بيروت، ١٩٦٢، ترجمـة سـليم واكيم).

٣٦) الجواهري، عماد احمد، تاريخ مشكلة الاراضي فـي العـراق ١٩١٤ ـ ١٩٣٢، (بغداد، ١٩٧٨).

٣٧) حجار، جوزف، اوربا ومصير الشرق العربي (بيروت، ١٩٧٦، ترجمـة بطـرس الحلاق وماجد النعمة).

٣٨) حجر، جمال محمود، القوى الكبرى والشرق الاوسط فـي القـرن التاسـع عـشر والعشرين (الاسكندرية، ١٩٨٩).

٣٩) الحديثي، نزار عبداللطيف وآخرون، الحدود الشرقية للوطن العربي، دراسة تاريخية (بغداد، ١٩٨١).

٤٠) حسن، محمد سلمان، التطور الاقتصادي في العراق، التجارية الخارجية والتطـور الاقتصادي ١٨٦٤ـ١٩٥٨، جـ١ (صيدا، ١٩٦٥).

٤١) الحسني، عبدالرزاق، تاريخ الصحافة العراقية، جـ١ (بغداد، ١٩٧٦).

٤٢) الحلو، صادق ياسين، (النشاط الفرنسي في بغداد في القرن التاسع عشر) في بغـداد في التاريخ (بغداد، ١٩٩١).

٤٣) خالدي، مصطفى وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربيـة (بيـروت، ط٤، ١٩٧٠).

٤٤) خالفين، ن. آ ، الصراع على كردستان (بغداد، ١٩٦٩، ترجمة احمد عثمـان ابـو بكر).

٤٥) خورشيد، فؤاد حمه، العشائر الكردية (بغداد، ١٩٧٩).

٤٦) دانتسغ، ب.م، الرحالة الروس في الشرق الاوسط (بغداد، ١٩٨١، ترجمة معروف خزندار).

٤٧) الداود، محمود علي، الخليج العربي والعلاقات الدولية ١٨٩٠ـ١٩١٤، (القـاهرة، ١٩٦٠).

٤٨) دراور، الليدي، الصابئة المندائيون (بغداد، ١٩٦٩، ترجمة نسيم بدوي).

٤٩) الرميحي، محمد، البحرين، مشكلات التغييـر الـسياسي والاجتمـاعي (بيـروت، ١٩٧٦).

٥٠) رؤوف، عماد عبدالسلام، الموصل في العهـد العثمـاني، فتـرة الحكـم المحلـي ١٧٢٦ـ١٨٣٤ (النجف، ١٩٧٥).

٥١) رونوفان، بيير، تاريخ القرن العشرين (بيروت، ١٩٦٥، ترجمة نورالدين حاطوم).

٥٢) ريج، كلوديوس جيمس، رحلة ريج الى العراق عام ١٨٢٠ (بغداد، ١٩٥١، ترجمة بهاءالدين نوري) جـ١.

٥٣) ريزفان، سفن روسية في الخليج العربي ١٨٩٩ـ١٩٠٣ (موسكو، ١٩٩٠، ترجمة سليم توما).

٥٤) سترنك، وليم تيودور، حكم الشيخ خزعل بن جـابر واحـتلال امـارة عربـستان (البصرة، ١٩٨٣، ترجمة عبدالجبار ناجي).

٥٥) سركيس، يعقوب، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد، ق١ (بغداد، ١٩٤٨).

٥٦) السوداني، صادق، العلاقات العراقية السعودية ١٩٢٠ ـ ١٩٣١ (بغداد، ١٩٧٦).

٥٧) السويدي، توفيق، وجوه عراقية عبر التاريخ (لندن، ١٩٨٧).

٥٨) سليمان، حكمت، نفط العراق، دراسة اقتصادية ـ سياسية (بغداد، ١٩٧٩).

٥٩) شبيكة، مكي، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالميـة الاولـى (بيـروت، ١٩٧٠).

٦٠) الشناوي، عبدالعزيز محمد، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها (القـاهرة، ١٩٨٠).

٦١) صائغ، سليمان، تاريخ الموصل، جـ ١ (القاهرة، ١٩٢٣) جـ ٣ (جونيه، ١٩٢٦).

٦٢) صالح، زكي، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤ (بغداد، ١٩٦٨).

٦٣) ــــــــــــ ، مقدمة في تاريخ العراق المعاصر (بغداد، ١٩٥٤).

٦٤) صالح، قحطان رشيد، الكشاف الاثري في العراق (بغداد، ١٩٨٧).

٦٥) صفوت، نجدت فتحي، خواطر واحاديث في التاريخ (بغداد، ١٩٨٣).

٦٦) ــــــــــــ ، العراق في مذكرات الدبلوماسيين الاجانب (بغداد، ط٢، ١٩٨٢).

٦٧) الطاهر، عبدالجليل، العشائر العراقية، جـ ١ (بغداد ، ١٩٧٢).

٦٨) طعمة، هادي، الاحتلال البريطاني والصحافة العراقيـة ١٩١٤ ــ ١٩٢١ (بغـداد ١٩٨٤).

٦٩) العابد، صالح محمد، دور القواسم في الخلـيج العربـي ١٧٤٧ ــ ١٨٢٠ (بغـداد ١٩٧٦).

٧٠) ــــــــــــ ، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربـي ١٧٩٨ ـ ١٨١٠ (بغداد، ١٩٧٩).

٧١) العاني، نوري عبدالحميد خليل، التاريخ السياسي لامتيازات النفط فـي العـراق ١٩٢٥ ـ ١٩٥٢ (بيروت، ١٩٨٠).

٧٢) العقاد، صلاح، التيارات السياسية في الخليج العربي (القاهرة، د . ت).

٧٣) العمري، خيري، حكايات سياسية في تاريخ العراق الحديث (القاهرة، ١٩٦٩).

٧٤) العمري، محمد طاهر، تاريخ مقدرات العـراق الـسياسية، المجلـد الاول (بغـداد ١٩٢٥).

٧٥) العمري، سعاد هادي، بغداد كما وصفها الرحالة الاجانب (بغداد، ١٩٥٤).

٧٦) الغلامي، عبدالمنعم، ثورتنا في شمال العـراق ١٩١٩ ــ ١٩٢٠، جـ ـ ١ (بغـداد ١٩٦٦).

٧٧) غنيمة، يوسف رزق ا ، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق (بغداد، ١٩٢٤).

٧٨) فائق، سليمان، تاريخ بغداد (بغداد، ١٩٦٢، ترجمة موسى كاظم نورس).

٧٩) فارس، محمد خير، المسألة المغربية ١٩٠٠ ـ ١٩١٢ (بيروت، ١٩٨٠).

٨٠) فريديك، محمد، تاريخ الدولة العثمانية (بيروت، ١٩٧٧).

٨١) فريزر، جيمس بيلي، رحلة فريزر الى بغداد في ١٨٣٤ (بغـداد، ١٩٦٤، ترجمـة جعفر الخياط).

٨٢) فوصيل، بييردي، الحياة في العراق منذ قـرن ١٨١٤ـ ـ١٩١٤ (بغـداد، ١٩٦٨، ترجمة اكرم فاضل).

٨٣) فيضي، سليمان، في غمرة النضال (بغداد، ١٩٥٢).

٨٤) قاسم، جمال زكريا، الخليج العربي، دراسة لتاريخ الامارات العربية فـي عـصر التوسع الاوربي الاول ١٥٠٧ـ ١٨٤٠ (القاهرة ١٩٧٧).

٨٥) ـــــــــــــــــــــ ، الخليج العربي، دراسـة لتـأريخ الامـارات العربيـة ١٨٤٠ـ ١٩١٤، (القاهرة، ١٩٦٦).

٨٦) مختارات من وثائق الكويت والخليج العربي في دور السجلات البريطانية (الكويت، ١٩٧٢).

٨٧) قاسملو، عبدالرحمن ، كردستان والاكراد (د. م، ١٩٦٨، ترجمة ثابت منصور).

٨٨) قاسمية، خيرية، النشاط الصهيوني في الشرق العربـي وصـداه ١٩٠٨ـ ـ١٩١٨ (بيروت، ١٩٧٣).

٨٩) قاشا، سهيل، تاريخ ابرشية الموصل للسريان الكاثوليك (بغداد، ١٩٨٥).

٩٠) الكرملي، انستاس ماري، خلاصة تاريخ العراق منذ نشوئه الى يومنا هذا (البصرة، ١٩١٩).

٩١) كريفس، روزلويس، المعاهدة الانكليزية ـ الروسية ١٩٠٧ـ ـ ١٩١٤ (البـصرة ١٩٨١، ترجمة محمد وصفي ابو مغلي).

٩٢) كوتلوف، ل.ن ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق (بغداد، ١٩٨٥، ترجمة عبدالواحد الكرم).

٩٣) كوسيه، مارتنفيل اوتر، النشاط الفرنسي في البصرة ١٧٣٩ـ ـ١٧٤٥ (البـصرة، ١٩٨٠).

٩٤) لوتسكي، فلاديمير، تاريخ الاقطار العربية الحديث (موسكو، د.ت ترجمـة عفيفـة بستاني).

٩٥) لونكريك، ستيفن همنسلي، اربعة قرون من تاريخ العـراق الحـديث (بغـداد، ط٣ ١٩٦٢، ترجمة جعفر خياط).

٩٦) ـــــــــــــــــــ ، العراق الحديث ١٩٠٠ـ١٩٥٠ (بغداد، ١٩٨٨، ترجمة سليم طه التكريتي).
٩٧) مارلو، جون، تاريخ النهب الاستعماري لمصر ١٧٩٨ـ١٨٨٢ (القـاهرة، ١٩٧٩، ترجمة عبدالعظيم رمضان).
٩٨) محمد، فاضل زكي، الدبلوماسية في النظرية والتطبيق (بغداد، ط٢ ١٩٦٨).
٩٩) معروف، خلدون، ناجي، الاقلية اليهودية في العراق بغداد، ١٩٧٥).
١٠٠)مشتاشفيلي، البرت، العراق في سنوات الانتداب البريطاني بغداد، ١٩٧٨ ترجمـة هاشم صالح التكريتي.
١٠١)البحار، مصطفى عبدالقادر وآخرون ، تاريخ الخليج العربي الحـديث والمعاصـر (البصرة، ١٩٨٤).
١٠٢)المنشيء البغدادي، محمد بن احمد الحسيني، رحلة المنـشيء البغـدادي (بغـداد، ١٩٤٨، ترجمة عباس العزاوي).
١٠٣)المنصور، عيسى المنصور، الكويت وعلاقاتها بعربـستان والبـصرة ١٨٩٦ـ ـ ١٩١٥، (الكويت، ط٢، د.ت).
١٠٤)سبورسكي ، الأكراد : ملاحظات وانطباعات (بغداد ١٩٦٨)، ترجمـة: معـروف خزندار.
١٠٥)وميض جمال عمر نظمي١٩٢٠، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركـة القومية الاستقلالية في العراق (بغداد، ١٩٨٥).
١٠٦)النفيسي، عبدا فهد، دور الشيعة في تطور العراق الـسياسي الحـديث (بيـروت، ١٩٧٣).
١٠٧)نوار، عبدالعزيز سليمان، تاريخ العراق الحديث (القاهرة، ١٩٦٨).
١٠٨)ـــــــــــــــــــ ، داود باشا (القاهرة، ١٩٦٨).
١٠٩)ـــــــــــــــــــ ، العلاقات العراقية ـ الايرانية، دراسة فـي دبلوماسـية المؤتمرات (القاهرة، ١٩٧٤).
١١٠)ـــــــــــــــــــ ، المصالح البريطانية في انهار العراق ١٦٠٠ـ ـ١٩١٤ (القاهرة، ١٩٦٨).
١١١)نورس، علاء موسى كاظم، حكم المماليك في العراق (بغداد، ١٩٧٥).

١١٢)-------------- ، العراق في العهد العثمـاني ١٧٠٠ــ١٨٠٠ (بغـداد ١٩٧٦).

١١٣)نيكيتين، باسيل، الاكراد (بيروت، د.ت).

١١٤)هرشلاغ، ز.ي، مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسـط (بيـروت، ١٩٧٣، ترجمة مطصفى الحسيني).

١١٥)الهلالي، عبدالرزاق، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨ــ١٩١٧ (بغداد، ١٩٥٩).

١١٦)الوردي، علي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، جـ٢ (بغـداد، ١٩٧١) جـ٣ (بغداد، ١٩٧٢).

١١٧)ولسن ارنولد، تاريخ الخليج العربي (منشورات وزارة التـراث، سـلطنة عمـان، ١٩٨١، ترجمة محمد امين عبدا).

١١٨)ويكرام، أي ود بيلوتي ويكرام، مهد البشرية، الحياة في شرق كردسـتان (بغـداد، ١٩٧١، ترجمة جرجيس فتح ا).

١١٩)ويلسون، ارنولد تي، بلاد ما بين النهرين بين ولاءين (بغداد، ط٢، ١٩٩١، ترجمة فؤاد جميل).

الكتـب الانكليزية:

1. Al-Baharna, Husain M., The Arabian Gulf States (Beirut-1975).
2. Alexander, Constance M. Baghdad in Bygons Days (London-1928).
3. Atiyyah. Ghassan, Iraq 1908-1921, A Socio-Political Study (Beirut-1973).
4. Badger. George P., The Nestorians and their Rituals (London-1852) 2 Vols.
5. Blunt, Lady Anne, Beduin Tribes of the Euphrates (London-1968) 2. Vols.
6. Bullard, Reader, The Gamels Must Go (London-1961).
7. Busch. Briton C., Britain and the Arabs 1914-1921 Berkeley-1971).
8. ------------------, Britain and the Gulf 1896-1914 (Berkeley-1967).
9. Chesney, F.R. Expedition for the Survey of the Rivers Euphrates and Tigris (London-1850) 2 Vols.

10.Cohen Stuart A. British policy in Mesopotamia 1903-1914 (London-1976).
11.Curzon, George N., Persia and the Persian Question (London-Reprinted-1966) 2 Vols.
12.Davis. Ralph, “English Imports from the Middle East 1580-1780” in. M.A. Cook (ed), Studies, in the Economic History of the Middle East (Oxford-1970).
13.Dictionary of National Biography. Edited by L. Stephen and S. Lee. Vol.XVI (oxford-1964).
14.Dowell. Henry; The Founder of Modern Egypt (Cambrige-1967).
15.Edmonds, J.G.; Kurds, Turks and Arabs (London-1951).
16.Edward. Michael, British India 1772-1947 (London-1967).
17.Encyclopaedia Britanica, Vol.X (London-15th Edition-1980).
18.Graham. Gerlad S; Great Britain in the Indian Ocean. A. Study of Maritime Enterprise 1810-1850 (oxford-1967).
19.Guyer. S; my Journey Down the Tigris (London-1925-Translated by Joseph McCobe).
20.Hairi. Abdul-Hadi; Shi’ism and Constitutionalism in Iran (Leiden-1977).
21.Hoskins. Halford L.; British Routes to India (London-Reprinted 1966).
22.Issawi. Charles; The Economic History of the Middle East 1800-1914 (Chicago-1975).
23.Joseph. John: The Nestorians and their Muslim Neighbors (Princeton-1961).
24.Kedourie. Elie; England and the Middle East (London-1978).
25.Kelly. John B.; Britain and the Gulf 1795-1880 (Oxford-1968).
26.------------------ , “Salisbury. Curzon and the Kuwait Agreement of 1899” in, K. Bourne and D.C. Watt (eds.); Studies in International History (London-1967).
27.Kubie, Nora; Road to Nineveh (London-1965).
28.Kumar. Ravinder: India and the Gulf Region 1858-1907 (Bombay-1965).

29.Loftus Williamk..; Travels and Researches in Chalden and Busiana (London-Republished-1971).
30.Lorimer, J. G. Gazetteer of the Gulf, Oman and Central Arabia (Holland-1970) Historical and Geographical Parts.
31.Luke. Harry C.; Mosul and its Minorites (London-1925).
32.Marlowe. John; The Gulf in the Twentieth Century (London-1962).
33.Marriot, J.A.R. The Eastern Question, An Historical Study (Oxford-1967).
34.Miles, Samuel B., Countries and Tribes of the Gulf (London-1966).
35.Moberly. F.G; Official History of the Great War. The Campain in Mesopotamia 1914-1918 (London –1923) 3 Vols.
36.Owen. Roger; The Middle East in Economy 1800-1914 (London-1981).
37.Pemple. John; The Raj, the Indian Muting and the Kingdom of Qudh 1801-1859 (Sussex-1977).
38.Rassam, Hormuzd, Assure and the Land of Nimrod (New York 1897).
39.Rich, Cladius J.; Narrative of Residence in Kurdistan and the Site of Ancient Nineveh (London-Republished-1972) 2 Vols.
40.Sousa. Nasim; The Capitulatory Regime of Turkey (Baltimor-1933.
41.Waterfield, Gordon: Layard of Nineveh (London- 1963).
42.Wood. Alfreed G.; A History of the Levant Company (London-1964).
43.Yapp, Malcolm; "British Policy in the Gulf" in. Alvin J. Cottrell (ed.); The Gulf States. A General Survey (Baltimor-1980).

الكتب التركيـة:

١.جودت باشا، تاريخ جودت، جـ٨ (اسطنبول، ١٣٠٢ هـ).
٢. سامي، شمس الدين، قاموس تركي (اسطنبول، ١٣١٧هـ).
3. Bayur, Yunsut H.. Turk Inkilap, Torihi, Cilt II, Kisim III. (Ankara-1983).
4. Kocabas. Sőleyman; Türkiye ve Ingiltere (Istanbul-1985).
5. őztuna, Yilmaz Z; Bürkiye Tarihi (Istanbul 1983).

رسـائل جامعية غير منشورة:

١. الجابري، محمد هليل، الحركة القومية العربية في العـراق ١٩٠٨ــ ١٩١٤، (رسـالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة بغداد، ١٩٨٠).

٢. الجادر، الهام محمود، البصرة، دراسة في اوضاعها الادارية والاقتصادية والاجتماعيـة والسياسية ١٢١٨ـ١٢٨٦هـ/١٨٠٣ـ١٨٦٩م (رسالة ماجستير، كلية التربية الاولـى، جامعة بغداد، ١٩٩٠).

٣. حسن، جاسم محمد، العراق في العهد الحميدي ١٨٧٦ـ١٩٠٩ (رسالة ماجـستير، كليـة الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥).

٤. رضا، محمد جواد علي، العلاقات العراقية الالمانية ١٨٧١ـ١٩١٤ (رسالة ماجـستير، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٤).

٥. سلمان، محمد عصفور، العراق في عهد مدحت باشا ١٨٦٩ـ١٨٧٢ (رسالة ماجـستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩).

٦. شكري، ياسين شهاب، ولاية بغداد ١٨٧٢ـ١٩٠٩، دراسـة فـي اوضـاعها الاداريـة والاقتصادية (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٤).

٧. الطائي، ذنون يونس حسين، الاتجاهات الاصلاحية في الموصل منذ اواخر العهد العثماني حتى تأسيس الحكم الوطني (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٠).

٨. العطار، عماد عبدالسلام رؤوف، الحياة الاجتماعية في العـراق ابـان عهـد المماليـك ١٧٤٩ـ ١٨٣١ (رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٦).

٩. علي ، شاكر علي، ولاية الموصل في القرن السادس عشر (رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٢).

١٠. القهواتي، حسين محمد، العراق بين الاحتلالين العثمانيين الاول والثاني ١٥٣٤ــ ١٦٣٨ (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥).

١١. كاظم، سلامة حسين، التبشير في العراق، رسائله واهدافه (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٥).

١٢. محمود، محمـد احمـد، احـوال العـشائر العراقيـة العربيـة وعلاقاتهـا بالحكومـة ١٨٧٢ـ١٩١٨ (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٠).

١٣. مراد، خليل علي، تاريخ العراق الاداري والاقتـصادي فـي العهـد العثمـاني الثـاني ١٦٣٨ـ ١٧٥٠ (رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥).

١٤. النحاس، زهير احمد علي، النشاط التجاري في الموصـل بـين الحـربين العـالميتين ١٩١٩ـ١٩٣٩ (رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٥).
١٥. الوائلي، عبد ربه سكران، اكراد العراق ١٨٥١ـ١٩١٤، دراسة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والسياسي (رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٧).
١٦. هادي، جاسم محمد، احوال العراق الاقتصادية والاجتماعية ١٨٣١ـ ـ١٨٦٩، (رسـالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٥).
17. AL-Bustani, Mehdi J.H; Baghdaki Kolemen Hakimiyetinin Tesis ve Kaldirilmasi ile Ali Riza Pasanin Valiligi (Octora Tezi-Istanbul Universitesi-1979).

(توجد نسخة من الرسالة في المعهد العالي التابع للجامعة المستنصرية).

18. Williamson. The Political History of Shammar Jarba 1800-1958 (Unpublished PH.D. Thesis-University of Indiana-1974).

(توجد نسخة مصورة على ميكروفيلم في المكتبة المركزية جامعة الموصل).

البحوث المنشورة في الدوريات العربية:

١. الامين، عبدالوهاب، بغـ ـداد في سنة ١٨٥٣، مجلة المورد، المجلد ٣، العدد ١، ١٩٧٤ (ق١).
بغـ ـداد في سنة ١٨٥٣، مجلة المورد، المجلد ٣، العدد ٢، ١٩٧٤ (ق٢).
٢. احمد، ابراهيم خليل، النشاطات الطبية والخدمات الصحية في العـراق ١٢٥٨ـ ـ١٩٢١، مجلة التربية والعلم، كلية التربية، جامعة الموصل، ١٩٨٦.
٣. امين، عبدالامير محمد، التنافس بين الشركات التجارية الانكليزية في منطقة الخليج العربي والاقطار المجاورة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، مجلة كليـة الآداب، جامعـة بغداد، العدد ٦ نيسان ١٩٦٣.
٤. البستاني، مهدي جواد حبيب، وثائق عثمانية غير منشورة عن المقاومة العربية في النجف اواسط القرن التاسع عشر، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد ٨، السنة ١٩٩١.
5 ـــــــــــــ ، دراسات لوثائق عثمانية غير منـشورة: كـوت الفرنجـي موطيء القدم الاولى في المخطط البريطاني لاحتلال العراق، مجلة دراسات في التـاريخ والآثار، العدد ٣، السنة ١٩٨٧.

٦. بونداريفسكي، التوغل البريطاني في جنوب وادي الرافدين ومحاولات احتلال الكويت في بداية القرن العشرين، ترجمة نوري السامرائي، مجلة الخليج العربـي، العـدد ٣، الـسنة ١٩٧٥.
٧. _____________ ، الدبلوماسية الروسية ومشكلة الكويت سـنة ١٩٠١، ترجمـة وتعليق نوري عبد البخيت، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد، السنة ١٩٧٧.
٨. الحلو، صادق ياسين، البصرة في الوثائق الوطنية الفرنسية فـي القـرنين الثـامن عـشر والتاسع عشر، مجلة الخليج العربي، العدد ٣، السنة ١٩٨٨.
٩. الخصوصي، بدرالدين عباس، النشاط الروسي في الخليج العربي ١٨٨٧ـ١٩٠٧، مجلـة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ١٨ نيسان١٩٧٩.
١٠. خياط، جعفر، تغلغل النفوذ الانكليزي في العراق على عهد المماليك، مجلة بغداد، العـدد ١١، السنة ١٩٦٤.
١١. عبدالحسين، فلاح حسن ومصطفى عباس جعفر، طريق بصرة - حلب للقوافل التجارية كما وصفها الرحالة الاوربيون في العصر الحديث، مجلة دراسـات الخلـيج والجزيـرة العربية، العدد ٥٨، السنة ١٩٨٩.
١٢. العزى، مجلة اسماعيل، تصويبات واستدراكات على (بغداد سنة ١٨٥٣) لفيكس جـونز مجلة المورد ٨، العدد ٤، ١٩٧٩.
١٣. نورس، علاء موسى كاظم، بغداد في رحلات الاجانب فـي العهـد العثمـاني، مجلـة المورد، المجلد ٥، العدد ٣، السنة ١٩٧٦.
١٤. _____________ ، الدبلوماسية البريطانية في العراق ١٨٠٨ـ١٨٢٣، مجلـة المؤرخ العربي، العدد ١٨، السنة ١٩٨١.

البحوث المنشورة في الدوريات العربية باللغة الانكليزية:

1. Cole, Juan R.I; “Indian Money and the Shi’i Shrine cities of Iraq 1780-1850” Middle Eastern Studies, Vol. 22, No.4. October 1986.
2. Cunningham, Allan; “Dragomania. the Dragomans of the British Embassy in Turkey” S, t Anthonys Papers. Middle Eastern Affairs. No.2.
3. Ingram, Edward; “From Trade to Empire in the Near East-III: The Uses of the Residency at Baghdad 1798-1804” Middle Eastern Studies, Vol.4. No. October 1978.

4. Makiya. Margaret. “The Svoboda Diaries “Bulletin of the College of Arts (Baghdad) Vol.XII, June 1963.
5. Yapp, M.E: “The Establishment of the East India Company Residency at Baghdad 1798-1806” Bulletin of School of Oriental and African Studies, Vol. XXX. Part 2. 1967.

الصحـــف:

- الاتحاد (بغداد) العدد ١١٣ في ٦ آذار ١٩٨٩.
- صدى بابل (بغداد) العدد ١٣٧ في ٣١ آيار ١٩١٢.

الملاحق

ملحق رقم (١)

الدبلوماسيون البريطانيون في بغداد ١٨٣١ـ١٩١٤(*)

الاسم والرتبة	فترة تولي المنصب	اللقب الرسمي
المقدم روبرت تايلر	١٨٢٢-١٨٤٣	وكيل سياسي (وقنصل منذ ١٨٤١)
الرائد (جنرال فيما بعد) هنري رولنصون	١٨٤٣ـ١٨٤٩	وكيل سياسي (وقنصل عام منذ ١٨٥١)
الرائد (جنرال فيما بعد) ارنولد كمبال A. Kemball	١٨٤٩ـ١٨٥١	وكيلا عن رولنصون اثناء غيابه
هنري رولنصون	١٨٥١ـ١٨٥٥	وكيل سياسي وقنصل عام
ارنولد كمبال	١٨٥٥ـ١٨٥٩	=
الدكتور هايسلوب J.M.Hyslop طبيب(**)	١٨٥٩ـ١٨٦١	=
ارنولد كمبال	١٨٦١ـ١٨٦٨	=
العقيد هربرت C. Herbert	١٨٦٨ـ١٨٧٤	=
العقيد نيسكون J.P. Nixon	١٨٧٤ـ١٨٧٩	=
العقيد مايلز S.M. Miles	١٨٧٩ـ١٨٨٠	مقيم سياسي وقنصل عام
بلودن T. Plowden (السير) تريفور Sir Trevor فيما بعد) مدني(***)	١٨٨٠ـ١٨٨٢	=
العقيد (جنرال فيما بعد) تويدي	١٨٨٢ـ١٨٨٣	=
تريفور Trevor (مدني)	١٨٨٣ـ١٨٨٥	=
العقيد تويدي	١٨٨٥ـ١٨٨٨	=
الرائد تالبوت A.C. Talbot	١٨٨٨ـ١٨٨٩	=
العقيد تريدي	١٨٨٩ـ١٨٩١	=
العقيد موكلر E. Mockler	١٨٩١ـ١٨٩٧	=
المقدم لوج W. Loch	١٨٩٧ـ١٨٩٨	=
الرائد ميلفل P.J. Melvill	١٨٩٨ـ١٨٩٩	=
المقدم لوج	نيسان/حزيران ١٨٩٩	=
الرائد ميلفل	١٨٩٩ـ١٩٠٢	=

العقيد نيومارج L.S. Newmarch	١٩٠٦_١٩٠٢	=
العقيد رامزي J. Ramsay	١٩٠٩_١٩٠٦	=
جون ـ لوريمر J.G. Lorimer (مدني)	١٩١٤_١٩٠٩	=

(*) Lorimer, Part, 2. P. 2683 Busch; Britain and the Gulf, Appendex (H)

(**) من قسم الخدمة الطبية الهندية.

(***) المشار اليه بصفة (مدني) تابع لقسم الخدمة المدنية الهندية.

ملحق رقم (٢)

الوكلاء السياسيون المساعدون في البصرة ١٨٧٣ ـ ١٨٩٨(*)

١. باتريك ح.س روبرتسون	١٨٧٣ـ١٨٧٧
٢. ف.ن. كارترد قائم بالاعمال	١٨٧٧
٣. النقيب فريزر	٣ آب ١٣ ك١ ١٨٧٧
٤. ف.ن. كارتر	١٤ شباط ١٨٧٧ ـ ١٣ك٢ ١٨٧٨
٥. باترسك روبرتسون	١٤ ك٢ ١٨٧٨ ـ ١٩ حزيران ١٨٨١
٦. النقيب، ج. تويل	٢٠ حزيران، ٦ ك١ ١٨٨١
٧. الرائد موكلر	٧ك١ ١٨٨١ـ١٣ شباط ١٨٨٣
٨. عبدالرحيم حكيم (مساعد طبيب)	١٤ شباط ـ ٣٠ آيار ١٨٨٣
٩. الملازم جي رامزي	٣١ آيار ـ ١٧ ت١ ١٨٨٣
١٠. الرائد موكلر	١٨ت١ ١٨٨٣ ـ ٦ك٢ ١٨٨٤
١١. باتريك روبرنسون	٧ك٢ـ٩ نيسان ١٨٨٤
١٢. الرائد موكلر	١٠ نيسان ـ ٣١ آب ١٨٨٤
١٣. باتريك روبرنسون	١٠ ايلول ـ ٣ ت١ ١٨٨٤
١٤. الرائد موكلر	٤ت١ ١٨٨٤ ـ ١٨ نيسان ١٨٨٦
١٥. باتريك روبرنسون	١٩ نيسان ١٨٨٦ـ١٥ك٢ ١٨٨٧
١٦. الرائد موكلر	١٦ ك٢ ١٨٨٧ ـ ١٨ نيسان ١٨٨٩
١٧. ب. روبرتسون (مات اثناء الخدمة)	١٩ نيسان ـ ٢١ آب ١٨٨٩
١٨. ل.م. ويبس تاجر	٢٢ آب ـ ٦ك١ ١٨٨٩
١٩. النقيب رافنشو	٧ك١ ١٨٨٧ ـ ٢ نيسان ١٨٩٠
٢٠. ملازم اول و. ستراتون	٣ نيسان ١٨٩٠ ـ ٣٠ آذار ١٨٩١
٢١. النقيب ترنس	٣١ آذار ـ ٢٢ تموز ١٨٩١
٢٢. ل.م. ديس	٢٣ تـموز ١٨٩١ ـ ٣١ ك٢ ١٨٩٢
٢٣. الرائد ر. هـ. جننجز	١ شباط ـ ٣ آب ١٨٩٢
٢٤. النقيب ف. بيفيل	٤ آب ١٨٩٢ ـ ٢١ ت٢ ١٨٩٤
٢٥. الملازم الاول س.ج. نوكس	٢١ ت٢ ١٨٩٤ ـ ٢٤ت٢ ١٨٩٥
٢٦. النقيب ج. ف. ويست	٢٥ت٢ ١٨٩٥ ـ ٤ شباط ١٨٩٧
٢٧. الرائد س.ج. قاجان	٥ شباط ـ ٣١ آب ١٨٩٧

٢٨. النقيب ل. أ. فوريس	١ ايلول ١٨٩٧ ـ ٢٥ حزيران ١٨٩٨
٢٩. جارون (تاجر)	٢٦ حزيران ـ ١٢ ايلول ١٨٩٨
٣٠. النقيب ج. رامزي	١٣ أيلول ـ ١١ ك١ ١٨٩٨

ومثلما كان الممثل السياسي البريطاني في بغداد يحمل صفة مزدوجة بوصـفه (مقـيم سياسي) يمثل حكومة الهند (قنصل عام)، ممثل وزارة الخارجية البريطانيـة، فـأن الـوكلاء البريطانيين في البصرة كانوا يحملون صفة نائب قنصل ايضا منذ منتـصف القـرن التاسـع عشر[(١)].

* أما في الموصل فلم أرفق جدول لقلة العاملين جدا وقد ورد أسمهم أثناء التعـرض للتمثيـل ونشأته في ولاية الموصل .

(*) Lorimer, Op.cit, Historical – Part II,2687-2688.

(١) Ibid. Historical. IB p. 1472.